אל-ג'דיד
AL-JADEED
١٩٨١
الثمن
٧ شواقل

الجديد

العددان ٦-٧ (حزيران-تموز) ١٩٨١

عدد خاص



أدب مقاوم ..

١٤ عاما من الاحتلال

PALESTINE : A HOMELAND DENIED

تقرأ في هذا العدد



الادب الفلسطيني في المناطق المحتلة بعد ١٤ عاماً من الاحتلال



اميل توما : فلسطين في العهد العثماني

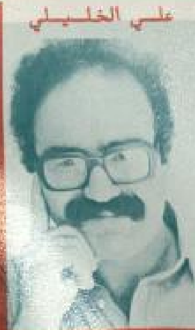




مسرحية لكع بن لكع في دمشق



علي الخليلي





يصدر هذا العدد مع مرور ١٤ عاما على الاحتلال الاسرائيلي للضفة الغربية وقطاع غزة حيث يعاني جزء حي وواع من ابناء الشعب العربي الفلسطيني من كابوس الاحتلال والقهر والقمع، وعلى الرغم من هذه الظروف المأساوية، على الرغم من فوهات البنادق الموجهة، والمجنزرات التي تجوب في الشوارع، ومقصات الرقابة العسكرية، فقد استطاعت الكلمة الوطنية الواعية أن تشق طريقها في صفوف الجماهير، ليس لتصور هذه الحالات وحسب وانما كذلك لتحث على مواصلة النضال والكفاح من أجل ازاحة هذا الاحتلال البشع ومن أجل التحرر والاستقلال.

في العقد الاخير، تبلورت في المناطق الفلسطينية المحتلة حركة ادبية، هي بحد ذاتها ظاهرة تثير الاهتمام اذا ما أخذنا بعين الاعتبار ظروف نشأة هذه الحركة قبل الاحتلال وبعده، و"الجديد" اذ تثمن هذه الحركة وتقدرها تقديرا بالغا فقد رأت أن تفتح ملفا خاصا، في هذا العدد، للكشف عن هذه الحركة، مميزاتها، واتجاهاتها، والقضايا التي تعكسها من خلال أحاديث مع ابرز النشيطين في هذا المجال وكذلك من خلال تقديم نماذج نثرية وشعرية، وصلت الينا استجابة للدعوة التي وجهناها الى كتاب المناطق المحتلة، من على صفحات "الجديد" و"الاتحاد"، للمساهمة في هذا العدد. لم نتمكن من الحصول على انتاج عدد اكبر من الكتاب وبالطبع فان عدم ورود انتاجهم لا ينقص من دورهم واهميتهم في هذه الحركة الادبية. فقد دأبت "الجديد" خلال ١٤ عاما على تشجيع هذه الحركة وفي كل عدد نشرت انتاجا ادبيا من المناطق المحتلة، وقد اصبح جميع الكتاب معروفين لدى قراء الجديد.

ان الجديد، لن تتوقف عند هذا الملف، وفي اعداد قادمة ستفتح ملفات حول مواضيع مختلفة منها: القصة العربية في اسرائيل، الحركة التشكيلية الفلسطينية، الادب الفلسطيني، الادب العبري التقدمي، ومواضيع اخرى حول الحركات الادبية في الاقطار العربية والعالم.

ان هذه الملفات لن تغلق بعد صدور العدد، وانما نود أن تثير نقاشا بين المهتمين بهذه المواضيع ولذا فاننا نرحب بردود القراء والكتاب عليها، كما نرحب باقتراحات وملاحظات حول ما ينشر وما يبتغى ان يرى النور على صفحات الجديد.

تحية الى كتابنا الوطنيين المناضلين في المناطق المحتلة ونشكر جميع المساهمين في هذا العدد، وخصوصا الشاعر والباحث علي الخليلي الذى ابدى اهتماما خاصا بجمع المواد والاتصال بالكتاب، والى اللقاء.

المحرر

رأي الجديد

بعد أن هدأ غبار المعركة الانتخابية

اكدت هـذه الانتخابات فيما أكدته من أمور أن مناخ التعصب القومي والغيبية الدينية الظلامية يزحف متسارعا على جو البلاد ويكاد يسود حياتها السياسية والاجتماعية.

وفي هذا المناخ الذى نما بوضوح في أعقاب حرب حزيران في العام ١٩٦٧، فاز "التكتل" اليميني المتطرف في الانتخابات البرلمانية في العام ١٩٧٧ وكثف مظاهر الفاشية وما واكبها من تقليص في الحريات الدمقراطية.

ولهذا لم تأت نتائج الانتخابات البرلمانية الاخيرة بصورة متناقضة مع هـذا الوضع، وبخاصة أن الايديولوجية الصهيونية بطبيعتها وممارساتها هي ايديولوجية شوفينية، تقوم على منطلقات عنصرية، وتتعارض مع ايديولوجية التطور الثورى والتقدّم الاجتماعي.

ولم يكن من قبيل المصادفة أن تحتدم المعركة بين القطبين الكبيرين المتواجدين على الساحة السياسية ـ بين التكتل والتجمع ـ على المسائل الشكلية لا على القضايا الجوهرية المطروحة على جدول أعمال هـذه البلاد مثل قضية الحرب والسلام.. وقضية الازمة الاجتماعية.. وقضية سياسة هـذه البلاد الخارجية...

فالقطبان الكبيران يلتقيان عند ما يسمى "الاجماع القومي الصهيوني"، القائم على رفض الاعتراف بحقوق الشعب العربي الفلسطيني.. ومعاداة الشعوب العربية وحركاتها الوطنية التحررية... وعلى التحالف الوثيق مع الامبريالية الامريكية والرجعية العربية ممثلة اليوم في النظام الساداتي.

كذلك كان بدهيا أن يتخلى حزب العمل حتى عن الاعلان الباهت والشكلي بالتمسك "بالاشتراكية"، فقادة هذا الحزب هم الذين حولوا البلاد الى مزرعة للاحتكارات الاجنبية وبخاصة الاحتكارات الامريكية تمشيا مع صلب الايديولوجية الصهيونية، ايديولوجية الرأسمالية اليهودية..

وظهر هـذا اللقاء الايديولوجي الصهيوني في لجنة الانتخابات المركزية حين أقترح رئيسها القاضي عتسيوني الغاء "قائمة كاخ" برئاسة كهانا لان برنامجها العنصرى يتعارض مع الدمقراطية و"قوانين" البلاد..

آنذاك عارض ممثلو التكتل والمتدينين الاقتراح وامتنع ممثلو التجمع عن التصويت.

وأعرب هـذا الوضع في لجنة الانتخابات المركزية عن مدى عمق تصعيد سياسة الاضطهاد القومي والتفرقة العنصرية ازاء الجماهير العربية في اسرائيل في فترة حكم التكتل.

وجسّم هـذا التصويت التوجّه العنصرى الوحشي الذى ساد المحافل الاسرائيلية الحاكمة في السنوات الاخيرة وتبلور في تصريحات فجة تصف المواطنين العرب "بالغرباء" و"بالسرطان" وتروّج مخططات فاشية لطردهم من وطنهم.

على هـذا الضوء تبدو خطورة الملامح السلبية التي انعكست في نتائج هـذه الانتخابات البرلمانية..

يقينا أن حوالي ٤٠ في المئة من الناخبين العرب بايعوا الجبهة الدمقراطية للسلام والمساواة وبذلك اختاروا طريق الصمود في وطنهم، طريق النضال في سبيل حقوق الجماهير العربية القومية واليومية... في سبيل حقوق الشعب العربي الفلسطيني، والسلام العادل والمقيم.

ولكن يقينا ايضا أن قطاعا واسعا من الناخبين العرب انزلق الى موقع الوهم بأنه أسهم في التصدى لخطر الفاشية الداهم بتأييده "التجمع"...

ولا جـدال في أن اولئك الاين اختاروا القوائم "العربية" المستقلة لم يخدموا ايـة مصلحة شـعبية بل أضعفوا موضوعيـا عن جهـل أووعـي الكفـاح المثابـر من أجل المساواة والدمقراطية والـسـلام العادل . .

وامّـا الذين لبّـوا دعوة المقاطعـة انطلاقـا من تصورات قومية ـ زعموا انها ثورية ـ فقد افادوا حكام أسرائيل الصميونيين الذين يخافون من وزن الجماهير العربية في الميدان السياسـي ويبذلون كل جهـد حتى لا ترمي هـذه الجماهير بثقلها الدمقراطي في المعركة السياسـية الكبرى، معركة تحقيق الـسـلام الحقيقي القائم على الانسحاب من المناطـق المحتلـة واقامـة الدولـة الفلسـطينية في الضفـة والقطاع الى جانب اسـرائيل .

نحن نقرر هـذه الحقائق اليوم وبخاصـة بعد أن ارتفعت بعض الاصوات في "التجمع" تدعو الى اقامـة حكومـة ائتـلاف قومي موحـد يضم القطبين الكبيرين وسـائر الاحزاب الصهيونية المنتمية الى "الاجمـاع القومي الصهيوني" .

حتى قادة "التجمع" الذين يستبعدون الان اقامـة ائتلاف قومي موحـد اعلنوا انهم "سيبحثون هـذه الفكرة من جديد اذا نـشـأت ظـروف تستدعي ذلك . . . اى اذا تعرضت اسـرائيل الى ضغوط دولية ومنطقية تهدف الى دفعها الى طريق العقلانية ونبذ سـياسـة العدوان والمقامرة والتوسـع الاقليمي .

قلنا في ظروف المعركة الانتخابية أن هذه الانتخابات تكتسب اهمية قصوى لان العوامل الدولية والمنطقية والمحلية تنضج لتحقيق السلام الاسـرائيلي ـ الفلسطيني . . . ولهـذا دعونـا الى تقويـة الجبهة الدمقراطية، التي توحّـد الجماهير العربية والقوى الدمقراطية اليهودية، حتى تسـهم في انتصار هـذه المعركة المصيرية .

ان هبوط نسبة مؤيدى الجبهـة . . وخسارة مقعد في الكنيست اظهرا أن هذه الدعوة لم تلق التجاوب المنشود . . أو لم تحقق الامـال المرجـوة . .

ومع هـذا فالنتائج اثبتت أن الجبهـة لا تزال القوة الاكبر بين الجماهير العربيـة ورسّـخت مواقعهـا بينهم وصمدت أمام عملية التقاطب الحزبي الذى قضى على قوائـم قديمـة وحديثـة .

وبـعـد . .

لقد انتهت المعركة الانتخابية . . وتؤكـد المؤشـرات أن مناحـم بيغن سـيؤلف الوزارة من جديد . ويتابع سـياسـته العنصرية المغامرة التوسـعية بعنف اشـد وتعصّب قومي ظـلامي . ومن البدهي أن تزداد اخطار زحـف الفاشـية وما يرافقها من تصعيد في الارهاب والقمع في المناطق الفلسطينية المحتلة وهجوم على الدمقراطية والجماهير العربية .

وازاء هـذه الاخطار المحدقة بحياة الجماهير العربية وبالقوى الدمقراطية اليهوديـة لا بـد من توحـيـد القوى القادرة على التصدى للفاشـية . . .

وعلى الرغم من أهميـة نشاط كتلة الجبهة البرلمانية في الكنيست في احباط هـذه الاخطـار فالعامـل الحاسـم في المعركـة سـيبقى الكفاح الجماهيرى المثابر والصلب .

وهنا لم يعد هاما توزيع الناخبين بين القوائم التي خاضت المعركة الانتخابية بـل تحرك اولئك الناخبين، بغض النظر عن ايديولوجيتهـم وانتمائهم السياسـي على الصعيد النضالي . .

ونؤمن أن وحـدة الجماهير العربية على أوسـع نطاق في الكفاح من أجل المساواة والدمقراطية والسلام، هي واجب السـاعـة ولهذه ممكنة التحقيق بعد أن هـدا غبار المعركة الانتخابيـة .

"الجديد"

دراسة

فلسطين فى العهد العثمانى

في ظروف محاولة اقامة الدولة العربية الكبيرة

بقلم الدكتور: اميل توما

التطور غير المتعادل

تجحت السلطنة العثمانية في سعيها لتثبيت سلطتها المركزية وتصفية محاولات الولاة الاقطاعيين الانسلاخ عنها وفي القضاء على نظام المماليك في العراق في العام ١٨٣١ (وفي بعض المصادر في العام ١٨٢٠).

وفي العقد الرابع من القرن التاسع عشر نجحت بسلسلة من التدابير في ابعاد علي بك القرماني، الوالي الاقطاعي القوي، عن طرابلس الغرب (ليبيا) واعادت الولاية الى حوزتها في العام ١٨٣٥..

وبذلك الغت الاستقلالات الذاتية والاقطاعيات وشددت قبضة الدولة على الاقاليم العربية (العرب والترك في عهد الدستور العثماني ١٩٠٨ - ١٩١٤، توفيق علي برو، ص ٨).

واتضح أن نجاح السلطنة عاد الى انها قضت على الانكشارية مركزيا. ولم تجد حاجة الى مهادنتهم في الولايات المختلفة.. وفي حالة مماليك العراق لم تعد هذه السلطنة بحاجة اليهم للوقوف امام الخطر الفارسي.. ثم ان احتلال روسيا القيصرية القفقاس والاقرار بذلك بموجب المعاهدة الروسية الفارسية وضع حدا لتجنيد المماليك في تلك المنطقة ونضوب مصادر هذا النوع من المرتزقة.

ولكن الوضع اختلف في مصر، فهناك ثبت محمد علي، الذى وصل الى الحكم في اعقاب اخفاق الحملة الفرنسية على مصر في نهاية القرن الثامن عشر، نظامه وبدأ يرسخ منذ مطلع القرن التاسع عشر أسس الدولة القومية، ودشن بذلك مرحلة جديدة خلقت الظروف لتطور غير متعادل بين هذا الاقليم وغيره من الاقاليم العثمانية.

لقد نجح محمد علي في القضاء على المماليك والنظام الاقطاعي المملوكي القائم على الالتزام والملتزمين ومسح اراضي القطر المصرى وسجلها على قرى الفلاحين بحيث اصبح هؤلاء مسؤولين عن دفع الضرائب.. كما وضع يده على الاوقاف لجرّد العلماء من نفوذهم الاقتصادى وتأثيرهم السياسي الكبير.

ومع هذا فاصلاحاته كانت طبقية تخدم الفئات العليا لا الفلاحين.. فقد وزّع اراضي واسعة على افراد عائلته وبعض الاعيان القريبين منه وبذلك خلق طبقة من



اسياد الارض ارتبطت مصالحها بنظامه.

وفي الوقت نفسه نظم الري وبرمج الزراعة مما ادّى الى تحقيق منجزات زراعية هامة (١) خدمت مصالحه ولم تخدم الفلاحين الذين تحملوا اعباء الضرائب وتعرضوا للسخرة.

دراسة

فلسطين في العهد العثماني

وفي الميدان الصناعي قام بطفرة جذرية فأسس مصانع النسيج والمعادن وأنشأ ترسانة الاسكندرية وفي مركزها احواض بناء السفن التجارية والحربية وملحقاتها من مصانع لصب المعادن والحدادة والاقمشة .. كما اقام مصانع اسلحة لتزويد جيشه الجديد بالمعدات .

واحدث ، بمقاييس عصره ، ثورة ثقافية فأشاع التعليم في المدارس التي أقامها على مختلف المستويات وارسل البعثات الى أوروبا الغربية وبخاصة فرنسا ليعودوا الى بلادهم بعد تخرجهم ويسهموا في النهضة الفكرية والعلمية .

وقوم المؤرخ السوفييتي لوتسكي اصلاحات محمد علي فكتب انها "تحمل طابعا تقدميا بالرغم عن انها كانت عبئا ثقيلا على عاتق جماهير العمال المصريين المستغلين بلا رحمة .. لم يقض على نمط الانتاج الاقطاعي الا انه قضى على مخلفات القرون الوسطى الاكثر رجعية وعمل في الوقت نفسه على تعزيز دولة الملاكين والتجار وانشأ جيشا (تحول الى جيش مصري بتجنيد الفلاحين ـ ا.ت .) واسطولا" (تاريخ الاقطار العربية الحديث ، ٧٤) .

واضاف : أن من الملامح الرجعية التي اتسم بها هذا النظام ، بالاضافة الى الاستغلال الطبقي ، قمع الشعوب بقسوة لانه كان يتوق الى بناء امبراطورية واسعة . (المصدر نفسه ، ٧٥) .

والواقع أن محمد علي لبى دعوة السلطنة الى محاربة التمردات والثورات التي اندلعت في مختلف الاقاليم في تلك المرحلة ، وهدفه من وراء ذلك توطيد مواقعه في السلطنة وكسب الشرعية وتحقيق اغراضه .

وهكذا حارب الوهابيين في الحجاز ابتداء من العام ١٨١١ ونجح في القضاء على دويلتهم في العام ١٨١٨ ..

ومد نفوذه الى اليمن الثائر واستقر فيه حتى العام ١٨٤٠ واحتل السودان بعد معارك قاسية بدأت في العام ١٨٢٠ واراد من وراء ذلك القضاء على المماليك الذين نجحوا في الفرار من مصر الى ذلك القطر من ناحية والاستيلاء على قطر متاخم غني بالموارد الطبيعية . ويظهر انه رغب ايضا في الاستفادة من طاقته الانسانية فجند ابناءه في الجيش المصري الا ان ذلك لم يفده لان الجنود السودانيين لم يتحملوا مشاق حملاته العسكرية مما دفعه الى الاستغناء عنهم .

واشتركت قواته مع قوات السلطنة منذ العام ١٨٢٢ في ضرب الثورة اليونانية القومية . ومع انه نجح في حملاته العسكرية في كريت واليونان في العام ١٨٢٧ الا ان تدخل الدول الكولونيالية عسكريا وسياسيا اضطر السلطنة الى الاعتراف باستقلال اليونان في العام ١٨٢٩ بعد أن انسحبت القوات المصرية بعد معركة "نفارين" البحرية في العام ١٨٢٧ التي قضت بها اساطيل انكلترا وفرنسا وروسيا القيصرية على اسطولي السلطنة ومصر .

محركات الحملة المصرية في سوريا

اختلفت الحملة العسكرية التي جردها محمد علي بقيادة ولده الموهوب عسكريا ابراهيم باشا عن حملاته السابقة في مختلف أقاليم السلطنة .

فهذه الحملة بادر اليها بعوامل موضوعية وذاتية مستقلة بمعارضة السلطنة العثمانية الشديدة .

واختار توقيتها انطلاقا من تقويمه ان الظروف مؤاتية للقيام بها .

فالسلطنة كانت تمر في فترة الضعف العسكري تميزت بمرحلة الانتقال من جيش الانكشارية الى جيش النظام الجديد ، وبهزائم عسكرية اصابت ذلك الجيش خلال مواجهته تمردات الاقاليم .. والثورة اليونانية القومية ...

ثم ان نقمة اهالي سوريا تعمقت جدا وتجسمت في ثورتي دمشق ونابلس اللتين اشرنا اليهما في الحلقة السابقة .

وكتب د . عبد الكريم رافق في هذا الصدد : "وكان الوضع في بلاد الشام مشجعا لمحمد علي ، فالامير بشير الثاني الشهابي من حلفائه . ورغم قوة أسوار عكا ، حيث تحصن واليها عبدالله باشا ، فلم يكن العثمانيون من القوة بحيث يقدمون مساعدات كبيرة له . وقد حدثت اضطرابات في ١٨٣١ في دمشق بسبب ثورة سكانها على مظالم واليهم العثماني سليم باشا ، كما ثار الفلاحون في منطقة نابلس في هذه الاثناء على مظالم عبدالله والي عكا واحتلوا قلعة صانور ، فاخضعوا بالقوة" (العرب والعثمانيين ١٥١٦ ـ ١٩١٦ ، ص ٤٠٤) .

وفي الوقت نفسه ازدادت قوة محمد علي العسكرية والاقتصادية .. "فصادف أن محصول القطن في ١٨٣٠ كان اعظم ما انتجته مصر ، وكانت الحبوب متوافرة بكثرة . وأمن فيضان النيل المنتظم محصولا كبيرا للعام التالي" (المصدر نفسه ، ص ٤٠٥) .

ولا بد من التاكيد أن محمد علي قرر الاستيلاء على سوريا (وتشمل فلسطين ولبنان) لعاملين على غاية من الاهمية : الاول استراتيجي .. والثاني اقتصادي ...

ووصف اسد رستم في كتابه "محفوظات عابدين والرسائل المتبادلة بين محمد علي وابراهيم باشا ابان حملة الشام" هذا العامل الاستراتيجي ، فكتب أن محمد علي الذي صارع السلطنة العثمانية ليوطد اقدامه في مصر كان يخشى غدر هذه السلطنة . وتتضح من رسائله رغبته في قطع الطريق عليها . ففي رأيه أن سوريا ضرورية للدفاع عن مصر بعد أن اثبت التاريخ أن الغزاة (من الشمال ـ ا.ت .) اجتاحوا سوريا قبل غزو مصر (ص ٧ و ٨ و ٢٠٨ و ٢٠٩) .

الملمح القومي

وتثبت المؤشرات والملابسات التي اقترنت بهذه الحملة أن العامل القومي العربي قام بدور هام في دفع نظام محمد علي الى الاستيلاء على الشام.. ولا عبرة لما يدعيه بعض البحاثة من ان احد حكام مصر الالباني أبعدهم عن تحسب اليقظة القومية العربية التي بدأت جنينية في تلك المرحلة.

ومن الممكن أن لا نجد هذا الملمح القومي العربي في محمد علي الذى انشغل بالقضايا المصرية والعثمانية والدولية.. ولكننا نجده في قائد تلك الحملة ابراهيم باشا.

لقد انتقده بعضهم لانه يطعن في التركية مع ان اصله يعود الى القبائل التركية فأجاب: "انا لست تركيا، فاني جئت مصرجيا، ومنذ ذلك العهد مصرتني شمسها وغيّرت من دمي فجعلته عربيا" (الدولة العربية المتحدة، امين سعيد الجزء الاول، طبع مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر، ص ٩٣).

ويؤكد هذه الحقيقة ما أورده المراقبون الاوروبيون الذين عايشوا هذه الحملة ورافقوا قائدها.. كتب اثنان منهم كادليفين وبارد، ان ابراهيم باشا اجاب على السؤال الى اين ستصل فتوحاتك.. فأجاب وآنذاك كانت قواته تحاصر عكا بما معناه "الى مدى ما يتكلم الناس وأتفاهم واياهم باللسان العربي" (المصدر نفسه ص ٩٣).

ومما لا شك فيه ان حكام بعض الدول الاوروبية الكولونيالية اقتنعت بهذا الطابع القومي العربي الذى وسم الحملة بميسمه وقاوموا الحكم المصرى العربي في سوريا لهذا السبب.

كتب اللورد بالمرستون وزير خارجية انكلترا الى السر ويليام كامبل سفير دولته في "كابل" (كابول عاصمة افغانستان ـ ا.ت.):

"لقد كان محمد علي يرمي الى تأليف مملكة عربية تجمع بلاد العرب، والمشروع جليل الشأن بذاته لولا انه يقضي بتقسيم تركيا وهذا لا يمكننا ان نسلم به فتركيا هي أفضل دولة تمتلك طريق الهند (المستعمرة البريطانية ـ ا.ت.) وهي خير من اى ملك عربي يقوم على هذه البلاد ويكون نزاعا للعمل كثير الحركة.." (المصدر نفسه ص ٩٥).

ومن الممكن ان نلخص انطباع الرأى العام الاوروبي ـ وهذا نقرره بتحفظ على اعتبار ان ظروف المرحلة لم تكن تسمح برأى عام بالمفهوم المعاصر ـ بالاستشهاد بما كتبه بروكسي أوستين معتمد النمسا في مصر في ذلك الوقت.. كتب الى وزير خارجية الامبراطورية النمساوية الهنغارية مترنيخ:

"ان اسبابا عديدة تثبت ان فكرة اقامة الامبراطورية العربية لا تزال حية ولا تزال موجودة.. وارى الى جانب



الامير بشير الشهابي

أمير لبنان



قصر «بيت الدين»

مقر الأمير بشير بلبنان

أما العامل الاقتصادى فيتضح من امرين:

الاول: ان التبادل التجارى بين مصر وسوريا كان يوحي بتكامل اقتصادى بين القطرين.. فمصر كانت تزود سوريا بالارز والسكر والقمح والسمسم والملح والسمك المملح وماء الورد وأنواع مختلفة من القماش القطني والصوفي، ومقابل ذلك تصدر القطن والحرير والزيتون وزيت الزيتون والصابون والدخان والفواكه المجففة والنبيذ والشمع وجلود الماعز والخيل وغيرها من المواد الواردة من آسيا والصين... (المصدر نفسه ص ٦٧).

الثاني: ان سرعة وتيرة التطور الاقتصادى في مصر وتصنيعها وضعت على بساط البحث قضية وحدة مصر وسوريا وجعلتها ضرورية. فسوريا كانت مصدرا لبعض المواد الاولية مثل الخشب والفحم لتطوير صناعة بناء السفن.

ويظهر هذا في بعض الرسائل المتبادلة بين حاكم مصر محمد علي وابنه ابراهيم باشا.. وجاء في احداها: " يا ولدى أولي مسألة الخشب اهتماما بمقدار ما تولي كسح جيش الاستانة".

دراسة

فلسطين فى العهد العثمانى

ضعف الباب العالي وهزاله جيشا عربيا قويا ممرنا على احدث مبادئ القتال .. اضف الى هذا كله يقظة الروح العربية بعد سباتها، محمد علي (حاكم مصر) يتمتع بحسن السمعة والصيت في جميع البلاد العربية".

اسباب نجاح الحملة .. موقف الاهالي

يتفق المؤرخون على أن حاكم مصر محمد علي دفع بقواته العسكرية لاحتلال سوريا لان والي عكا عبدالله باشا رفض اعادة ستة الاف فلاح مصرى فروا من بلادهم الى فلسطين بعد أن "ضاقت نفوسهم من اعنات اعماله بالجندية والضرائب فلم يسعهم الا أن يهاجروا الى جهات غزة ملتجئين الى والي عكا" (خطط الشام، محمد كرد علي. الجزء الثالث، ص ٥١).

بدات في تشرين الاول في العام ١٨٣١ وخلال اسبوعين احتلت قواتها ـ القوات المصرية ـ غزة ويافا وحيفا بدون مقاومة.. ومع ان حصار عكا استمر حوالي ستة اشهر اذ سقطت في ٢٧ أيار ١٨٣٢ فالحملة اكتسحت قوات السلطنة العثمانية في سوريا بسرعة فائقة واستطاعت بعد معركتين حاسمتين: معركة موقع "بيلات الجبلي" في ١٨٣٢/٧/٢٩ ومعركة "قونيه" في ١٨٣٢/١٢/٢١ أن تقضي على جحافل القوات العثمانية وتهدد مقر السلطنة.

والواقع أن الطريق الى الاستانة اصبحت خالية من المقاومة بعد معركة قونيه وفقط نجح تدخل الدول الكولونيالية وبخاصة روسيا القيصرية وانكلترا في وقف الزحف المصرى وانقاذ السلطنة وفرض معاهدة "كوتاهية" على محمد علي.

وهذه المعاهدة اعترفت بوقائع الحرب المصرية العثمانية، وثبتت الوجود المصرى في سوريا.

ولا شك في أن نجاح الحملة يعود الى عاملين جوهريين:

الاول ـ تفوق القوات المصرية العسكرية على قوات السلطنة العثمانية الضعيفة للاسباب التي اشرنا اليها سابقا..



معسكر ابراهيم باشا امام يافا

ويقررون ان محمد علي اصرّ على اعادة اولئك الفارين خوفا من أن يتبع الفارون غيرهم..

وعلى الرغم من أن مخاوف محمد علي كانت واقعية الا ان العوامل الاستراتيجية والاقتصادية هي التي املت الحملة. والمهم ان الحملة نجحت نجاحا باهرا..

وثانيا ـ ترحيب اهالي سوريا بالحملة المصرية.

كتب جورج انطونيوس في هذا الصدد:

"..تولد في النفوس (نفوس اهالي سوريا ـ ا.ت.) الاعتقاد ان فتح المصريين بلاد الشام (سوريا ـ ا.ت.)

سيؤدي الى تحرير العرب.. ونشا عن ذلك قيام ثورات في دمشق ومجيء رسل سريين الى مصر يحملون عهودا من اهل الشام بتاييد الحركة وذلك قبل شروع ابراهيم بحملته بزمن طويل".. ولم يضع الاهلون اية عقبة في طريق تقدمه (ابراهيم باشا) بل كانوا على العكس يستقبلونه في سائر انحاء الشام بالتاييد والتهليل والتكبير" (يقظة العرب، الترجمةالعربية بقلم علي حيدر الركابي، ١٩٤٦، ص ١١٣).

وايد هذا الانطباع المؤرخ السوفييتي لوتسكي فكتب ان اهالي سوريا استقبلوا المصريين بوصفهم منقذين ومحررين من نير السلطان لا في المناطق العربية فحسب بل في غيرها من المناطق العثمانية التركية قوميا (كتابه المذكور اعلاه (ص ١٢٦).

بل أن بعض المعاصرين اشاروا الى أن امير جبل لبنان بشير الشهابي، الذى زار مصر في وقت سابق فرارا من ضغوط والي عكا عبدالله باشا ساعد القوات المصرية بقواته المسلحة سوية مع رؤوساء جبل نابلس.. (محمد كرد علي في خطط الشام الجزء الثالث ص ٥٢).

وهذا يؤيد تماما التقدير ان اهالي سوريا لم يكتفوا بالترحيب بالحملة بل ساندوها ماديا ومعنويا (٢).

خصائص النظام المصري في سوريا

نستطيع ان نقرر أن النظام والامن استتبا بصورة عامة في سوريا بعد أن انتصرت حملة ابراهيم باشا وقضت على المقاومة العثمانية المنظمة في عام ١٨٣٢.

ومنذ البداية بدأ قائد الحملة ينفذ اصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية بعيدة المدى..وقرر لوتسكي أن هذه الاصلاحات "كانت بعيدة المرمى (ونتفق معه) الخطط السياسية التي وضعها محمد علي وابنه ابراهيم الذى عيّن حاكما اعلى لسوريا، اذ كان يحلم كليهما بتكوين دولة عربية مستقلة كبيرة".

وعلى هذا الضوء اتسمت تلك الاصلاحات كمقاومة الاقطاعية والطائفية وهدفت الى خلق ظروف لنمو اقتصادي ـ صناعي ـ زراعي ـ يتلاءم مع فكرة اقامة الدولة القومية المركزية.

واتفق المؤرخون ـ عامة على الرغم من خلافاتهم حول المنطلقات والنتائج ـ على أن ابراهيم باشا بادر الى انشاء دولة عصرية ـ بمفاهيم برجوازية دمقراطية تتوافق مع المكان والزمان ـ خلال الحكم المصرى في سوريا.

كتب في هذا الصدد جورج انطونيوس: "ولما تقلد (ابراهيم) ولاية الشام كان من الامور التي صرف عنايته الاولى اليها تنظيم جهاز الدولة الادارى في معظم النواحي الرئيسية كتوزيع الضرائب والقضاء والتعليم والقانون والامن وكان الجهاز الجديد يفوق القديم، فنجح في برهة لا تكاد تتجاوز السنة في تشييد نظام جديد، قائم على المساواة الدينية والمدنية وحماية الارواح والاموال" (كتابه يقظة العرب ص ١٩).

واوضح سليمان ابو عز الدين في كتابه "ابراهيم باشا في سوريه" طابع النظام فكتب:

"لقد احدث ابراهيم انقلابا عظيما في الحكم في بلاد الشام فادخل انظمة جديدة في الادارة والقضاء والمالية والجندية وادخل تغييرا خطيرا في النظام الاجتماعي فاطلق الحرية الدينية ونشر روح الدمقراطية وضرب على ايدى الزعماء والمتغلبين ونزع السلطة من ايديهم وانشا صلات مباشرة بين الشعب وحكامه بتاليفه مجالس للشورى تمثل الشعب بعض تمثيل ولها حق النظر في الشؤون المحلية.." (أورد ذلك امين سعيد في كتابه الدولة العربية المتحدة ص ٢٠٧).

وكان معنى الضرب على ايدى الزعماء والمتغلبين ضرب الاقطاعيين اقتصاديا وذلك من اجل انعاش الزراعة وفتح سبل التصنيع.

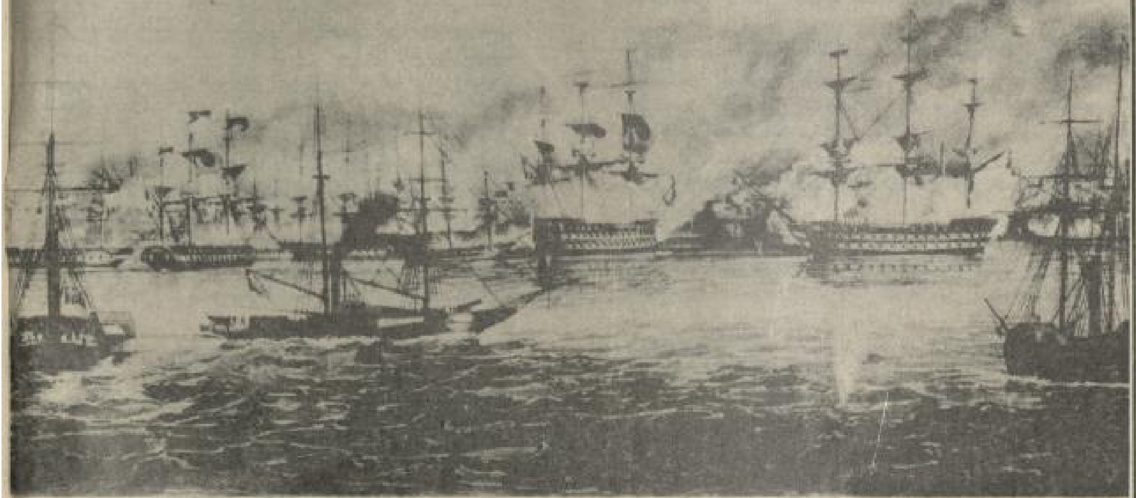
كتب في هذا الصدد لوتسكي: "ومن اجل ايقاف التدهور الزراعي.حدد بدقة الضرائب التي تجبى من الفلاحين، وحرم الابتزازات الاقطاعية التعسفية وعفا الارض البكر المحروثة من دفع أى نوع كان من الضرائب لمدة طويلة. واحد البدو في الاراضي الصحراوية المهجورة ودفعهم الى الانتقال الى حياة الاستقرار. وهكذا نشات في البطاح الواقعة بين دمشق وحلب قرى جديدة، وحرث حوالي ١٥ الف فدان من الاراضي البكر. واتسعت في غضون السنتين الاوليتين من السيطرة المصرية مساحة الاراضي المزروعة وزادت من الفين الى (٧) الاف فدان في حوران الخصيب".

واضاف: "وساعد الغاء جباية الضرائب بصورة متعسفة على تطوير الصناعة والتجارة واضحى في وسع التجار والحرفيين الاطمئنان على سلامة اموالهم.ولم يبق باعث لمخاوفهم من سلب الباشوات (الاقطاعيين) الاتراك ومن ابتزاز الاموال" (كتابه المذكور اعلاه ص ١٢٢).

وجدير بنا هنا أن نتوقف عند ممارسة ابراهيم باشا الملموسة في ميدان المساواة الدينية والحريات الدمقراطية بمفهومها العام، وبخاصة انها ظهرت بوضوح في فلسطين.

واورد حبيب جاماتي في كتابه "ابراهيم في الميدان" في هذا الشأن المرسوم الذى اصدره قائد الحملة المصرية الى شيخ الحرم القدسي، ومفتي الديار المقدسية وجباة الاموال ومشايخ وزعماء صيدا وبيت المقدس والحاضرة والبادية جاء فيه: "بلغني ان اليهود والنصارى لا يعاملون بالحسنى، فآمر بالتسامح في معاملتهم، وآمر ايضا برفع التكاليف عنهم لانها تؤخذ منهم ظلما وجورا".

وجاء في المرسوم امر بالغاء الضرائب على الحجاج والذين يؤدون فروض الديانة المسيحية وانتهى بهذه الكلمات: "وآمر أيضا بان تكون حرية الافراد محترمة في اعمالهم ومعتقداتهم وروحاتهم وغدواتهم، وآمر



ايضا بالا تلبسوا الحق بالباطل . وساسهر على راحتكم جميعا واجعل لواء الانصاف يرفرف فوق هذه الربوع ... " (ص ٢٧ — ٢٨) .

ووصف برانت قنصل بريطانيا في دمشق الوضع العام في ظروف هذا الحكم المصرى المتسامح والمستقر فكتب : لما كانت الايالة تحت حكم محمد علي باشا عاد كثير الى سكن المدن والقرى المهجورة ، والى حراثة الاراضي المهملة ، وهذا ما حدث خاصة في حوران وفي الارجاء الواقعة حوالي حمص وفي كل الجهات الواقعة على حدود البادية . وفي هذه الاماكن اكره العرب (المقصود البدو غير المستقرين ــ ا . ت .) على احترام سلطة الحكومة وجعل السكان بمامن من اعتداءاتهم " . (خطط الشام ، محمد كرد علي ، الجزء الثالث ، ص ٦٨) .

اسباب النقمة على الحكم العربي المصري

يكاد يتفق المؤرخون على أن من ابرز اسباب النقمة على الحكم العربي المصرى ، على الرغم من الاصلاحات الجذرية التي طبقها ، بعض انواع الضرائب وابرزها ضريبة "الفردة" (او الراس) الشاملة كل مواطن ..

واقترن بتأفف المواطنين من هذه الضريبة تذمرهم الشديد من تجنيد الشباب في الجيش المصرى لمجابهة اخطار السلطنة العثمانية ودسائس الدول الكولونيالية التي تخوفت من اتساع نفوذ حكم مصر محمد علي في العالم العربي .

وفي الوقت نفسه استفز هذا الحكم حقد الاقطاعيين العرب ، اذ راوا فيه ايذانا بانتهاء سيطرتهم على الفلاحين وفئات الشعب الفقيرة .. وبخاصة انه ضرب قاعدتهم الاقتصادية حين الغى الالتزام ..

وشدد غضبهم خطوات الادارة العربية المصرية لجمع السلاح المنتشر في البلاد فمن اثر ذلك أن يقلص قدرات الاقطاعيين وسائر المتذمرين امثالهم من التمرد على تلك الادارة واحباط اصلاحاتها ..

وكتب امين سعيد في هذا الصدد ان من الممكن ايجاز اسباب الفتن والاضطرابات الداخلية (الناجمة عن تلك الاجراءات) : "بصدور امر محمد علي بتطبيق القوانين الاقتصادية والمالية التي كانت نافذة في مصر على سكان الشام وشروع الحكومة الجديدة في تجنيد الشبان وجمع

السلاح واحتكار القوت والتجارة الخارجية . .ونقمة ارباب الاقطاعات والزعامات الذين جردهم الحكم الجديد من كل سلطان ونفوذ " . (كتابه الدول العربية المتحدة ص١٤٨) .

واوضح ابعاد قيام الادارة العربية المصرية بضرب الاقطاعيين ، مخائيل مشاقه ، الذي عاصر هذه الفترة وعمل في ظروفها ، في كتابه "مشهد الاعيان بحوادث سوريا ولبنان" فكتب : "ان ابراهيم باشا رتب المجالس الملكية والمدنية والعسكرية واقام لها مجالس شورى وغيرها من النظامات الحديثة ثم رتب المالية ووضع نظاما لجباية الخراج ومعاملة الرعية امام القانون على السواء . . " .

واضاف ان حاكم دمشق في العام ١٨٢٤ بدأ يتفحص اجراءات الامراء والمشايخ . . وشرع في تنسيق حكومة الاقاليم "وتحرير الشعب من سلطة الاستبداد وتعويده الخضوع للدولة راسا وتدريبه على الاعتماد على نفسه والمطالبة بحقوقه امام الشريعة والعدالة" (ص ١١٣) .

والواقع ان اجراءات الحكم العربي المصري اثارت التجار اذ ان هذا الحكم احتكر الانتاج في بعض الحالات كما احتكر التجارة الخارجية عامة .

وهذا الامر كان من عوامل تفجير التمردات التي دفعت في مختلف انحاء البلاد السورية بما فيها فلسطين .

الاوضاع في فلسطين

في كتاب "فتوحات ابراهيم باشا المصري في فلسطين ولبنان وسوريا" ـ وقد جمع فيه محرره ومترجمه الخوري بولس قرالي ، تقارير انطون كتافاكو قنصل النمسا في عكا وصيدا ١٨٢١ ـ ١٨٤١ ـ في هذا الكتاب نجد ان كتافاكو يقرر ان اهالي فلسطين رحبوا بهذه الحملة ، فكتب : "اما سكان جبال نابلوس (نابلس) ولبنان فبعكس ذلك (اي بعكس الولاء للعثمانيين ـ ا . ت .) يميل اكثرهم الى ابراهيم باشا ، وهذا الميل ان لم يكن ناشئا عن حبهم لهذا القائد ، فعن المظالم المتوالية التي كان عبدالله باشا يرهقهم بها" (ص ١٧) .

ومن المهم ان نشير هنا ايضا الى ان بعض الاهالي فلسطين تطوعوا في قوات ابراهيم المسلحة . .ويذكر حبيب جاماتي ان ٥٠٠ متطوع من نابلس حاربوا في صفوف الجيش المصري منذ العام ١٨٣٢ . (كتابه المذكور اعلاه ص ٤٧) .

ولكن هذا المناخ الودي تغيّر لان الاقطاعيين والمتنفذين نجحوا في تحريض السكان على الحكم المصري مستخدمين شعار مقاومة التجنيد . .وشعار جمع الاسلحة واجراءات احتكار المحاصيل ، التي غبنت الفلاحين والتجار . .

وهكذا يصف حبيب جاماتي هذه القصة التاريخية :

"ارسل محمد علي باشا اوامره الى ابنه بان يحتكر تجارة الحرير في الاقطار السورية ويحصل الاموال الاميرية وينزع السلاح من السكان ويجندهم في الجيش . . وكان ذلك العمل . .فاتحة الخلاف الذي جعل يتفاقم منذ ذلك الحين فافض الى تعداد الثورات واتساع القلاقل وانفصام عرى الاتحاد بين القاهرة والقدس وبيروت ودمشق" (كتابه ، ص ١٧٢) .

واضاف : "وفي آذار ١٨٢٤ تململ السكان (في نابلس وغيرها) وعقدوا الاجتماعات وتشاوروا فيما بينهم وانتهى الامر بان قامت الثورة في انحاء فلسطين . " .

ووصف د . عبد الكريم رافق انفجار التمردات في الشام وبخاصة في فلسطين فكتب : "ولتحقيق التجنيد والقضاء على النقمة التي اثارها وجب أولا نزع السلاح من الاهلين . وادّى هذان الامران الى ثورات فلاحية في فلسطين . ففي السلط مثلا هاجم الفلاحون والبدو القوات المصرية ، وفي الخليل هزم الجنود المصريون ، واحتل الفلاحون القدس . باستثناء القلعة ، كما قطعت المواصلات بين يافا والقدس . ولم يتمكن ابراهيم باشا من القضاء عليها الا بجهد كبير . وكان وجود الملتزمين الاقوياء في فلسطين ، نظرا لازدهار زراعتها ووجود الاسر المحلية الكبيرة (الاقطاعية ـ ا . ت .) مشجعا للثورة . . " (كتابه العرب والعثمانيون ، ص ٤٠٨) .

وشملت هذه التمردات جبل لبنان وبعض مقاطعاته حيث كانت مواقع الاقطاعيين راسخة . .

وهذه التمردات واجراءات القمع التي واجهتها هي التي أوصلت بعض المؤرخين والكتّاب الى اعتبار فترة الحكم العربي المصري في سوريا مأساوية ومظلمة . . وهناك من هؤلاء من يصوّر هذا الحكم وكأنه أبشع من الادارة العثمانية . .

وفي رأينا ان تقويم هذه الفترة لا يكون موضوعيا ما لم نر الاصلاحات السياسية والاجتماعية ، التي يعترف بها ويؤكدها الشهود الذين عاصروا ذلك الحكم اولا وابعاد الاجراءات "التعسفية" مثل التجنيد وجمع السلاح التي ساعدت على تفجير التمردات ثانيا . .

ولا جدال في "ان بناء دولة عصرية على انقاض مجتمع اقطاعي زراعي متخلف يستلزم اجراءات قاسية ، منها فرض الضرائب والتجنيد الاجباري لمواجهة الاعداء ومقاومة النهج القديم الذي اعتاده الناس باشكاله المختلفة .

بل ان بناء دولة عصرية لا بد من أن يواجه مقاومة الاقطاعية الشرسة ويقضي عليها قبل ان تتوطد مواقع النظام الجديد . والنظام الجديد كما اوضحنا كان ينطلق من منطلقات البرجوازية ايديولوجيا واقتصاديا وسياسيا واجتماعيا .

"والبرجوازية التي انتصرت في أوروبا على الاقطاع وكانت خطوة جبارة في مجرى التقدم الاجتماعي حكمت على الجماهير باعنف انواع الاستغلال فكان الرجال والاطفال يكدحون في المناجم والمصانع وانزلقوا الى احط الدركات الاجتماعية المضادة لكل القيم الانسانية . ولهذا لم يكن من الممكن أن تقوم دولة عصرية كالدولة العربية كما تصورها الحكم العربي المصري وكانها رحلة في بستان من الورود والرياحين" (هذا الرأى ابديته في كتابي تاريخ الشعوب العربية الحديث) .

دراسة

فلسطين في العهد العثماني

وهنا ما يشير الى ان الحكم المصرى المتنور كان في وسعه أن يتجاوز هذه الصعوبات فيقضي نهائيا على التمردات والتربة الاجتماعية التي ولدتها ويخلق مقومات الدولة البرجوازية الدمقراطية.

وجدير بالذكر ان عددا من الكتاب يلاحظ ان نزع السلاح اتاح للادارة المصرية "أن تنظم البلاد وتنشط الزراعة وتتحكم بالبدو" واستطاعت هذه الادارة في العام ١٨٣٦، أى بعد سنتين من بدء التجنيد أن تجند ٣٦ الف مجند في سوريا. (العرب والعثمانيون، ص ٤٠٨).

ويميل اغلب الكتاب الى تثمين فترة الحكم المصرى العربي في سوريا عاليا.. بعضهم، مثل مخائيل مشاقه — الذى اشرنا اليه — يمتدح النظام بغنائية وبدون تحفظ يذكر.. والبعض الاخر يحاول ان يوازن بين الايجاب والسلب..

ولكن لا خلاف في ان هذه الادارة "وضعت اصول الادارة والجباية ورفعت ايدى ارباب الاقطاعات واعطتهم من الخزانة رواتب تكفيهم على حد الكفاية" (وهذا كان من اخطائها — ا. ت.).

كذلك لا خلاف في انها جففت المستنقعات وبنت المجارى لتصريف الاقذار وحددت اسعار الحاجات الحيوية مثل اللحوم.. ونشرت المساواة بين الطوائف.. (محمد كرد علي، خطط الشام. الجزء ٣، ص ٦٦ — ٦٧).

وجدير بالملاحظة أن معاصرى هذه الحقبة التاريخية ارتأوا ممكنات تجاوز الصعوبات الناشئة من اصلاحات الحكم المصرى العربي واجراءاته الجذرية القاسية..

وهكذا مثلا تساءل القنصل النمساوى كتافاكو في احدى رسائله الى المسؤولين عنه: "بقي أن تعرف هل هناك امل في تحسين حالة هذه الشعوب التعسة لو ثبتت قدم الحكومة الجديدة في هذه البلاد؟".. ثم اجاب الى حد ما على هذا التساؤل بعد فترة فنقل الى المسؤولين عنه الانطباع العام في البلاد فكتب "ومهما تكن النتيجة فالمرجح عند الرأى العام ان سوريا ستبقى لحكومة مصر. وستتمكن هذه البلاد من أن تنهض من سباتها وتعود الى مجدها السابق، ومع ان النظام لم يحل فيها بعد تماما فسكانها يتوقعون مستقبلا زاهرا". (فتوحات ابراهيم باشا المصرى المذكور اعلاه ص ٢٨ و ٣٦).

وايد هذا التصور كارل ماركس الذى قرر أن محمد علي كان الشخص الوحيد الذى كان في مقدوره تحويل تركيا من "العمامة المفتخرة" (اى الاقطاعية المتخلفة — ا. ت.) الى "رأس حي حقيقي" (اى الى البرجوازية المتنورة — ا. ت.) (مقال ماركس التعقيدات الروسية — التركية... اورده لوتسكي في كتابه تاريخ الاقطار العربية الحديث، ص ١٤٤).

وقد استنتج كارل ماركس هذا الاستنتاج من اصلاحات محمد علي في مصر.. وتظام الحكم الذى اقامه في سوريا واتجه اتجاها برجوازيا بدليل ان القنصل الروسي لاحظ ان "الحرية التي منحتها الادارة المصرية للتجارة بعثت حياة جديدة في المدن الساحلية فاصبحت صيدا وبيروت وطرابلس (وحيفا — ا. ت.) اسواقا حرة للجبليين، الذين استبدلوا في هذه المدن الحرير وزيت الزيتون بالقمح ومنتوجات الصناعة الاوروبية، وزاد الانتاج بنحو الثلث (وهذا الواقع انسحب على سائر اقاليم سوريا ومنها فلسطين — ا. ت.) على الاقل بينما تضاعف استهلاك البضائع المستوردة من وراء البحار".. (المصدر ذاته، ص ١٣٢).

نهاية الادارة المصرية العربية في سوريا

كتب لوتسكي أن الاوضاع في ذلك العهد لم تكن قد اختمرت بعد لتوحيد الامة العربية اذ كانت البرجوازية العربية في سوريا ضعيفة جدا ولم يقض على الاقطاعية.. (كتابه المذكور اعلاه، ص ١٣٢).

ولكن نهاية الادارة المصرية العربية في سوريا لم تحل بسبب تخلف نمو البرجوازية السورية — فالاصلاحات الاجتماعية — السياسية كان في وسعها أن تخلق الظروف لذلك.. وهذا ما اتضح حتى في المرحلة القصيرة التي مرت على تلك الادارة ١٨٣١ — ١٨٤٠.

كما ان التمردات، وان كانت قد اضعفت الادارة واستنزفت قواها العسكرية والمالية الى حد كبير، فلم يكن في وسعها "طرد الادارة المصرية في سوريا..

ونؤكد هذا لان ايجابيات الادارة وفعالية اصلاحاتها السياسية — الاقتصادية — وبخاصة ضربها الاقطاع وتشجيع الزراعة والصناعة والتجارة — ذلك كان يجرد المتمردين من التربة التي يقفون عليها لان نظامهم الاقطاعي عانى الازمة وولد مقاومة الفئات الشعبية الكادحة من فلاحين وعاملين.

اما نهاية النظام المصرى في سوريا فتعود الى عوامل خارجية حاسمة استفادت من مشاعر النقمة الشائعة آنذاك بسبب التجنيد وجمع السلاح..

وهناك مؤشرات عديدة تثبت ان السلطنة العثمانية قامت بدور هام جدا في تنشيط المتمردين وتزويدهم بمقومات المقاومة.. بل ان حاكم عكا السابق عبدالله باشا قام بتوزيع الاموال التي زوده بها "الباب العالي" لاثارة الثورات والفتن في جبل نابلس وفي خليل الرحمن والقدس.. وعمت الثورة واستغرق اخمادها مجهوداً استمر ثلاثة اسابيع. (الدولة العربية المتحدة، ص ١٥١).

ومع هذا فالعامل الحاسم كان تدخل الدول الكولونيالية الكبرى التي اتفقت على تصفية الحكم المصرى العربي في سوريا وتحجيم محمد علي.

البقية على صفحة ٨٩



عرض مسرحي ممتع، ومغامرة متميزة نحو مستقبل المسرح العربي

منذ الاول من حزيران تعرض على مسرح الاتحاد العام لنقابات العمال في دمشق، مسرحية الكاتب اميل حبيبي، لكع بن لكع، حيث تقدمها فرقة "المختبر المسرحي" السوري باخراج وليد القوتلي، وشارك في التمثيل ما يقارب العشرين ممثلا وممثلة من الهواة بعد تدريب استغرق ستة شهور.

وفي عدد الاثنين ١٩٨١/٦/٢٢ من "فلسطين الثورة" نشر مراسلها في دمشق، محمود شاهين، مقالا تقييما حول المسرحية، يسر "الجديد" أن تعيد نشره في هذا العدد.

لاكثر من ساعتين تسمرنا فرقة "المختبر المسرحي" على مقاعدنا ونحن نرقب مسرحية "لكع بن لكع" في اندهاش ومتعة. نضحك من اعماقنا وحمار "ست الحسن" يرفس بقوائمه على الخشبة، ويلفنا الحزن وتختلج الدموع في عيوننا ونحن نصفق "لرقصة الموت" في كفرقاسم؟؟ وننظر الى انفسنا ونتساءل مع بدور عندما تصرخ في بعض مشاهد المسرحية "لماذا كان علينا أن ندفع كل هذا الثمن؟ لماذا كان علينا أن نحمل كل هذا الزمن؟ لماذا كان علينا أن نحبو؟ لماذا كان علينا ان نكبر؟ لماذا؟ ماذا فعلنا يا الهي وماذا لم نفعل؟ ايختلف ليلنا عن كل الليالي بطوله؟؟"

وهكذا نضحك تارة ونبكي أخرى ونتساءل كثيرا الى ان يوشك العرض على الانتهاء، فنبصر بصيصا من النور، بعض الامل، في أن الليل الحالك لن يدوم، وأن الثورة آتية لا ريب فيها، طالما ان اللكعيين اللئام يتولون أمور الناس.

المهمة الصعبة

الذين قرأوا نص أميل حبيبي في السابق، تحدثوا عن استحالة تقديم النص على المسرح، وهناك من لم يخطر بباله أن هذا النص يمكن أن يكون مسرحا، فهو نص صعب، وغير تقليدي، ويزخر بالحكايا والاساطير والرموز الكثيرة، ويحتاج الى امكانيات هائلة.

وكانت المفاجاة عندما سمعنا

ان وليد القوتلي قد شرع مع مجموعة من الشباب والشابات الهواة في اعداد النص لتقديمه على خشبة المسرح، فتنبأ البعض بالفشل، وتكهن البعض بالنجاح، وهناك من راح يضحك واعتبر الامر طرفة، واجمع كثيرون على ان المخرج والممثلين يقدمون على مغامرة صعبة ومعقدة، وكانت جراة غير عادية. هذه التي اقدموا على العمل بها، وراحوا يعملون ويتدربون دون كلل، وبكل تفان لعدة أشهر، وضمن ظروف صعبة جدا، فلم يجدوا اي مكان لاجراء البروفات فيه فكانوا تارة يتدربون في النادي السينمائي، وتارة في البيوت. وكان هناك تخوف من ان العرض لن يرى النور.

وعدا هذا فالامكانيات المادية شبه معدومة والنص يحتاج الى دعم مادي ليخرج الى النور.

في ظل هذه الظروف مجتمعة، كانت الفرقة تعمل، وقد اظطر بعض الممثلين الى ترك العمل لهذه الاسباب وغيرها، فجيء بآخرين، وهكذا الى ان تبنت دائرة الاعلام والثقافة في م.ت.ف. النص، فقدمت بذلك ساعدة كبيرة تشكر عليها.

اشكالية النص

العقبة الكبيرة امام المخرج كانت اشكالية النص، فكيف يخرج بالرؤيا العنيفة الممكنة ليتجاوز اشكالية النص وصعوبته، ليصل الى الجمهور، كيف يخرج بالنص من الكلمة المقروءة الى الكلمة المجسدة فعلا وحركة، لتحطيم هذا الحاجز بين النص والعرض وان كان النص يحمل رؤيا اخراجية في داخله، كانت تروى على لسان الراوي.

لذا كان لا بد من استيعاب النص بشكل جيد، ومكث المخرج والممثلون قرابة الاشهر الثلاثة وهم يناقشون النص ويعدون العدة له. فكان لا بد من التركيز على الحوار وطريقة ادائه، باستغلال الطاقة التعبيرية عند الممثلين، ولابد من اللجوء الى اساليب فنية متعددة وايجاد الازياء والاكسسوارات المناسبة لتساهم في استجلاء ابعاد الشخصيات والرموز التي تمثلها. وكان لا بد ايضا من تشذيب النص ليظل متماسكا، بحذف دور الراوي والجمل السردية المطولة وغير ذلك.

ولقد ساهمت كل هذه الاجراءات مجتمعة في الاحاطة بمعظم الجوانب التي تمثلها الشخصية، وما تتحدث عنه. وهذا ما لم يستطع احد ان يتوصل اليه بسهولة من قراءة عميقة للنص، ولهذا شاهدنا الكثيرين يغيرون رأيهم في نص لكع بن لكع، ويعتبرونه عملا متميزا بعد ان شاهدوا العرض. يقول عبد الرحمن الحلبي في مقال نشرته صحيفة تشرين السورية في عددها الصادر يوم ١٩٨١/٦/٥ وتحت عنوان "لكع بن لكع عرض استثنائي لنص صعب" "حين طالعت هذا الكتاب في تشرين من العام ١٩٨٠ تساءلت: هل هذا نص مسرحي حقا؟ هل هو قصيدة ملحمية. ام جنى ادبي جديد" وفي فقرة اخرى يقول: "ولكن عيني لم تقعا على نص اكثر صعوبة واشد مرارة واعنف تقريعا من "لكع بن لكع" الى ان يقول: "بيد ان ما شاهدته على مسرح العمال امس الاول جعلني اعيد النظر بما اعرف، واضاف لي شيئا هاما حقا لم اكن قد تعلمته عبر سني حياتي الثقافية.." "ولهذا فلم يكن عرضا عاديا ذاك الذي قدمه المخرج وليد القوتلي تحت عنوان "لكع بن لكع" فمنذ ان تدخل ردهة البناء. تدخل صلب المسرحية. تقرا ملصقات تهيئك نفسيا ووجدانيا للمشاركة الفعلية، ليس كمشاهد، بل كمعني بالعطاء. ومعني في المأساة ومعني اكثر في صنع الخلاص".

شمولية النص

المضمون في النص، ليس كما عرفناه في المضامين المسرحية العربية التي سبقت هذا النص من حيث الشمولية. فهو لا يروى قصة اسرة معينة محددة الملامح، ولا يروى قصة فرد معين او قبيلة، كما في الملاحم الشعبية القديمة، وبنفس الاسلوب. انه باختصار يروي قصة فلسطين، ملحمة الشعب الفلسطيني بأهم ابعادها (الفلسطينية والعربية



ندى حمصي (ست الحسن) مع فائق رفيق .

والصهيونية واليهودية العالمية)، ويتناول الظواهر السلبية في الواقع العربي. هذه الظواهر التي تكاد تكون متشابكة ومعقدة. تعكسها اميل حبيبي بصدق. ومن هنا كان النص يتسم بهذه السمات: التعقيد والتشابك والصعوبة ولم يكن نصا سطحيا هشا، بل كان يغطي الابعاد جميعها. ولقد تجلى ذلك في الشخوص الفنية التي زخرت بها المسرحية وما كان يدور بينها من حوار شاعري ممتع. فكل شخصية من هذه الشخصيات، كانت ترمز الى جهة او جهات معينة، في "ست الحسن" على سبيل المثال ترمز الى الاستعمار الجديد و"بدور" الى الشعب الفلسطيني في الخارج و"السندباد" الشعب العربي والمهرج "وعي الشعب الفلسطيني — العربي" ونشعر انه من فلسطيني الداخل... الخ. لكن تحديدنا للرموز بهذا الشكل لا شك انه يحجم من بعد الشخصيات. فهي غنية اكثر من ذلك، وليس هناك شخصية الا وتحمل ابعادا رمزية عميقة ودلالات واقعية، وترتبط بالشخصيات الاخرى، بمدى ما تمثله تلك.

وتتسع المساحة التي تدور عليها الاحداث (غير المتتالية وغير المحددة جزئيا، من حيث مساحة المكان وطول الزمان) لتشمل العالم بأسره تقريبا. فهي تارة في فلسطين. او اى بلد عربي وتارة في بلد افريقي او اوروبي، وهي اما دارت قبل عشرات السنين واما دارت منذ فترة قريبة.

ان الغاء الزمان والمكان (بشكل نسبي) وتداخلهما (كما جرى في الفن الروائي على ايدى الروائيين الاوروبيين والامريكيين المحدثين) محاولة لاعطاء المسرح بعدا جديدا، قد تكون له اهمية كبيرة لمستقبل المسرح؟؟



(ست الحسن) تمتطي حمارها (بيترو) وتلاحق المهرج بسوطها.

تجاوز الدراما التقليدية

الدراما في مسرحية لكع، لم تبن على حدث يبدأ ثم ينمو ويتطور، ليصل بنا الى ذروة دراميه ينتهي بها العمل، كما في الدراما التقليدية التي تعتمد على الفعل والحدث الدراميين. لقد بنيت الدراما (هنا) على زخم المعاناة الداخلية للنفس الفلسطينية، ومعظم مشاهد المسرحية ولا سيما بين المهرج وبدور لا تتحدث الا عن هذه المعاناة، وبلغة آخاذة. اما المشاهد الاخرى، فهي توضح مسببات المعاناة من ناحية، وتفضح مسببيها من لكعيين وغير لكعيين من ناحية اخرى.

انها نفس الحال بالنسبة الى الشخوص. فهي تقدم بشكل جاهز ومدروس في معظم المشاهد وقد رسمت باتقان ولا تنمو وتطور بشكل تصاعدى كما في المسرح التقليدى، بل بشكل "لولبي" اذا جاز التعبير، فشخصية المهرج او شخصية بدور على سبيل المثال، تحافظان على ايقاع درامي متزن طوال مدة العرض، لكن كلما اوغلنا في سبر اعماق المأساة وكلما انطلقت اهاتها وعذاباتها التي تؤرق الوجدان، كلما اخذت شخصيتاهما ابعادا اكثر شمولية وعمقا وتراجيديا.

الاسلوب

اذا كان اميل حبيبي قد جهد ليكتب بشكل واسلوب جديدين، مستغلا ومستخدما الموروث الشعبي، من حكاية وقصة وسيرة شعبية، وطرفة وشعر، وغير ذلك، فان وليد قوتلي، قد جاهد ايضا، بل وغامر، كما غامر اميل حبيبي وجعلنا نشاهد وضعا متميزا، من حيث تعدد الاساليب الفنية، واستخدام الموروث الشعبي وتوظيفه، والاستفادة من مختلف المدارس الفنية.

فقد استخدم "وليد" "خيال الظل" ليروى لنا حكاية السندباد مع الغفل وشهرزاد، وقد وفق في ذلك.

واتبع الاسلوب الكوميدى في اخراج بعض المشاهد كمشهدى "ست الحسن والحمار" ومشهد "الشيخ الطرطور والعميان".

اما المشاهد الاخرى، فقد راوحت بين الاسلوب الواقعي، كما في مشهد "السياف والسيف" والترجيكوميدى كما في "رقصة كفر قاسم".

وهذا التنويع في التقنيات الفنية والاساليب الاخراجية وصبغ العمل بصبغة شمولية، او ذات طابع ملحمي يصعب معها تحديد المدرسة الفنية التي قد تنضوى تحت لوائها. واذا كان الاديب الفلسطيني المقيم في الارض المحتلة "محمد علي طه" لم يستطع ان يصنف "لكع بن لكع" ضمن اى لون من الالوان الادبية المعروفة، وتكهن بانها "لون اميلي" وقد تكون "الاميليا" فاننا لا نستطيع أن نصنف العرض الذى أخرجه وليد القوتلي وقدمته فرقة "المختبر المسرحي" ضمن اى مدرسة من المدارس المسرحية المعروفة، لكن في استطاعتنا القول انها مدرسة جديدة وقد تكون المدرسة التكميلية، او الاسلوب التكاملي الذى يستفيد من كل المدارس.

انها بدون شك مغامرة صعبة، اقدم عليها المخرج والممثلون، لكنها مغامرة متميزة ورائدة في اتجاه مستقبل المسرح في الوطن العربي.

الاضاءة والموسيقى والاغاني

لم تجر اى بروفات مسبقة على الاضاءة ولم ترافق العرض الا مع بدء عرضه الفعلي للجمهور، لذا فهي



نائلة لطائفي وبشار الفرخ على المسرح .

لم تستغل الى اقصى حدود الاستغلال وكان في الامكان الاستفادة منها اكثر، ومع هذا فقد ساعدت كثيرا على اضفاء جمالية عالية على بعض المشاهد واللوحات كمشهدي "رقصة كفر قاسم" و "الوطاويط".

انها نفس الحال بالنسبة الى الموسيقى، فلم يقم موسيقي مختص بتأليف موسيقى لمرافقة العرض، فلجأ المخرج الى اختيار بعض الالحان والاغاني العربية لترافق بعض المشاهد وكان موفقا في ذلك، لكن بقيت بعض اللقطات دون اى موسيقى او مؤثرات صوتية، وعلى الرغم من هذا لم نشعر بالحاجة الملحة الى ذلك.

الاغاني التي اداها "بشار الفرخ" كانت جميلة، وخاصة قصيدة توفيق زياد "اناديكم" نصوته يحمل طاقة تعبيرية جيدة، واداؤه مبدع ويستطيع التحكم بطبقات حيوية.

بالنسبة للديكور، لم يكن هناك اى ديكور يذكر، ولم نشعر بالحاجة اليه.

الممثلون :

تبادر الى اذهاننا في البدء أن المهرج هو بطل المسرحية، وعندما ظهرت "بدور" قلنا كلا، بدور هي البطلة، وبعد برهة تبين اننا على خطأ، فمعظم الممثلين في المسرحية ابطال (وان كان المهرج وبدور يقضيان أطول فترة على الخشبة، ويشكلان حضورا متميزا) وقد ادى هؤلاء الممثلون ادوارهم ببراعة متفاوتة:

فالمهرج "ناصر نعساني" ليس ككل المهرجين فهو لا يضحك، ولا يضحك، بل يبكي ويتألم، وتختلج عذاباتنا بعذاباته، انه "المهرج الفلسطيني" اذا جاز التعبير، الذي لا يضحك الا بابتسامات يخالجها الحزن. وقد ادى دوره ببراعة.

واحة الراهب (بدور) كانت مفاجأة لكل المشاهدين بموهبتها الفذة، وهي التي تصعد الخشبة للمرة الاولى. لقد جعلت الدموع تنحدر من مآقينا أكثر من مرة. في عينيها قدرة هائلة على التعبير. تعيش لحظات الفجيعة بالفجيعة، وعندما تصرخ منادية (بدر) بصوت مفجع من خلف كواليس المسرح : "بدر !!" نحس للحظات اننا في المسرح، فما نسمعه ليس صرخة وتفجع فتاة ذات صوت رخيم تمثل دورا في مسرحية بل صرخة ام حقيقية فقدت ولدها، او تخاف ان تفقده.

ندى حمصي (ست الحسن) طاقة فنية كبيرة، تستطيع ان تؤدي اى دور ببراعة، وكان اداؤها رائعا في ادوارها في المسرحية، وخاصة دوريها في (ست الحسن) و(الطبالة).

نائلة لطائفي (الجارية) تصعد الخشبة للمرة الاولى. وعلى الرغم من هذا، كانت مقتنعة وذات حضور متميز واخاذ على المسرح.

غاده صمون (شهرزاد) تمثل للمرة الاولى ايضا، وادت ادوارها بخفة ومرح وبراءة وبصوت ناعم حنون.

فائق رنتق (الناطور وقلب الاسد) كان رائعا في كل ادواره، واكثر ابداعا في دور الناطور، وخاصة في تقليد صوت السادات. وقد اضحكنا من الاعماق.

نبيل حلواني (شارب الدم، الحمار، السياف) ادى كافة ادواره بنجاح باهر، ويمتلك الموهبة الفنية التي تؤهله للقيام بعدة ادوار تمثيلية، ادى دور الحمار بمهارة فائقة.

بشار الفرخ: اضافة الى ادائه المبدع للاغاني، كان دوره في (أبو شارب) جيدا.

علي الشهابي (بدر) ادى دوره بنجاح وكان صادقا في انفعالاته.

رفيق عفيفي (أبو شاربين) كان مقنعا الى حد كبير.

لقد ادى الممثلون جميعهم ادوارهم بصدق واقناع، وكانت العلاقة على الخشبة بين الواحد والاخر، منسجمة الى ابعد الحدود. وجسدوا لنا الصراع واحاطوا بكافة ابعاده، وبذلوا مع المخرج جهدا كبيرا، في محاولة منهم للغوص في تخوم ماضينا البشع. وسبر اعماق حاضرنا الاكثر بشاعة. واستشراف آفاق مستقبلنا المجهول. فامتعونا، ولامسوا مختلف جراحاتنا، وضربوا على الاوتار الحساسة في حاضر افئدتنا، فامتعونا وقدموا لنا عرضا متميزا شيقا متكاملا، يجد الناس جميعهم ما يشدهم اليه. فالاطفال خرجوا من العرض وهم يرددون اغنيتي "اناديكم" و"طبل طبل مزيكا" ويتقمصون بعض الادوار، ويقلدون صوت السادات بمرح.

((عن فلسطين الثورة))

احداث * نشاطات * منشورات * من كافة ارجاء العالم ..
تصل الينا اخبارها عبر الجو .. وفيها ما يشد الانتباه ...

ست سنوات على الحرب الاهلية في لبنان

زياد الرحباني

الحرب جعلتني ادرك حقيقة ما يوجد في هذا البلد


زيـاد الرحبانـي

الذكرى السادسة لبداية الحرب الاهلية اللبنانية جعلتني ادرك ماذا يوجد في هذا البلد على حقيقته. لقد اظهرت الحرب ميكلية المجتمع اللبناني بكل وضوح، الطبقية منها والاجتماعية والعقائدية.

وشعرت ازاء هذه الحرب انه عليك بالضرورة ان تجد لك طريقا او اتجاها تسلكه، وان يكون واضحا ماذا تريد ان تقول وفي اى عمل كان، سيما وان هذه الحرب ما زالت ممتدة ولم تنته بعد. لقد حدث فرز عميق في هذا المجتمع، وقد تبدّل الاصدقاء والطائفيون منهم بخاصة. وبالنسبة لنتاجي، لقد توصلت الى فرز للعلاقات.. ونحن ما زلنا بجو هذه المرحلة نعيشها ونعايشها يوميا بمختلف علاقاتها وتشعباتها يوميا بمختلف علاقاتها وتشعباتها مع العالم. وهذه العلاقات ليست محدودة بـ ١٣ نيسان.

غادة السمان

كل مقاتل يغوص هو فرحي

دوما كان السكين على العنق. الكتابة "والسكين على العنق" هي الوضع "الاعتيادى". الكتابة هي وعي ذلك الوضع، ورفضه في آن معا. الكتابة محاولة لكسر السكين ولو بسواد الكين الاعزل وحده. الكتابة هي ذلك الجنون الصارخ: الرقبة المشحونة صدقا هي الاكثر صلابة من السكين..

ليست الامكنة وحدها التي تتربص بك: انك تتربص بنفسك. بذور الانتحار هي نفسها بذور الامل. اذا كان هنالك ما تطمح بصدق لتحقيقه، فهذا يعني أنك مستعد حتى للموت لاجل تحقيقه. الموت والحياة وجهان لعملة واحدة. التربص داخلي لا خارجي.

أنا لا أتمسك ببيروت. اني اتمسك بصدقي، وأعلن رفضي الانسحاب من البوءرة المتفجرة في البركان العربي.

لا اشعر بالفخر، ولا اشعر بالخوف، ولا بالقدرية، انني مصرة على ممارسة دورى كمواطنة عربية في مدينة يجب أن نساهم في تحويل مذبحتها الى ثورة

◄◄

على ما كان سائدا من قمع اجتماعي وذل سياسي وترهل طائفي وتنصل من الاسرة العربية .

يا صديقتي اقرأي معي هذه السطور المذهلة للشاعر اليوناني كافافي ، وافهمي ببساطة معنى صمودي هنا ، انه يقول :

وتقول لنفسك : سوف أرحل الى
بلاد اخرى الى بحار اخرى
الى مدينة أجمل من مدينتي هذه
من كل جمال لها في الماضي عرفته
لا أرض جديدة ، يا صديقي هناك
ولا بحرا جديدا
فالمدينة ستتبعك وفي الشوارع نفسها
سوف تهيم الى الابد
وضواحي الروح نفسها ستنزلق
لا سفن هناك تجليك عن نفسك
آه
الا ترى انك يوم دمرت حياتك
في هذا المكان
فلقد دمرت قيمة حياتك في كل
مكان آخر على وجه الارض؟

لا ضمانات في زمن الخيانة ، لكنك تقاتل كي لا تفقد رشدك على الاقل ، تقاتل كي لا تفقد ذاكرتك في زمن الانهيار . . . الكاتب هو اكثر المقاتلين صمودا : انه يحاول أن يحمي دماغ الامة من التدمير ، لاجمجمته وحدها ، كل شاب يسقط دفاعا عما أنادي به وأؤمن به هو جزء من جسدي وروحي . وكل مقاتل ينجو هو فرحي . الكاتب يتقمص المقاتل ، يرتع في جسده ويتلاحمان في لحظة الاضاءة التي تعارفنا على تسميتها تقليديا : الوفاة . لن تكون معاركنا غامضة المصير . لن ننسى رسالة أولئك الذين استشهدوا ، لقد فرشوا الطريق باجسادهم ومهمتنا أن نضيء لافتات الطريق لترشد الى الهدف .



غادة السمان

معرض الكتب الفرنسية المتعلقة بالاسلام

بين الثاني والخامس من حزيران/يونيو ١٩٨١ أقام المجلس الاسلامي في أوروبا معرضا للكتب الفرنسية المتعلقة بالاسلام والثقافة العربية والعالم الاسلامي . وقد تضمن هذا المعرض الذى نظم في قاعات اليونسكو ، نماذج للكتب والمعاجم والدراسات التي نشرت باللغة الفرنسية كلغة تعامل وثقافة ، ومن بينها بعض البلدان الافريقية ودول الشرق الاوسط .

وقد احتوى المعرض كذلك على نماذج عن المطبوعات التي أصدرتها اليونسكو حول الاسلام والثقافة العربية ومن بينها : الاسلام ومشكلة العنصرية ، السياسة الثقافية في العراق ، السياسة الثقافية في الجزائر ، السياسة الثقافية في المملكة العربية السعودية وغيرها . والكتب الادبية والعلمية والفلسفية العديدة التي ظهرت في مجموعة "الروائع الانسانية" التي تولت نقلها الى اللغة الفرنسية ، باشراف اليونسكو ، اللجنة الدولية لترجمة الروائع الانسانية (التي أصبحت منذ سنوات "اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع الانسانية) .

وقد افتتح المعرض السيد احمد مختار امبو ، المدير العام لليونسكو ، الذى أكد في الكلمة التي القاها ، على أهمية الحفاظ على الخصوصية الثقافية لكل الشعوب ، مع ضرورة الانفتاح على العالم والتبادل والتعاون بين مختلف الثقافات .



السيد احمد مختار امبو المدير العام لليونسكو ، يفتتح المعرض

حـول فيلم المخرج النصراوي ميشيل خليفـه :

الذاكرة الخصيبة

فيلم فلسطيني مدهش يفتح اذهاننا بقوة وشاعرية


ميشيل خليفي اثناء تصوير «الذاكرة الخصبة»


الفتاة الفلسطينية الجديدة والاختيار


التقاليد والمؤسسات الاسروية

يستحيل تلخيص فيلم ميشيل خليفة "الذاكرة الخصيبة" الذى عرض في "اسبوع النقاد" وكان من أقوى المرشحين للحصول على الكاميرا الذهبية، فيلم بسيط للغاية يحكي عن حياة امراتين تعيشان تحت الاحتلال الاسرائيلي. أرملة فلاحة هاجر أولادها وما زالت تحلم باسترداد قطعة الارض الصغيرة التي اغتصبها منها الاسرائيليون في العام ١٩٤٨. حياتها الصغيرة والتقاليد الفلسطينية في الغنا، والطبخ والعديد من التفاصيل التي تصور تراث شعب.

من ناحية اخرى سحر خليفة.. كاتبة، تدرس بعد طلاقها في جامعة بير زيت، وتعمل مع مجموعة من الشبان على خلق مسرحية صغيرة تعتمد على الاغاني والماثورات الشعبية الفلسطينية.

حول هذه الخطوط العريضة ينسج خليفة فيلما ساحرا في شاعريته عن عدة أشيا،: ذاكرة فلسطينية ما زالت حية وقوية للغاية داخل الارض المحتلة.. حياة العربي تحت الاحتلال.. وأخيرا هو فيلم من الافلام النادرة للغاية عن المرأة الفلسطينية ودورها في نقل هذه الذاكرة من جيل الى جيل.

المقارنة بين الفيلم الاسرائيلي والفيلم الفلسطيني تفرض نفسها. ففي الوقت الذى يأتي فيه الفيلم الاسرائيلي تعبيرا عن مجتمع عسكرى حتي النخاع لا تراث له سوى امواته، يعبّر فيلم خليفة عن مجتمع له تقاليده العريضة، وعن عقلية واضحة للغاية في انتمائها لشعب له تقاليده، ويأتي اثباتا قاطعا على أن هذا الشعب ما زال موجودا، وما زال يقاوم الاحتلال بشتى الطرق، وواحدة من هذه الطرق هي الذاكرة.



لا ذاكرة في الفيلم الاسرائيلي .. فقط ذكرى الموتى ، وعندما تقول ان فيلم ياكي يوشا جرىء ، فاننا نعني تماما ان جراته محدودة تماما ، جراة "الصقور" شبيهة بعض الشيء بجراة افلام مصرية مثل "على من نطلق الرصاص" أو "زائر الفجر" بعد ان اعطت السلطة المصرية الضوء الاخضر للاعلام في الحديث عن بعض القضايا التي تمس التجاوزات الديمقراطية (في عهد ما قبل السادات بالطبع) ، غرقت دور العرض المصرية في بحر من الافلام "الجريئة عن الديمقراطية . ولا احد منها تناول بالطبع جوهر القضية . كانت كلها افلام في حدود "ما بعد ١٥ مايو" فيلم "الصقور" جرى ، .. في حدود "ما هو بعد كامب ديفيد" ... فالحديث عن السلام في اسرائيل اليوم وضمن الظروف العربية القائمة لا يفيد الا اسرائيل ...



الشعر الفلسطيني باليونانية

ديوان "الشعر الفلسطيني الذى صدر باليونانية في اوائل هذا العام اهداء من الاتحاد العام لطلبة فلسطين — فرع اليونان الى الذكرى السادسة عشر لانطلاقة الثورة الفلسطينية ، كتاب فلسطيني آخر تقدمة المكتبة اليونانية بعد ديوان الشعر المقاوم الذى كان الاتحاد قد اصدره عام ١٩٧٧ .

والديوان مختارات من الاعمال الشعرية لمحمود درويش ، وسميح القاسم وتوفيق زيّاد ، ترجمت عن اصولها العربية واشرف على اعادة صياغتها شعرا ، أربعة من الشعراء اليونانيين المشهورين . ويستهل الديوان بمقدمة تاريخية عن القضية الفلسطينية ونضال الشعب الفلسطيني من اجل التحرير



غلاف الديوان

والاستقلال الوطني ، في عرض مكثف يتواصل منذ بداية هذا النضال ، وحتى الانتصار الفلسطيني في الامم المتحدة باتخاذها قرارا بادانة الصهيونية كحركة عنصرية .

وقد طبع من الديوان خمسة الاف نسخة ، وزع منها على المكتبات واكشاك بيع الكتب والمطبوعات في سائر المدن اليونانية ثلاثة الاف نسخة فيما ارسلت الكمية الباقية الى قبرص والى العديد من مواقع تجمع الجاليات اليونانية والقبرصية في بلدان المهجر الخارجي .

وكان الديوان مثار اهتمام واسع من قبل المثقفين والصحافيين اليونانيين من مختلف الاتجاهات السياسية والايديولوجية ، وقد جرى عرض عام له في صحف الافتيروتيبيا وتانيا والروزسباستي والافي ، ومجلة الاندي ، وغيرها من الصحف والمجلات اليونانية المركزية منها والاقليمية .

والكتاب يقع في ١٠٢ صفحة من القطع المتوسط وغلافه لوحة ملونة للفنان الفلسطيني اسماعيل شموط .



العدد السادس من مجلة المصير الديمقراطي



وصل الى هيئة التحرير العدد السادس (أيار ١٩٨١) من مجلة المصير الدمقراطي التي تصدر في بيروت . ويحتوى هذا العدد على مجموعة من الدراسات الفكرية والثقافية منها : تشكل البنية القومية في مصر ، الصحافة وايديولوجية الطبقة ، الاحزاب الاسرائيلية وحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني ، نقد الرؤية البرجوازية لتحرير المرأة ، السينما الناطقة باليديشية وقصة قصيرة بقلم محمود الورداني ومواد أخرى .



العدد الثالث من : البديل

كما وصل العدد الثالث من مجلة "البديل " التي تصدر عن رابطة الكتاب والصحفيين والفنانين الدمقراطيين العراقيين ، وكما في العددين السابقين اتحفتنا البديل بعدد من الدراسات والقصص والقصائد التي ساهم فيها عدد من الكتاب العرب العراقيين والفلسطينيين ، فهناك لمحمود صبرى

"يانيل" متغربين"

احنـــا المذاكـــرة والمناقرة ..
.. والعـــرق والـــدم ..
احنـــا المجاهدة والمناهدة ..
.. والشقـــا والهـــم ..
احنـــا اللي لابسين بدلة كاكي مبقعة ..
واحنا اللي لابسين عالصديري ..
.. جلابيـــة مرقعـــة .
....
احنا السواقي اللي دايرة ..
عالترع .. فـالليل ..
ومعلميـــن الصبر في المواويل ..
احنا وابور الحراثـــة ..
والملـــح والبـــزرة ..
احنـــا الحبـــا والنبق ..
والحـــب والخضرة ..
واحنـــا الغيطـــان الدهـــب ..
اللي بتحلـــب خيـــر ..
....
احنـــا كيـــزان الذرة ..
واحنـــا عيـــدان القمـــح ..
ولمة الجرن ساعتن ندرس الغلة ..
احنـــا الحطـــب والعجين ..
احنـــا الشبك والصياديـــن ..
والسهـــرة ويـــا القمـــر ..
والقعـــدة عالمصطبـــة ..
جنـــب البيـــوت الطين ..
....
احنـــا الجموع الغلابـــة ..
احنـــا دمـــوع الشمـــوع ..
واللـــي باعـــوك يـــا نيـــل ..
همـــه اللي باعونـــا ...
واللـــي باعونا وباعـــوك
لابـــد يتحاسبوا ..
لـــن يجـــي الفيضان ..
....

ابن النيل



حول "واقعية الكم" وتأملات في رقصة الدبكة لفواز طرابلسي ودلالة الشخصية الناقصة في الرواية الفلسطينية لعبد الرحمن بسيسو ودراسة لزهير الجزائري حول الثقافة والسلوك الفاشي، ويساهم غائب طعمة فرمان وموسى السيد ومحمود البياتي وحميد المازن باربع قصص قصيرة، وأمّا القصائد فهي للشعراء: محمد بنيس ومخلص خليل ونبيل ياسين وعبد الكريم قاصد ومنعم الفقير.





ملعون ابو ابوهم.. كنت ارعى الغنم... انفجرت الحديدة.. وبقي آخر بلا يد...

"ملعون ابو..ابوهم" .. قال وهو يحدّق بعقارب ساعته التي لفها حول زنده اليمنى..فاليسرى مبتورة وقصتها قصة..

قلت : "ملعون ابو..ابوهم"

كان هو الدليل الذى يسوقني الى البئر التي نبحث عنها.. وكلما رددت كلمة قالها،كنت احسّ انني امنحه الشعور بثقتي به..ليوصلني الى المكان الذى تطل عليه "كمبانية" ـ "غبعات تيللي" .. قبل غروب الشمس وسقوط ظلال الجبال على وادى ام الشوف..فنحن لا نقوم الا بعملية استكشاف،نبحث عن مكان ما..نسجّل..نصوّر ان امكن.. لا نترك اثرا على المكان.. بل يترك المكان اثره على قلوبنا.. اسرع ..الى أن يطلب مني ان اتوقف وننزل من السيارة ونتركها على جانب الطريق حتى لا يرانا احد عندما نقترب من السياج الحديدى الذى كتب عليه لافتة بالخط الاحمر: "ممنوع الدخول، من يخالف يعاقب" وكنا نعرف انهم اذا امسكوا بنا فسياخذوننا حتما الى مخفر الشرطة أو على الاقل سينزل علينا مختار "الكمبانية" اشد العقوبة : "عربيم" قذرين..ويبصق في وجوهنا.. ويكتفي بهذا القدر فيعوض عمّا لم يفعله في ذلك العام الاسود حين اراد أن يقذف بنا في البئر فهربنا وكل منا يختبئ في رحم امه..

"ملعون ابو ابوهم" قصة الساعة في الزند اليمنى .. تعود الى سنوات خلت: "كنت أرعى الغنم في ارض قريبة من معاوية..فعثرت على قطعة معدنية.. كان معي ثلاثة فتيان آخرين.. امسكت بالقطعة المعدنية..فانفجرت في يدى..وأصابتنا جميعا..وبقيت بلا يد.. وبقي آخر

بلا بصر.. وآخر بلا رجل.. والاخير ما زال نصفه حي ونصفه ميت.. حتى اليوم.. وليست هذه هي الحكاية.. ففي معاوية عشرات المشوهين.. قرية صغيرة تحيطها منطقة عسكرية مغلقة.. يتدرب عليها الجيش.. الرصاص كان احيانا يخترق شبابيك المدرسة.. فينبطح الاطفال على الارض.. قطعت يدى فقدموني للمحاكمة.. بحجة الدخول في منطقة مغلقة.. ملعون أبوهم.. دفعت غرامة الف ليرة.. يوم كانت الليرة ليرة.. "انتهت الحكاية.. فتوقفنا عند اللافتة المكتوبة بالخط الاحمر.. "لبطها" برجله اليمنى.. فاهتزت بعنف واحدثت دويا.. ثم انحنى ورفع السلك الفولاذى الشائك.. وقال: تسلل من هنا.. فانحنيت ودخلت..

وما نسينا..

قالوا: بدنا نعمل مدرسة وشارع ونطوّر البلد ثاني يوم: ما بقي حجر قاعد على حجر..

أذكر ام السناسل، بير المصرى، خلة الكوانة، دير الهوا، عين الشحيرة، البويشات.. ربما أن الكثيرين لم يسمعوا بهذه الاسماء.. طبعا لم يتعلموا عنها.. لكن في مخيم جنين يعرفها الكثيرون.. أوقفت الشرطة شيخا عند حاجز بوليس على الحدود. سأله الشاويش:

– من وين انت ؟

فاجاب: من البويشات..

قلب صفحات بطاقة الهوية.. لم يعثر على هذا الاسم.. اعاد السؤال.. سمع الجواب نفسه.. ولم يتركه الشيخ الا بعد أن رفع يده صارخا:

– هدمتوها يا أولاد الحرام.. قبل ثلاثين سنة.

قد لا يذكر هذا الشاويش كيف هدمت البويشات.. قرية صغيرة.. صغيرة جدا شمال شرق معاوية.. دخلت فرقة من الجنود في حزيران الاسود.. كانوا يركبون سيارة جيب.. وصلوا الى بيت المختار تعاملوا مع الاهالي بلطف لم يصدق.. قالوا:

– بدنا نعمل مدرسة وشارع ونطوّر القرية.

ثاني يوم دخلوا في نفس سيارة الجيب وقالوا:

– بدنا نفتش القرية.. اخرجوا ليومين ثلاثة..

اخرجونا.. ما وصلنا البيادر والا الفرقعة ولّعت... والبيوت انهدمت.. وما بقي حجر قاعد على حجر.. ومن يومها سيّجوا الارض وما سمحوا لاحد بالدخول.. يوم من الايام قال ابوى:

– جاى في بالي ازور البلد.. واشوف شو صار في ارضياتي.. حمل حاله وتسلل على ارضه.. وصلت دورية امسكوه واخذوه للمحكمة في اللد.. قال للحاكم: يا سيادة الخواجه.. هاى ارضي..

قال الخواجه: هاى منطقة عسكرية..

وحكموا عليه بدفع غرامة.. بقي خمس سنين يسدد فوائضها.. قائد الدورية كان اسمه الياهو.. منعرفه من "الكمبانيه" القريبة.. قبل الاحتلال كان عامل حاله صاحب لاهل البلد.. يوم من الايام سال عن عبد الحسن.. وحل عنده، قال صديقه من ايام زمان.. عبد الحسن ذبح خروف واكرمه.. بعد ما اتغدى روّح طريق البويشات على الطريق شاف بقرات على البيادر.. ومعهم طفل صغير:

سأله الياهو: ابن مين انت ؟

قال الطفل: انا ابن عبد الحسن يا خواجه.

قال الياهو: قبل شوي كنت عند ابوك.. وسحب البرن وقوّس البقرات واحده واحده في صباحهم.. ورجع الطفل يبكي على البيت ويحكي لابوه..

الله يرحمك يا عبد الحسن...

وما نسينا..

مثل مجزرة "خبّيزة" لا اسمعنا ولا شفنا... الله يجازيهم.. لا شفقة ولا حنيّة...

يعتدل الشيخ المشقق الوجه في جلسته على فرشة الصوف السميكة المبطوحة على الارض.. هذا وهذا من البويشات.. وهذا من الكفرين..

"ارض الكفرين يا خوى.. ارض غانمه".. صارت ملك "لكمبانيه" "عين هشوفيط"، حوّلوها مزارع بقر.. بقر" المبام " مسموح له يخش فيها.. بقرنا ممنوع.. هاى اخوة الشعوب اللي بيدعوها.. قايمين على اراضينا.. ومنشتغل عندهم عمال اجيرين.. وبيقولوا: اخوة شعوب.. اى "طز" على هيك اخوة يا سيدنا.. المهم... الكفرين كان عدد سكانها الفين وخمسمائة نسمة.. اكبر من ام الفحم.. كان فيها مدرسة.. ويصل اليها باص كل يوم.. يوم الاحتلال دخل الجيش، وطوّق البلد.. ونقلوا الاهالي لمعسكر قرب "رمات هشوفيط"، اخذوا قسم كبير من الرجال ونيّموهم على الواح الصبر وصاروا يدوسوا عليهم.. ليرعبوا الناس.. ومن يومها ما حد رجع على البلد.. ولا بقي لها اثر..

لم يكن مصير الكفرين افضل من مصير البطيمات.. هي كذلك قرية صغيرة كانت تربض على تلة تطل على وادى عارة.. لم يبق من تلك القرية اثر، ولم يبق لهذه اثر.. وعلى بير "ابو حجوه" اقيمت "كمبانية" "غالعيد"،

وما نسينا..

وما نسينا..

اسـمها.. بلد حتان والياهو جيرانا ايام زمان، كانوا يدخلوا بيوتنا مثل بيوتهم واعز. .قبل الاحتلال باكم من يوم اجا واحد عسكرى من "الكمبانية" وقال: احنا جيران، والانجليز اعداءنا واعداءكم.. يا عمي الناس كانوا بسطا كثير والهم الله ورسوله.. كانوا فلاحين وما بيعرفوا الخيانة.. هذا العسكرى قال لاهل البلد:

ـ بدى ادربكم على السلاح.. كل واحد عنده قطعة سلاح يجيبها ويجي على البيادر.. ما كان مع الناس ولا اي قطعة سلاح.. سلاحنا كان العصا والدبسه.. حملنا العصي ورحنا على البيادر.. وقفنا في طابور وصار العسكرى يدربنا.

ـ استرح.. استعد..!

ـ مكانك قف.. الى اليمين در.. الى الخلف اقتل!..

وهالشباب: تستريح وتستعد.. وتفتل على اليمين وعلى الشمال.. ولما تأكد انه ما في مع الناس ولا قطعة سلاح.. غاب عنا وتاني يوم والا الياهو داخل البلد مع فرقة جيش وصاروا يقوّسوا علينا.. ما بقي حد في البلد.. كلنا شردنا.. ونفس العملية عملوها مع اهالي ام الشوف وقنير.. حتى يطوّقوا خُبيزة.. المجزرة يا عمي صارت في خُبيزه.. والله، سمعنا عن جرائم وقتل ناس بالجملة.. لكن مثل مجزرة خُبيزة لا سمعنا ولا شفنا.. الله يجازيهم اولاد الحرام.. لا شفقة ولا حنيّة ولا انسانية.. احنا يا عمي ما فقدنا ايمانا بالله.. راح ييجي يوم يجازيهم على هالجرائم اللي ارتكبوها.. راح ييجي يوم..

وما نسينا..

النسوان والختيارية والاطفال وقفوا على جنب الشباب.. صفوا وركعوا على الارض..

في هذه الجهة ينتصب جبل.. وفي هذه الجهة ينتصب جبل.. ويتوسطهما واد يمتد من هناك وحتى هنا.. وادى ام الشوف.. حول بئر الماء تنتشر شجرات اللوز والتين.. عفوا.. كانت تنتشر في تلك الايام البعيدة.. القريبة.. على سفح الجبل "كمبانية" القرى المجاورة لم يبق لها أثر.. وقوات الجيش تحاصر خبيزة وام الزينات وكفر لام وعين حوض.. البحر من ورائكم.. والبئر من امامكم.. بين بساتين اللوز والتين اختبأ الياهو وحتان ودانيد المختار، وفرقة من الجنود.. معهم برنات ومترليوز.. وانتظروا وصول القافلة الاولى.. التي اخذت تنحدر عن الجبل على سرب وعرى.. الاطفال يركبون



على الحمير ومن تبقى يمشي خلف القافلة.. وصلوا عند حافة البئر.. فخرج رجال "الكمبانية" واوقفوهم:

ـ النسوان والختياريه والاطفال.. وقفوا على جنب!.

ـ الشباب.. صفوا واركعوا على الارض!.

كان الجبل يلقي بظله على الوادى.. صرخات الاطفال الصغار تصطدم بالمنحدر فتعود وتتسرب الى اذان الامهات.. الجلبه تحدث اصداء تبعث على التوتر والقلق... القافلة تسير.. تقطع شوطا في المنحدر، الانظار تلتفت الى الوراء.. تنبعث الطلقة الاولى.. يسقط شاب.. تنفلت صرخة تجلجل في الوادى.. الجلبه تبعث اصداءها على الموت.. طيخ.. طاخ.. طيخ.. طاخ.. تنفلت قيود الرشاشات.. زخة تسقط على الشبان الراكعين.. تتوقف القافلة.. امراة تلقي بطفلها على الارض.. وتعود مسرعة.. يصوب اليها احد الجنود البندقية.. طيخ.. طاخ.. تسقط على الارض.. يخيم، ما يسمى، بهدوء نسبي.. جثث الشبان الملقاة على الارض.. لا تتحرك.. ولا يطلق نفس.. يتقدم ثلاثة من الجنود.. يمسك احد باليد اليمنى وآخر باليسرى.. يجر الجثة الى حافة البئر.. والثالث يدفعها بقدمه الى الاعماق.. وهكذا.. واحد.. اثنين.. ثلاثة.. اربعة.. يتوقف الجندى عن العد..

يسرع.. قبل وصول القافلة الثانية.. من عين غزال.. او من كفر لام.. تختفي القافلة الاولى.. السكون يخيم.. الياهو يفرد كوفيه على فوهة البئر.. ينتظر.. يصل الحمار الاول.. يوقفه.. يتوقف الجميع..

وما نسينا..

مسكين، كنت آجي عليه يبكي مثل الطفل ظل يتحسر ويتعذب لمّا مات..

– النسوان والختياريه والاطفال.. وقفوا على جنب..

– الشبان.. صفوا واركعوا على الارض!.

كانت القافلة قادمة من صبارين.. اختاروا ٢٥ شابا.. واوقفوهم امام عيون اهاليهم واطلقوا عليهم النار..

" يا عمي اليوم.. لما نقول اوقفوا شباب واطلقوا عليهم النار منقولها بمدة لسان وبجرة قلم.. كان احسن زلمة راس ماله فشكه.. ابن داهود ابو الصياح، كان وحداني لاهله، سحبوه من بين الناس وقفوه عند البير حتى يقوسوه.. مسكين ابوه هجم عليهم وقال لهم:

– اتركوه.. طخوني انا واتركوا ابني..

قال له العسكري:

– لا.. هذا راح يصير جندى.

واطلقوا عليه الرصاص.. ابوه فقد عقله.. مسكين، كنت آجي عليه.. يبكي مثل الولد الصغير.. دايما يحكي عنه.. كان.. يشوف أولاد صغار على الطريق.. يناديهم باسم ابنه.. يفكر كل واحد منهم ابنه.. مساكين الاولاد ما كانوا يفهموه.. كانوا يخافوا منه.. ظل يتحسر ويتعذب لمّا مات قبل اكم من سنة..

بعد الاحتلال اجا اخي وقال: روح معي تا ام الشوف نجيب حطب.. وصلنا دار مهدمة.. دخلناها.. في غرفة من الغرف كان صخرة وتحتها جثة شاب فاتح فمه..

بئر ام الشوف.. تحوّل الى مصيدة.. لم يكن سرب آخر لقوافل المشرّدين من قرى المنطقة.. لم يكن بالامكان احصاء الجثث التي القيت في البئر..

يحاول الشيخ المشقق الوجه أن يتذكر.. "عشرين فى القافلة الاولى.. ٢٥ في الثانية.. القافلة الثالثة قتلوا كل شبابها.. يا عمي، اذا قلت قتلوا ٢٠٠ شاب مش مبالغ فيه.. الشباب كانوا يسقطوا زى العصافير.. جماجمهم بعدها ملقحة في البير.. بدى يا عمّي اقول هالكلمة وسجلها ليقراوها الناس: شعبنا بيحكي دائما عن دير ياسين.. مش بس في دير ياسين صارت مجزرة.. قولوا للناس ما يحكوا عن بلد واحده بس.. يمكن هاى البلد عرفت فيها وسائل الاعلام.. في كل بلد صارت مجزرة.. شو الفرق بين قتل واحد وقتل عشرين.. كلها جرائم.. ولو ظفروا بكل شعبنا لقوّسوه ورموا جثث الناس في الابار.. علّموا الشباب هاى الحقيقة.. ليعرفوا شو صار فينا.. وشو دبّروا لنا.. نحن اهل معاوية صمدنا.. حاولوا يرحلونا لكنا قاومناهم.. ثلاثين سنة وهم مطوقينا، اخذوا اراضينا وحولوها لمناطق مناورات.. عشرات من شبابنا مشوهين.. لكن.. مش راح نرحل يا عمي.. اذا كان نفدنا من مصيدة ام الشوف ولا مصيده راح تلقطنا..".





تتمة ما نشر في العدد السابق

الزواج والطلاق في اسرائيل

بقلم: مها خوري - عكا

يتسم قانون العائلة الاسرائيلي بخاصيته وتعقيداته. فبعد قيام الدولة تبنت الحكومة الجديدة القواعد القانونية التي كانت سارية المفعول في زمن الانتداب البريطاني على فلسطين. والانتداب البريطاني بدوره تبنى كثيراً من قوانين وانظمة الامبراطورية العثمانية. وتنص هذه القوانين على أن المواطنين في الدولة يخضعون في قضايا الزواج والطلاق للملة (للطائفة) اي ينتمون اليها. وعلى هذا الضوء فلكل طائفة محاكمها الخاصة، التي تبحث في قضايا احوال ابنائها الشخصية.

اذن عند قيام الدولة لم يكن هنالك قوانين خاصة بها، لذلك تبنت الدولة كما ذكرنا قوانين الانتداب البريطانية في اغلب الاحيان. في الوقت نفسه ضمنت وثيقة الاستقلال حريات الفرد وأكدت على المساواة الاجتماعية لجميع افراد المجتمع بغض النظر عن الفوارق الدينية والجنسية والعرقية. ولكن محكمة العدل العليا لم تعط لهذه الوثيقة اهمية قانونية ودستورية.

ومع هذا سنت الحكومة الاسرائيلية بعض القوانين التي تنظم العائلة كقانون سن الزواج في العام ١٩٥٠، الذي ينص على منع زواج الفتيات دون سن السابعة عشر، وقانون العقوبات الذي يمنع الزواج من اكثر من واحدة (واحد) في العام ١٩٥٩، والذي يفرض على مخالفيه بعقوبة السجن خمس سنوات. وقانون يسمح للمرأة بالمحافظة على أسم عائلتها بعد الزواج.

كذلك سنت الدولة ايضا بعض القوانين التي تؤمن حق المرأة في المساواة في بعض الميادين وبينها العمل والحقوق السياسية، ولكن القضية الهامة جدا والتي تخص حياة كل امرأة في مجتمعنا يهودية كانت ام عربية هي قضية الاحوال الشخصية، هذه لم تحل بعد. فالمرأة في نظر قانون العائلة الاسرائيلي هي سلعة يبتاعها الزوج ومهمتها الاولى هي أن تكون ربة منزل، امرأة تابعة لزوجها، اي رب العائلة ذي السلطة المقررة، الذي يحيل هذه العائلة ويحكمها.

وصادقت الكنيست على قانون مساواة حقوق المرأة في العام ١٩٥١. وكانت مهمة هذا القانون تغيير وضع المرأة في اسرائيل جذريا. وتحلى هذا القانون بملامح ايجابية، اذ قرر وضعا قانونيا واحدا للمرأة والرجل. كما نص على أن كل قانون يميز المرأة لكونها امرأة لا يسري مفعوله. ضمن هذا القانون حق المرأة المتزوجة في العمل والتعامل الاقتصادي كما لو انها عازبة.

لكن بالرغم من ان هذا القانون يحمل سمات دمقراطية الا أن البند الخامس منه ينص على أن هذا القانون لن يمس أو يغيّر قوانين الزواج والطلاق القائمة — اي انه في الوقت الذي يثبّت فيه حق مساواة المرأة بالرجل في ميادين العمل والمجتمع فهو يثبت التمييز بينها وبين الرجل في ميدان هام جدا وهو ميدان الاحوال الشخصية. وهذا يسد السبيل أمام تقدم المرأة ويحط من احترامها في العائلة والمجتمع. اذ يسلم حل هذه القضايا للمحاكم الدينية. وكما هو معروف فالمحاكم الدينية تعامل المرأة على أسس دينية تعود الى مئات السنين ولم تتطور مع تطور المجتمع والعلاقات القائم عليها هذا المجتمع. كما انها لا تأخذ بعين الاعتبار أن هذه القواعد الدينية قد سنت قبل عشرات القرون، ومن الممكن أنها كانت تحمل بعض السمات الدمقراطية بالنسبة للعلاقات السائدة في ذلك الوقت. أما اليوم ونحن نعيش في القرن العشرين وقد أصبحت المرأة طاقة فعالة وخلاقة في المجتمع وجزءاً هاما من قوى الانتاج فلا يصح تجاهل حقها في العيش بكرامة وفي التمتع بحقها في المساواة مع الرجل في العائلة. فالقوانين التي تجبر المرأة على العيش في ظل قوانين قائمة منذ القرون السحيقة هي لطخة سوداء في تاريخ دولة اسرائيل.

الزواج الديني

ويتجسم وضع المرأة بوصفها ملك زوجها (١) وعليها أن تفعل ما يحلو له وأن لا تخرج عن طاعته وأن تلحقه

اينما ذهب وان لا تفعل ما يغضبه في الزواج الديني ... فهذا ما تقرره مثلا مراسيم الزواج المسيحي، اى هذا ما يتلوه الكاهن مثلا على العروس في الكنيسة، وبذلك يجردها من شخصيتها وكيانها كانسان له عقل وتفكير مستقل. هذه هي نظرة الدين للمراة ومثل هذه النظرة تشيع في الدين اليهودى والدين الاسلامي.

وهذه النظرة الذكرية تسود الرؤيا الدينية ازاء العلاقات بين الجنسين. ففي المحاكم الدينية اليهودية (الربانية) لا تقبل شهادة المراة. ولا يحق لها ان تكون شاهدة على طقوس الزواج (شبينة) وعليها ان تاتي برجلين شاهدين عنها على عقد زواجها.

وفي المحكمة الاسلامية تقبل شهادة امراتين مقابل شهادة رجل واحد.

وما يؤكد ان عقد الزواج في الطقوس الدينية يمثل صفقة تجارية تعقد بين الرجل والمراة، يقوم الرجل خلالها بشراء المراة شرط المهر والمقدم والمؤخر في الزواج الاسلامي والعقد اى "الكتوبا" (٢) في الدين اليهودى. وهذا يشير الى ان الزواج يكون شرعيا فقط اذا حلت القضايا النقدية وحدد العريس "ثمن" العروس؟؟

اما قضايا الطلاق في اسرائيل فهي ماساوية اكثر من قضايا الزواج. ففي الدين الاسلامي يظهر تمييز وتحقير المراة، وكانها سلعة في يد الرجل يملكها ويتخلص منها متى يشاء. فيحق له ان يطلق المراة بمجرد كلمة ينطقها تؤدى الى حل الزواج وانهيار العائلة. وطبعا هذا الحق غير متوفر للمراة. اما اذا طلق الزوج زوجته بالثلاثة فالوضع اكثر ماساوية، اذ يحرم على الزوج ان يعقد قرانه عليها ثانية الا اذا تزوجت من رجل آخر وتطلقت منه، عندها فقط يحق لزوجها الاول ان يعود ويتزوجها ثانية. اما اذا تقدمت الزوجة طالبة الطلاق فهي تتنازل لزوجها عن الكثير من حقوقها ثمنا لهذا الطلاق.

اما في الدين اليهودى فالوضع اصعب بكثير اذ يرتبط مصير المراة كليا بالرجل. في حالة الطلاق، على الرجل ان يقدم ورقة الطلاق المسماة "جيط" لزوجته امام شاهدين حتى تكون طالقة. فلا يحق للمحكمة ان تطلقها بامر منها. كل ما تستطيع اتخاذه من اجراءات هو اصدار امر بسجن الزوج حتى يوافق على تقديم ورقة الطلاق لزوجته. ويبقى مصير الزوجة معلقا حتى يوافق زوجها على الطلاق. اما اذا غاب الزوج ولم تتوفر المعلومات الواضحة عن مكانه، او حتى عن وجوده في الحياة، فالزوجة تبقى معلقة بزوجها حتى تثبت وفاته. اما اذا ثبت "قانونيا" ان الزوج توفي وسمح للزوجة بان تتزوج ثانية، وفجاة عاد زوجها الاول عندئذ تجبر المراة على الطلاق من زوجيها الاول والثاني معا، وتفقد حقوقها تجاه الزوجين اما اولادها من الزواج الثاني فيعتبروا غير شرعيين (٣). اما اذا فقد الزوج ذاكرته او فقد عقله واصبح يتلقى العلاج



"الحليتسه"

لسنوات عديدة، فلا يحق لزوجته ان تطلب الطلاق طالما لم يعد زوجها لوعيه.

واذا توفي الزوج ولم يكن لزوجته اولاد وكان له اخ، عندئذ لا تستطيع الارملة ان تتزوج من رجل آخر الا اذا وافق اخ زوجها (سلفها) على ذلك. وتسمى طقوس تخلي اخ الزوج المتوفي عن ارملة اخيه "حليتسه". وهي لا تستطيع ان تعود وتملك حريتها الا اذا أجريت هذه الطقوس. اما اذا رفض اخ الزوج المتوفي ان يحرر ارملة اخيه فتبقى متعلقة به مدى الحياة ويجبر على الانفاق عليها.

ويحرّم الدين اليهودى زواج الذين ينتمون الى "الكهنة" (كوهانيم) من مطلقة. اما اذا حصل وتزوج كاهن من مطلقة فتجبره المحكمة الدينية على طلاقها ويحق للزوج ان يستولي على بيته المشترك مع زوجته وممتلكات العائلة وهو غير مجبر على اعطائها اى قرش من املاك العائلة.

الزواج المدني

ان مصدر رفض المحافل الحاكمة القاطع سن قانون زواج مدني في اسرائيل يعود الى تزمت القوى اليمينية المتدينة في الكنيست والى محاولتها السيطرة على





الاتجاهات الاخرى وفرض الزواج المدني على الاغلبية الدنيوية الساحقة في اسرائيل .

ان طابع الديانة اليهودية العنصرى يظهر في منع زواج اليهودى او اليهودية من غير طائفته، بذريعة المحافظة على نقاوة العرق اليهودى؟؟

وهذا يتأكد على ضوء ان ١٦ ٪ من السكان في اسرائيل هم من العرب . ان هذا الوضع عمليا يمنع الزواج المختلط في اسرائيل بين اليهود وغير اليهود . وطبعا هذا يضطر من يريد الزواج المختلط في بعض الاحيان الى اعتناق ديانة الاخر حتى يتمكن من عقد قرانه او ان يسافر الطرفان الى دولة قريبة حيث يمكن عقد زواج مدني فيها، وفي غالب الاحيان يسافر العروسان الى قبرص ، او يضطران الى عقد زواج بالمراسلة عن طريق محام في البلاد يوكل بدوره احد الاشخاص الذين يعرفهم في دولة معينة (عادة المكسيك) ان يعقد زواج وكيليه في احدى المؤسسات الحكومية هناك ومن ثم يرسل ورقة الزواج الى المحامي في البلاد . وكتب المحامي ا. بن مناشه يقول ان في البلاد اكثر من تسعمائة عقد زواج من هذا النوع ، وحتى الان لا يعرف مصير زواج كهذا (٤) .



اخيرا هنالك حاجة ماسة لسن قانون يعترف بالزواج المدني ويؤمن عقده في اسرائيل . وهنالك حاجة للتغيير الجذرى لقوانين العائلة والزواج والطلاق ولتأمين المساواة التامة للمرأة في العائلة ولتمكنها من ممارسة حقها كانسانة كاملة الحقوق .

---

١) علينا أن نذكر أن كلمة زوج في العبرية معناه مالك أو صاحب الشيء (باعال) .

٢) في الديانة اليهودية تبدأ علاقة الزواج بين الرجل والمرأة بعقد عقد قانوني يسمى "كيدوشين" ويكتمل الزواج بعقد العقد الثاني المسمى "نيسوئين" .والعقد الاول هو عبارة عن اتفاق او عقد مالي يعقد بين العروسين يبحث في قضايا الملكية بينهما ، ولا يمكن ان يكون الزواج شرعيا اذا لم يتم عقد هذا العقد أولا .

٣) ويطلق على طفل من زواج كهذا "ممزير" اى "بندوق" وهذا يعني طفل غير شرعي . وحقوق طفل كهذا مهضومة اذ يحرم عليه الزواج من "بنات اسرائيل" اى من فتاة يهودية (اى ولدت لام يهودية) ويجبر على الزواج من فتاة مثله ولدت من زواج غير شرعي أو فتاة اعتنقت اليهودية .

٤) يديعوت أحرونوت ١٦/٧/١٩٧٨ .

لوحة

العائدون

بقلم : رياض بيدس

الرياح تعصف في وجوه الرجال الخاشعة الحزينة. الاصوات الخافتة المهموسة سرعان ما تتلاشى بعد مضي ثوان معدودة. العيون تنطق بكلمات مجهولة صامتة. الاذرع المشققة الصلبة ترتفع في الفضاء الرحب. والتابوت مثبت ومتزن على اكف الرجال القوية.

احمد بطل.. اياك ان تبكي يا صادق.. لتجف حبات الدمع قبل ان تسح من مآقيك على وجنتيك.. ابتسم ابتسامة انتصار.. تلفت حوله باعياء.. القى نظرة افتخار على التابوت.. طفرت حبات الدمع من عينيه السوداوين، حاول ان يحبس دموعه خلف جفونه.. على الحزن ان يختنق ويموت في عالم الارهاب والخوف. العالم المكهرب والمشحون بالقهر والنهب.. اعتراه شعور قوى دافق بالتصميم والاصرار وهويشاهد الرجال بوجوههم المتجهمة وقلوبهم الحاقدة يشقون الطريق صوب المقبرة.

الرجال يبكون يا خديجة.. ليس البكاء مقصورا على الحزن.. امسح الدمع عن وجناتهم.. مات ولدنا في سبيل الارض.

خديجة تبكي.. امسح دموعها السواخن يا صادق.. واسها.. متى رايت زوجك تبكي؟؟ لم تحب الجنازات والاعراس.. لكنها صفقت وبكت بكاء الحزن والفرح: "ستبقى خالدا يا اذار؟؟".. الرجال يبكون الان يا خديجة.. يسحجون.. السحجة في عز الثلاثين من آذار.

عندما رآنا احمد نجر اغراضنا من الارض المصادرة طفى يومئذ حزن شديد على نفسه.. كادت الدموع ان تنساب من عينيه الخماويتين.. وجم لساعات عديدة.. كان طعامه وشرابه ونومه اللفافات وسحاباته الدائرية.. بدا اديم ارضنا امام البيت التي قمنا باخلائها بلون الرماد.. شعور طارئ داهمني يومها بأن الذكريات والخواطر الحزينة تتابع في ذهن احمد كشريط سينمائي يختزن في داخله كل الذكريات السوداوية والمفرحة، والغرفة مشحونة بحرارة الانفعال الصادق.. وروح احمد تكاد تتمزق وتتفتت من شدة الغيظ الذى تملكه بعد اخلائنا الارض.. انها تموت.. انها تموت.. حتى الارض تموت وتتلاشى..

الغراب سينعق فيها.. والبوم سيبني اعشاشه في جذوع زيتونها العتيقة.. او تقام البيوت فيها.. ما الفرق بين هذه الاشياء؟؟

أحمد مات.. في الامس كان بيننا يصبح بالحياة.. الان يضطجع في التابوت هادئا ساكنا.. مات ابنك يا صادق؟؟.. لتنعم روحك بالدفء اينما حلت؟؟.. لقد اصبح الامس بعيدا بعد السماء عن الارض.. أصبح مصحوبا بالالم والحزن.. احبني حبًا جمًا.. حبًا اعمق من اغوار البحر.. حبًا نزف دما.. في الامس حاول ابعادي لكنه سقط صريعا مكاني.. انا شبعت من الحياة.. قبل يومين غض بطرفه حين أخبرني أنه ينوى الاشتراك في اليوم الكبير، شده عندما اعلمته أني انا الاخر اريد الاشتراك.. عرف ان الارهاق يهدني هدا.. فحاول اقناعي في الغياب عن احداث ذلك اليوم.. الا ان حجم الغضب المتضخم في قلوبنا دفعني الى المشاركة.

الرياح ما زالت تعصف بوجوه الرجال المشرئبة واعناقهم المتطاولة.. الاف الخواطر تتنازعه.. احمد مات من اجلي... لا.. بل من اجل الارض.. تغيّرت سحنة أحمد في الهبة بين الفينة والاخرى، صعد في وجهه فجاة فيض من الدم احتقنت قسماته.. شعرت ان شيئا عظيما يختلج في اغوار نفسه الطاهرة.. احسّ بعمق انتمائه القوى الى الارض.. ارتباطه المغروس والنامي في تضاريسها.. لا.. لم يقدر على الانعتاق من الماضي العزيز بالذكريات القوية الارتباط في الارض ليطوف في وهم من أوهام المستقبل الجوفاء.. احساس غامر يدفعه الى الاندفاع بين الصفوف.. من حقه القيام بما قام به.. كنت حينئذ أقف في المقدمة منفعلا.. لا ادرى حجم البراكين المتفجرة داخل نفسي.. تدفقت بحمم كلماتي كما تعلو أمواج البحر الزبد.. تحوّل غضبي الاخرس الى غضب علني..



العائدون

يفلسفون الوضع حسبما يرتأون . . حين سألتهم عن سبب مصادرتهم الاراضي اجابني المسئول بان العالم ليس مبنيا على منطق . . انسحبت حزينا . حدثت احمد بما جرى . ابتسم وقال : "يبررون افعالهم حسب منطقهم العنصري" . . . وسكت .

xxx

ظهرت امارات الاسى والغضب على وجهه المتدفق بالحيوية والنشاط . . انه يلفظ النار المشتعلة في جوفه حمما ، داعيا اياهم لرد الاراضي الى اصحابها ولوقف المصادرة . . ران صمت مطبق على المسيرة . . ارتفعت "افواه" البنادق المتعطشة للدماء في وجوه المطالبين بحقهم : "اصبحوا يشكلون خطرا . . يجب التخلص منهم وتفريقهم ؟ . ." . . اتبع الضابط ذلك ببسمة ساخرة ارتسمت على اطراف شفتيه منتظرا الاوامر . . ثم عقد ما بين حاجبيه كمن تذكر شيئا مهما . . احذر يا صادق ولدك . . يثور ويزداد عنفا . . ابتسم صادق ابتسامة زاوية وقال في ذات نفسه : "الان انتهى عنف احمد" . . احمد لا يخاف سلاحهم . . انتبه الى حدة غضبه . . انه يندفع الى الصفوف الامامية . . "سلاحكم لن يخيفنا" . . الجنود يقفون متاهبين . . الوضع يتدهور : "يجب وقف هذه الهبة الشعبية . . انها تحد واضح" .

انتبه الى الثورة المحتدمة في صدر ابنك الذى تعتمل فيه قوى الغضب والحب والامل والرفض . . . الارض تميد تحت اقدام الرجال المتصلبة . . تهتز طربا . . انهم يدافعون عنها . . لاجل ثراها المقدس . . يقدمون حياتهم ثمنا لها .

ترتفع أصوات الرجال هادرة . . تشق عنان السماء شقا . . الجنود يرطبون شفاههم المتعطشة الى . . ينتظرون التعليمات . . يتحرك الجنود كشخوص لعبة الشطرنج التي تحركهم يد عليا . . الموقف يتأزم . . يبلعون ريقهم بصمت .

الرجال يتقدمون . . تنطبع بسمة حزينة على شفة صادق وهو يفيق ويلقي بنظره خاطفة على التابوت . . يطاطئ براسه ثانية . . انهم يتحركون صوبنا . . الجنود عابسون . . الضابط متطلب الجبين . . الحق علي . . لقد خاف بان اصاب بأذى . . عرف بأني كنت اتحول الى كتلة من الغضب والعنف . . توجب عليه أن ينتبه لحركاتي . . لا أن يثور هو كذلك . . . لقد تحوّل الحب في قلبي آنذاك الى شيء اسمه الارض . . الامل امسى ارضا . . في الليالي الماضية كانت جزيئات التراب الصغيرة تنقلب في ضوء القمر او في وهج القمر المنير الى تبر منثور . . الحياة كلها اصبحت بعدا آخر للارض . . كل الاشياء اصبحت تجسيما للارض الخصبة .

هدأ احمد . . تبادر الى ذهنه فكرة مراقبتي . . التفت اليه فالفيته يحدّق فيّ بذهول . . كان وجهه ممتقعا بين أذنين مزرقتين من شدة البرد . . تخبط في مشاعر من الخوف . . قدحت عيناه شررا . . ولمعت لمعانا غريبا . . وجهه صارم . . في هذه الغربة والتشتت وجد خلاصا موقتا . . لاحظت أن يده ضغطت على فخذه بحركة لا شعورية ، وهذه هي عادته عند الغضب . . اذ تنبسط اصابعه ثم يعود يجمعها من جديد في قبضة حديدية . . كي يضغط بها على خاصرتيه ومنكبيه . . ليفرغ ما في قلبه من غضب وثورة . . علامات التساؤل طافت على وجهه الممتقع الحزين : "لماذا فعلت هكذا يا بني ؟؟" . . ليكن ما يكن . . انه مات ميتة فخر .

الجنود يقفون . . الضباط يامرون بتصويب البنادق . . صرخ فيهم : "سلاحكم سيتحول الى رماد تذروه الرياح" . . وللمرة الثانية كانت أنظار احمد تتعلق في تحركاتي العصبية المتشنجة . . أحسّ أحمد أنني في دوامة الخطر . . قد تصيبني احدى الرصاصات . . وللمرة الثالثة ترتسم على وجهه اسئلة موجهة الي . . . وهذه الاسئلة تغوص في عالم الغضب المعتلج في نفسي الثائرة . . لم ادر ماذا يدور حولي . . الخطر محدق بي . . ونظرات احمد المتواصلة . . اندفع بين الصفوف محاولا ابعادي عن منطقة الخطر . . احسّ بان انياب الذئاب المحيقة بنا اصبحت تشكل خطرا علي . . لم آبه له ولتصرفاته الغريبة تجاهي . . تابعت شق طريقي غاضبا . . العنف يطرق مصاريع قلبي طرقا شديدا . . الغضب المحتدم في ذاتي يتفجر . . يتفجر حبا والما ورفضا . . وبينما كنت غير حافل بقبضة يده التي تضغط على ذراعي سقط احمد صريعا بعد اصابته رصاصة احدى الزخات المتتابعة . . شد بقوة على ذراعي . . احسستها انها تكاد تنسحب من مكانها وهو يضغط ويتلوى ويرتمي . . ساعتذاك صفعني بعد أن شاهدت ولدي يصرع لاجلي . . لا . . من اجل الارض المقدسة .

xxxxx

لماذا يناضل الانسان ما دام لا يملك شيئا يعزيه في هذه الحياة القاسية ؟؟ . . ما جدوى كل هذا ؟ بقي الانتصار عالقا في الاذهان يا صادق . . ظل شامخا شموخ الجبال وحكمة الحياة الابدية . . متعاليا في لجة نفوس الرجال الجبارة التي لا تعرف طريق الهزيمة .

xxxxx

الاكف المشققة تتشنج تحت ثقل التابوت . . الرجال يقتربون من المقبرة . . . يفيق صادق للحظات من سباته . . عيناه الغائرتان تسحان دمعتين ، وجهه الشاحب ينكمش وراسه ينحني .

الان بدا الحزن بالانحسار عن وجوه الرجال . . لذة الكفاح العميقة تطغى على نفوسهم الشهمة . . فلذة كبدك يا خديجة امست في عداد الاموات . . حضر الرجال . . لاتحزني . . لقد زرع روحه الطاهرة في نفوس

رافت الزهيري

خضر خلايله

خير ياسين

محسن طـه

رجا ابو ريا

خديجة شواهنه

المناضلين والثكالى واليتامى . . زرع للتفاؤل معنى في نفوسهم . . . لا ادرى كيف أواسيك يا خديجة بعد عودتي ؟؟ . . لن اقول كلاما مألوفا . . احمد يستحق اكثر من الكلام العادى والمجوج . . لكن احب ان اخبرك بأن الشهداء يعودون كل سنة في آذار، الشهداء يأوون في بيوتهم في كل سنة في الثلاثين من آذار . . سيعود احمد وينمو ويتكاثر فينا وبنا كل سنة في مثل هذا اليوم يا خديجة .

xxxxx

كانت الزفة في عز الليل والنهار . . القرية كلها كانت جاهزة للزفة . . زفة الشهيد أحمد . . لم يمت . . لا . . اكاد لا اصدّق هذا . . وما يزعم كل الناس عن استشهاد البطل احمد . . سيبقى خالدا . . اقترب الرجال يا خديجة . . كنت جريئا حين طلبت منك تحضير نفسك للزفة قبل دفنه . . ان الحزن والحب والامل تغزو قلبي في كل لحظة يا خديجة . . قلبي المفعم بالحزن صار يطفح رجاء . . . اعرف انك الان تجلسين وحيدة في البيت العارى من حب أحمد الدافئ . . غدا البيت باردا . . لكن البسمة الظافرة تنغرس في قلوب الاطفال وتلتصق صورتها على وجوههم المشرقة . . تتمخض الارض عن حب جديد يعرف الغربة في وطن تائه . . عرفت كم تمنيت المجيء معنا . . لكن لا . . . الكل يعرف أن أحمد استشهد في سبيل الارض . . وهذا اعظم عزاء تركه لنا في هذه الحياة العريضة . . انه يرفع الراس . . شجاع . . الرجال يشعرون بزهو وخيلاء وهم يرفعون التابوت .

تعالت الزغاريد من كل حدب وصوب . . صفقت الامهات . . زغردت خديجة وهي تذرف الدموع الساخنة . . صفقت ورقصت النساء وهن محلولات الشعر حول جثة أحمد المسجاة في الردهة . . وبحلق الاطفال في جثته الهامدة بصمت .

كفكفي دموع الحب والالم عن وجوه الرجال . . . قد تدعون بأني اصبت بمس من الجنون . . لكن كل المشاعر الجياشة في نفسي انتابتني في لحظة موته . . بكيت : "احمد لم يمت . . انه سيبقى ماثلا بيننا للابد " . . "شد حيلك يا صادق" . . "احمد شهيد يستحق الثناء والتقدير " .

التابوت يرفع على الاكف والزفة تزداد زخما . . الرجال يودعون احمد الوداع الاخير . . وامه تودعه للمرة الاخيرة .

— الوداع يا احمد . . كنت . . في كل سنة تزهر الارض الرياحين والزهور فوق قبرك . . ان الارض تحن الى روحك البريئة الطاهرة . . . لقد مات . . انتهى . . وكبر الحب في وطن يعاني الكابوس . . الاكف تتراخى . . الدموع تترغرغ في عيني صادق . . الرجال يهيلون التراب عليه بتؤدة وصمت . . وصادق يعيش في عالم بعيد .

قطع الرجال حبل تفكير صادق الشارد قائلين بخشوع :

— البقية في حياتك يا صادق . . أحمد شهيد . . .

لفحة باردة تلفح وجه صادق المتصلب . . أفاق من سباته وهو يعود ادراجه الى بيته مع العائدين ماسحا دموعه باطراف كمه . . متمتما :

— . . . . مع السلامة يا أحمد . . اننا عائدون مع الحزن العميق والانتصار . . . .



ترجمة وليد دسوقي

تحت الدالية

قصة للكاتبة البلغارية كالينا تسانيفا

شرعت الوالدة في اعداد المائدة بينما كنت انزع معطفي المبلل . وصلت دون ان ابرق لها ، لذلك سوف نأكل من الموجود . ووضعت امامي صحنا من القمح المغلي .

— احضرته سابا ترزييكا . مات الجدمارين «١» اليوم كان اسبوعه . كلي وتذكريه ، وترحمي عليه ، ليغفر له الرب .

— مم توفي ؟

— انهكه السرطان . ذلك الفقير كم كان يحب الحياة . رغم هذا فقد مضى هو الاخر .

آكل القمح وافكر بالجد مارين . آخر مرة التقيته كانت في العام الماضي في مثل هذا الوقت . عرف بوصولي فمر لرؤيتي كعادته . جلس تحت الدالية بينما دخلت لاحضر الراكيا «٢» حذرتني الوالدة من ان اصب له كثيرا لانه عندما يشرب ، يتحدث كيفما اتفق دون وازع . لم يكن يجرؤ على الشرب والحديث امامها ، لانها كانت توقفه عند حده .

حسا الجد مارين الكأس الاولى والتفت الي :

— ايه ، كيف الحياة في صوفيا ؟ متى ستبنين الشقة ؟ ابوك يدخر كل ما يتيسر له ليساعدك . اذ بدأت العمار ، وكنت لا ازال حيا ، فسأعطيك انا ايضا راتب تقاعد شهر . لماذا سأدخر المال ؟ لن احمله معي الى القبر . بالله عليك املئي كأسا اخرى .

ارتطم الكأس بالسن الوحيد في فمه .

— ايه ! دارت الشربة ! سقى الله ايام الخير . مرت. اذ ذاك كانت

تحت الدّالية

الصبايا يأتينني في طلب النعنع اليابس . كن ينتظرن في الخارج . لم يكن يجرؤن على الدخول والنزول معي للقبو ، خشية ان اعاكسهن . اما اليوم ! اليوم يدخلن ويخرجن ، وكانني غير موجود . اقول لهن : خذن ما شئتن . عندما اموت تأتين لرش الماء على قبري ... ما اوفر حمل الدالية هذا الموسم ! انظري الى العناقيد تئن متدلية .

قال ذلك وهو ينظر الى العنب بعين ، وبالاخرى يرمق والدتي التي خرجت في تلك اللحظة لتقلع بعض البصل من الحديقة . عندما دخلت الوالدة ، تجرأ وصب كأسا وقدمها لي . صبي ! اما انا فلن انساك . بمجرد ان تبداي بالعمار لك مني ثلاثمئة ليفا «٣» ليس لي اولاد . ساحسب انني اعطيت المبلغ لابنتي .

كان له ثلاثة اولاد . اختطفهم السل ثلاثتهم . وكان له بيت متواضع نادرا ما يرى الشمس والهواء . انا لا اتذكره .

ــ كم كدت هاتان اليدان ! كم شربنا وغنينا انا وابوك . لكن ايام الخير ولت . اليوم عندما اصادف صبية ، اغمز لها بطرف عيني ، اقول لها كلمتين بالانجليزية ، واتابع سيري .

منذ طفولتي كنت اعرف انجليزيته كان يهتف عندما يلقانا :

ــ هيا ! اركضن لتنمن عند امهاتكن !

وكنا نجيبه دائما نفس الجواب الذي كان هو قد علمنا اياه :

اذهب انت لتنام عندهن !

اذ ذاك كان يبتسم ابتسامة ذات مغزى ، ويتمتم بعض الكلمات . تلك الكلمات لم نعرفها ابدا . ننظر الى فمه . اما هو فيهز راسه : هوم ! كنا صغارا لم نكن نعرف الانجليزية ...

ــ من يستطيع ان يتصور انه من تلك البنت الصغيرة الهزيلة ، ومخاطها سائل على فمها يمكن ان تخرج هذه المراة الجميلة ! مواطنة كاملة ! اسمحي لي فقط ان اقول لك انني غير موافق على هذه الاظافر الطويلة . لماذا تتركينها تطول هكذا ؟ واسوأ من ذلك هذا الصباغ عليها . هذا ما تفعله الغجريات .

اخبىء اصابعي ، ينظر الجد مارين الى الزجاجة فاملأ له الكاس . يدلقه في جوفه ، فتشع عيناه المختبئتان وسط التجاعيد ، محمرتين كعيون الشباب عندما يشربون .

ــ تذكري وعدي ! لن اتراجع عن مساعدتك في العمار . لك مني خمسمئة ليفا ، لتذكريني بالخير عندما اموت . ستقولين : « ذات يوم كان يعيش جدا اسمه مارين . مات لكنه لم يشخ » . اتمنى على ربي ان يضبني في الخريف . لم ارتكب الخطيئة مع اية امراة . كل خطيئتي انني اثرثر . لعله يستجيب لامنيتي . اذ كم اخاف ان يستدعيني في الربيع سيكون هذا اكبر عقاب . ففي الربيع تخرج النساء بدون جوارب ، وتكون سيقانهن بيضاء فتاكة .

رسن ابوك الدالية في الوقت المناسب ، فنجت من الصقيع . ما اجملها دالية ...

اتطلع الى الدالية ساهمة ، والجد مارين ينتظر ان تمر والدتي بالحرش ، ذهبت لتحلب البقرة . يشرب الجد ويتفحص ركبتي بعينيه ، لكنه لا يجرؤ على قول اي شيء .

ــ زرعت قليلا من الذرة امام الخشة . ارويها بانتظام ، واراها الان تغص حباتها بالحليب . عسى الا تأكلها العصافير .

رمقت امي الزجاجة بغضبودخلت البيت .

ــ يجب ان يبقى هذا الحديث بيننا نحن الاثنين . ليكن في معلومك انني لا امزح . غدا احضر لك الف ليفا للعمار . لقد وعدت ولست بالذي يتراجع . اما الان فيجب ان امضي لان جدتك سابا ستبهدلني .

تناولت الزجاجة الفارغة وسألت الوالدة :

ــ من اين للجد مارين بكل هذا المال ؟

ــ جالسة تستمع لعجوز سكران وتصدق اكاذيبه . للاسف ، متعلمة ولا تعرف شيئا عن الرجال ...

في اليوم التالي ، وكنت اعد حقيبتي ، سمعت من يطرق الباب . كان الجد مارين يقف هناك وعبه منتفخ . مد يده داخل القميص المهترىء . اخرج اكوازا من الذرة . وضعها عند قدمي .

ــ خذيهم معك تربانا مني الى صوفيا . اسلقيهم ، انا لم يعد لي اسنان . ستة اكواز مليئة كستة خنازير صغيرة . هذا مني لتتذكريني . لا املك شيئا اخر لاعطيك . اتمنى لك العافية . وسامحيني اذا كان قد بدر مني ما يسيء .

مطر الخريف البارد ينقر النوافذ ، وانا اكل القمح واطلب من الرب ان يغفر للجد مارين ، واقول لنفسي : « اذن فقد حقق الرب امنيته » وضبه في الخريف حيث تلبس النساء جوارب » ..

ترجمة : وليد دسوقي .

« ١ » يخاطب البلغار كبار السن بكلمة جد او جدة .

« ٢ » المشروب الوطني في بلغاريا .

« ٣ » وحدة النقد البلغاري .

مفكرة

حوار مع جلاد

كانت الصدفة وحدها هي التي جمعت بين محرر قسم التحقيقات في جريدة الجزيرة اليومية السعودية، وبين الجلاد "السياف" صالح بن خميس بن علي جلاد امارة منطقة الرياض حاليا، والتلميذ النجيب لجلاد عمال المنطقة الشرقية في نظام آل سعود الامير عبدالله بن جلوى. وفي هذا الاجتماع بين محرر التحقيقات والجلاد دار الحديث التالي:

– حسنا قل لي كيف كانت بدايتك مع هذه المهنة؟

– كانت بدايتي مع هذه المهنة في عهد المغفور له الامير عبدالله بن جلوى.. امير المنطقة الشرقية السابق حيث كنت مع والدى وتربيت في قصر سموه ولما اشتد ساعدى اخذ سموه يعتمد علي في تنفيذ أحكام القصاص.. ضربا بالسيف، وقد تدربت على ذلك تدريبا كافيا؟؟

– حسنا قل لي كيف كانت البداية لديك؟

– بعد صلاة الفجر من احد الايام استدعاني الامير بن جلوى رحمه الله فجاة وقال لي يجب أن تذهب اليوم لانزال عقوبة القصاص بفلان ضربا بالسيف.

– من هو فلان هذا؟

– كان جنديا قتل ضابطا من زملائه دون وجه حق وصدر بحقه قرار شرعي ؟؟يقضي بقتله قصاصا..

– وذهبت طبعا دون أن تعترض أو تتردد ؟

– ولماذا أتردد؟؟ طبعا ذهبت حيث يوجد المحكوم عليه بالقصاص ونفذت فيه العقوبة الشرعية؟؟

– وعندما رأيته هل حدث عندك شعور ما ؟

– ابدا.. فهو مجرم.. وصدر بحقه حكم شرعي وواجب انفاذه بحقه وقد حملت السيف وبعد أن تلي بيان جريمته والحكم عليه بالقصاص نفذت العقوبة به وكان ذلك طبيعيا؟؟

– يعني قتلته..؟؟

– نعم وبسهولة لم أتوقعها من نفسي..

– وبعد ذلك ؟

– عدت الى قصر الامارة بشكل طبيعي وعادى للغاية وجلست مع "الاخويا" العاملين بالامارة كالعادة؟؟

– ألم تتاثر ولو داخل نفسك..

– لم أتاثر كثيرا، فقد كان تاثرى فقط داخليا واخفيته لانها كانت المرة الاولى التي أقوم بها بتنفيذ القصاص وشعرت أنني نجحت في هذه المهمة، ولذلك كنت مرتاحا نوعا ما لنجاحي في أول مهمة..؟؟

– وهل تناولت وجبة الغذاء ذلك اليوم كالمعتاد؟

– نعم تناولت وجبة الغذاء ذلك اليوم بشكل عادى.

– وعندما عدت لبيتك وزوجتك ماذا حدث؟ كيف استقبلتك ؟

– عندما عدت الى بيتي كنت طبيعيا واستقبلتني زوجتي بشكل طبيعي أيضا ولم تقل شيئا حول الامر..

– ولكن لماذا اختارك سمو الامير عبدالله بن جلوى انت بالذات ؟

– اختارني لانه كان يثق في جدارتي وفي مقدرتي على الضرب بالسيف دون اخطاء تؤدى الى تعذيب بالمحكوم عليه بالقتل ؟؟؟

– بعد هذه المهمة أصبحت هذه مهنتك ؟

– نعم وأصبحت امارسها بشكل عادى وطبيعي منذ ذلك الوقت حتى الان...؟؟

– وهل تنفذ القصاص في النساء ايضا ؟

– نعم فانا انفذ العقوبة بحقهن أسوة بالرجال ولكن ليس بالسيف...

– اذن كيف تقتل المراة المحكوم عليها بالقصاص؟

– انها تقتل بالرصاص في مؤخرة الراس بعد ان تلف بكيس يغطيها..؟؟

– على ذكر الشعور بماذا تشعر وانت تتوجه الى المكان الذى تنفذ فيه عقوبة القتل باحد الاشخاص؟

– حتى لا تسالني سؤالا مشابها لهذا فيما بعد.. دعني أقول لك منذ الان انني لا اتاثر على الاطلاق ولا أشعر باى شيء أكثر من أنني اذهب الى القيام بالواجب ؟؟ بهدوء واطمئنان.

– لا اصدق فكيف يمكنك عدم التاثر وانت ذاهب لقتل انسان ؟

– بل يجب ان تصدق فهل انا اقتله دون سبب ام انني انفذ حكم الله فيه ... ان تنفيذ العقوبة حاصل لا محالة سواء قمت به أم قام به غيرى فما هو وجه الغرابة حتى لا تصدق ؟؟

– ولكن بين رفع السيف في يدك ونزوله على العنق

هـذا الحديـث نشـر في صحيفـة الجزيـرة السـعودية في العدد الصادر بتاريخ ٢١ نيسـان ١٩٨١ ، انه يقول كـل شـــيء . .

هناك لحظات رهيبة بماذا تشعر فيها ؟

ـ لا اشـعر بشيء على الاطـلاق كما قلت سـابقا . . لقد احرص واركز اهتمامي على وضع السيف بحيث يكون سـقوطه على المكان الصحيح تكون ضربة واحدة حتى لا يحدث خطأ يؤدي الى اعادة الضربة وبالتالي زيـادة ايلام المحكوم واطالة ذلك الايلام ، واظن ان هذا امـر مهم للغاية لان الهدف انزال العقوبة الشرعية وليـس تعذيب المحكوم عليه؟؟؟ وهـذه مهمتي واشـعر انه يجب عدم ارتكاب اي خطأ ؟؟

ـ واذا لم تفلح في انهاء مهمتك بضربة واحدة؟

ـ العادة انني انهي مهمتي بمجرد ضربة واحدة واذا لم افلح اعيد الضربة وهـذا جائز شـرعيا؟؟؟

ـ الم تتوقف عن هذه المهنة منذ بدات تمارسـهـا حتى الان ؟

ـ بلى توقفت عنها لفترة بعد ان اسـتقلت من امارة المنطقة الشرقية ثم عدت وتعينت في امارة منطقة الرياض . .

ـ لماذا انت في نجـران الان . . ؟

ـ لانفذ حكم القصاص في شـخص هنا . . ؟؟

ـ اي انت منتدب ؟

ـ نعم انا هنا في انتداب وبعد انتهاء مهمتي اعود الى الرياض .

ـ وهل هناك اجراءات معينة قبل وبعد تنفيذ الحكـم عليك ان تتدخل فيها ؟

ـ نعم يجب ان اطلع على اوراق قضية المحكوم عليه بالقتل واوقع عليها قبل تنفيذ عقوبة القتل وبعد ذلـك اوقع محضر التنفيذ مع المختصين بعد انفاذ الحكم . . ؟؟

ـ وماذا يكتب فوق او تحت توقيعك ؟

ـ يكتب عبارة "توقيع المنفذ" فقط . .

ـ بالمناسـبة هل تقرا وتكتب . . ؟

ـ لا . لا اقرا ولا اكتب . . ؟؟

ـ الم يحدث انك امتنعت عن تنفيذ الحكم مرة .

ـ ابدا لم يحدث هذا . . ولماذا امتنع ؟؟؟

نشرنا هذا الحديث ، كما جاء نصه في جريدة الجزيـرة السعودية ، الصادرة بتاريخ ٢١ نيسان ١٩٨١ ، ولا نعتقد الامر بحاجة الى تعليق او تعقيب ؟؟

مذكرة مُستعجلة الى بَلدي

شعر : اسامة حلبي

بـاع الناطـور الكرمـة .
مـرت سـنوات عـاديـة . . .
ويقـال بان الريح ، طـوال المدة ، كانت شـرقية
ويقال بان المطـر المشتاق الينا
آثـر أن يبقى في معقلـه
لكن عيون صـغـار القـوم تناديـه
فتذكـر
" أن الجـوهـر فيهـا يتبلـور "
ورأى أن الارض سـتنبت ـ ان أتى ـ
أثمـارا جمّـة
وتذكـر
" قـد يصحـوا أصحـاب الكرمـة "
فأتـى .
ونمت من آلام القوم ومن مطـر الصحـوة
أشـجار حياة
وأقـول لكم : ما زالـت تنمو أشـجار حيـاة
وأقـول لكم : هـذي الاشـجار ـ بعون الجـد ـ
سـتزهـر
ـ بعون الكـد ـ
سـتثمـر
سـتعيد الينـا الكرمـة
ـ انـا أبنـاء كـرامـة ـ
ونـعـود لـدفء البيـت
لا الجـوع سـيخضعنا للذل ولا ظـلـم الليل
ولا من باع الكرمـة من أجـل عـمـامـة .

"المفاتيح تدور في الاقفال"
ملحمة شعب يعرف كيف يقهر الاعداء

بقلم:
نبيه القاسم - الرامة.

"ان الفنان المبدع يرجو ان يحقق ثلاثة امور: ان يصنع شيئا وان يحسّ بشيء - ياتيه اما من عالم الحس الخارجي او من عالم المشاعر الداخلي - وأن ينقل هذه الاحاسيس الى الاخرين. ونقل الاحاسيس يتم بطريق استعمال اللغة".

استعيد هذه الكلمات "لاودن" وانا ابدا في تناول رواية علي الخليلي "المفاتيح تدور في الاقفال" (١١١ صفحة من القطع الصغير - اصدار مكتب صلاح الدين - القدس ١٩٨٠). وذلك لانني اعتقد ان الكاتب قد حقق هذه الامور الثلاثة في روايته هذه المتميزة عن كثير من ادبنا المقاوم الذى صدر في الاراضي المحتلة بعد عام ١٩٦٧ بالطرح الذى وضعته مضمونا وشكلا.

وقفة قصيرة مع الاسم

أول ما يتمثل للقارئ ساعة يقرأ "المفاتيح تدور في الاقفال" تلك المفاتيح الثقيلة التي يحملها صاحب الوجه القبيح ويوصد بها الزنازين على الابطال الذين يعرفون كيف يذلون العدو حتى خلف الجدران في السجون... واذا ما سقطت العينان على الصورة يتذكر كل منا تلك اللحظات الرهيبة التي عانيناها او عاناها اهلنا في عام ١٩٤٨ عندما تركنا البيوت قسرا وحملنا المفاتيح تاكيدا على العودة.. ثم تندلع نظراتنا لتحضن البياض الواسع المحيط بالصورة المؤلمة فيرتسم في مخيلتنا الوطن الناصع بطهارته وقدسيته المكبل بقيود المحتل.. هذا الوطن الذى اقفله المحتل امام اهله واحبائه.. وجعله كابناء هذا الوطن سجينا مقيدا خلف الابواب الموصدة المحاصرة باصحاب الوجوه القذرة والقلوب الظالمة.

الانتقال المباشر

لم يسمح لنا الكاتب ان نرحل بافكارنا خارج الاقفال التي واجهتنا على الغلاف. فلم يثقلنا بكلمة اهداء.. او بتعريف ما.. وانما نقلنا مباشرة الى داخل هذا الوطن السجين.. ومن البداية حتى النهاية ظل هذا الوطن يتبدل بين صورتي السجن والجنة التي نعبد.. واختار الكاتب الساعات الاولى التي دنست القوات الانكليزية وطننا واحتلته في الحرب العالمية الاولى لتكون بداية روايته.. ومن هذه الساعات الاولى يرسم لنا الكاتب تصدى ابناء شعبنا لهذا الاحتلال بكل الوسائل التي كان يملكها..

لكن الكاتب لم يطل في هذه الفترة التاريخية.. وانما انتقل بسرعة ليذكر ما حدث عام ١٩٤٨ وتشرّد شعبنا في كل الوطن العربي وخارجه.. حتى وصل الى عام الاحتلال الاسرائيلي ١٩٦٧ ليرصد الواقع.. وليبرز حقائق..

في عام ١٩٦٧ اصبح كل وطننا محتلا.. وتحوّل كله الى سجن كبير.. وشعبنا الى محتل سجين.. ومع الاحتلال كثرت المشاكل والمواجهات والتغيرات.. وحدثت على ساحة الواقع تبدلات وافرازات.. واثبت ابناء الطبقات الفقيرة انهم هم الذين يعرفون كيف يذلون العدو.. واثبتت المراة انها لم تعد الضلع القاصر المشلول وانما



الفلسطينية البطلة التي تعرف كيف تتحدى الدبابات ..

السجن نقطة الانطلاق

يختلف سجن علي الخليلي عن السجن الذى صوّره غيره من كتابنا في الارض المحتلة .. السجن عندهم كان المكان المكروه الذى يمارس فيه المحتل تعذيبه للابطال المناضلين .. وكل امل السجين أن يخرج الى النور ويلتقي بالاحباء .

امّا سجن علي الخليلي فقطعة مصغّرة من الوطن يرفض السجين مغادرته عندما يغريه العدو بالخروج والرحيل عن الوطن .. يبتسم المناضل ويجيب سجانه — انت غبي جدا، ان تراب السجن ايضا جزء من تراب وطني — ص ٨١ — فالوطن كله أصبح بفضل الاحتلال سجنا .. ولا يختلف عنه هذا البناء المصغّر الذى يحمل أسم سجن .. كذلك فسجن علي تحوّل ليصبح قاعدة لبناء كوادر الشبيبة المستقبلية .. ففيه يتعلم الجميع ويصقلون ليكونوا على أتم الاستعداد ساعة الصفر .. واذ ينتقل بنا الكاتب مع بطله داخل السجون المنتشرة في كل الوطن المحتل من نابلس الى الخليل فطول كرم فجنين .. الخ .. فانما ينبغي ان يؤكّد ما قلته من ان هذا السجن ليس الا الصورة المصغّرة للوطن الكبير ..

السجن نقطة الانطلاق .. لان قصة كل مناضل من أبطال الرواية انطلقت من السجن .. فجميعهم سجنوا .. ومعظمهم تقابلوا في السجن .. فكان السجن مركز التقائهم .. ومؤكّد وحدتهم .. وراسم خطى مستقبلهم .. حتى الذين دخلوا السجن ولا يعرفون لماذا يدخلونه .. خرجوا وقد اصبحوا على دراية تامة بدورهم كابناء هذا الوطن ... مثل هؤلاء كان ناصر الكندرجي الذى قال وهو يترك السجن مؤكدا لرفقائه (امسك الشمس والبحر والعصافير والجبال، أحشرهم في صدرى، أطلقهم في الريح، وأعلن اسم سميّة من جديد، فتعلن الريح اسم وطن صغير لنا جميعا — ص ١٠٩) .



الاستاذ نبيه القاسم

أبطال علي الخليلي الحقيقيون

يفرض الموقف الشاذ على الكاتب الملتزم ان يكون اكثر وعيا وحساسية ويقظة لما قد يصادف من صور متناقضة ومفاجئة وتغيّرات وتبدلات يجد نفسه امامها في حيرة وقلق .. واى موقف اكثر شذوذا في حياة الشعب من الاحتلال .. الكاتب الملتزم في مثل هذا الموقف يختار ابطال اعماله الادبية بذكاء ووعي وحساسية مدروسة .. قد يختلف اختيار الواحد عن الثاني — فمثلا في اعمال سحر خليفة نجد عادل وأبا العز ابناء عائلة الكرمي الغنية ونجد زهدى وصالح وشحاده ابناء الطبقات المنسحقة، وسحر لم تميّز البعض عن الاخر فكما يوجد الوطنيون المخلصون المناضلون في طبقة الفقراء كذلك نجد مثلهم بين طبقات الاغنياء والعكس صحيح ..

امّا ابطال علي الخليلي فكانوا ابناء طبقة واحدة .. هي طبقة الفقراء المنسحقين وهم :
بعجر عبد الفتاح بائع كسبه في سوق البصل بنابلس — حمدان بن بعجر عامل فرن — محمد بن حمدان مساعد والده في الفرن — عصام عتال من المخيم عمل في القدس — مروان العكاوى ماسح احذية وبائع علكه — ضرار كامل بياع مكانس وكاتب قصة — اسامه الاصم الايكم ابن دهان عمل مع والده — ناصر الكندرجي — ابنته سميه طالبة الخامس ابتدائي — فاضل المستور شاب فقير انهى الثانوية ثم انحرف واصبح من الاغنياء الخونة .

هؤلاء هم ابطال رواية علي الخليلي .. وهم موزعون بين مخيمات اللاجئين وازقات نابلس الفقيرة ..

لماذا اختار علي ابطاله كلهم من ابناء هذه الطبقة المنسحقة ؟؟ ولماذا لم يدخل ايا من ابناء الطبقات الاخرى حتى ولو بذكر البعض بشكل عابر ؟ لماذا تجاهل التحولات التي طرات على الكثير من ابناء الطبقات الاخرى نتيجة للاحتلال .. ولماذا اذا ذكر هذه الطبقات، شتمها او ركز على سيئاتها .. ؟

هل هذا هو الواقع الحقيقي في الاراضي المحتلة ؟؟ هل اراد علي الانتقام لهؤلاء الفقراء المظلومين على مدار كل الحكام سابقا وحاضرا فجرد غيرهم من كل ما يجلب له الكرامة ؟؟ هل امثال عادل الكرمي وابي العز ونوار (ابطال رواية سحر خليفة «الصبّار») لم يلتقوا بعلي الخليلي او أنه ينكر نضالهم ويشك فيه .. ؟؟

هذه الاسئلة أتركها لنسمع جواب الصديق علي عليها .. فهو اولانا بالجواب .. وبعدها سنحكم ..



علي الخليلي يقول لكم

دور الكاتب الملتزم لا ينحصر في رسم الواقع ورصده.. وانما نطلب منه أن يكون الموجّه والمنبّه لانه قد يكون الاسرع في كشف العيوب واستشراف المستقبل... وعلي الخليلي كان هذا الكاتب فهو خلال كل صفحات روايته يرصد لنا الواقع ويرسمه بكلماته الشاعرية الحادة.. ويسمعنا صوت الكاتب الملتزم الموجّه.. فعندما يطلعنا على حالة السجناء المزرية وظلم السجّان المحتل الامر الذى أدّى بهم الى اعلان الاضراب الشهير في السجن.. لم ينس أن يؤكد أن هذا السجن تحوّل بعزيمة المناضلين فيه الى مدرسة لاعداد كوادر الشبيبة الثورية الطلائعية الواعية.. فهو يصف ما يدور في السجن ص ٥٩ قائلا: "وفي المساء حين تغطس عيون الشرطة في النوم والعجز والعمى. تلتقي حلقتنا الدائرية الكبيرة في حوار دمقراطي حول الابعاد الاساسية لوحدتنا الوطنية الفلسطينية واهميتها القصوى في المعركة."، وهو يؤكد: "السجن ليس خارج الحياة، والسجن ليس خارج الشارع والبيت والمدرسة. والسجن ليس خارج قبة القرن ايضا" وهو يسخر من قول موشي ديان — أن السجن وردة سوف يشمها كل الفلسطينيين في الارض المحتلة — بقوله الحاد الصريح: "اننا نؤكد للجنرال الرومانسي جدا ان السجن قنبلة تتعلم الانفجار وحدها في الوقت المناسب". وفي صفحة ٦٣ يؤكد: "سوف نؤكد لهم ان بطولاتنا لا تموت في السجن، كما هي لم تمت في الشارع" "وليس السجن مدرسة فحسب، بل قاعدة من قواعد الثورة في الارض المحتلة" وقوله صفحة ١٠٩: "ليس الاسبوع سبعة أيام في السجن، بل تاريخ طويل، تنمو أشياء كثيرة لا ينتبه لها السجانون، أشياء جوهرية تحسبها ادارة السجون حاسمة في معنويات المعتقلين، وهي مع ذلك ومج التاريخ الحقيقي".

وعلي لا يفقد الرؤية الواعية وهو يتنقل مع المناضلين في سجون المحتلين ولا يسقط في درن الشوفينية والحقد وهو يتعذب على أيدى المحتلين.. وانما يؤكد عظمة مناضلينا.. فهم وحتى ساعة يواجههم المحتل بكل كراهيته وحقده وتعذيبه يعلنون له انهم لا يكرمونه وانما يرثون لحالته.. مناضلنا الفلسطيني لا يحقد.. قد يسخر ويشفق ولكنه لا يعرف الحقد والكراهية (ص ٥٩) مناضلنا يعلنها صريحة في وجه المحتل انه لا يكره اليهود ولكنه يكره الجنود المحتلين وانه يحب كل الناس والاطفال والمدرسة وانه لا يخاف من احد (ص ٢١).

وعلي يعلنها صريحة (ص ٦٠) ان الظالم واحد في كل العالم.. وان المظلومين اخوة، وهو يقول في اتهامه للظالمين: "قبل الاحتلال كان السجن يستوعب كل شيء. تحت الاحتلال نفس السجون والمعتقلات حكام قارئون على شيخ واحد هو اميركا لا محال".

ويؤكد الكاتب على وحدة المصير الفلسطيني (ص ٧٠): "الشعلة في الداخل. وفي الخارج واحدة موحدة. هنا في الارض المحتلة، هناك في جنوب لبنان. نفس الشعلة، نفس الجسد، فاذا خيّم بعض الحزن، فهو هنا وهناك، واذا تسرّب بعض الضباب، فهو هنا وهناك ايضا".

وهذه الوحدة المصيرية هي التي جعلت هذا الشعب رغم تشرده يظل قويا موحدا مشرئبا في حبه لوطنه.. وهي التي جعلته لا يعتمد على الاخرين في اكتشاف الحقائق.. بل يكتشف كل شيء بنفسه(ص ٧٢): "ان تكون فلسطينيا يعني ان عليك اكتشاف كل الحقائق وحدك ومصمصة دمك المهدور في وقت تتشبث فيه بالحياة".

المراة، تلك الوردة الواعدة في رؤية علي الخليلي

المراة الفلسطينية الشعبية تناضل في عشر جبهات دفعة واحدة (ص ٩٧) هذا ما يريد الكاتب تاكيده.. صحيح انه لم ينس التاكيد على وجود بعض الخلخلات في مجتمعنا.. وان المراة في كثير من الحالات تكون الضحية.. لكنه هدف في روايته الى تاكيد دور المراة النضالي ان كان بصورة عفوية كتلك الام التي تروى حوض الورد في المخيم لانه الذي يحبه ابنها المناضل الفدائي او كان الوعي الفطرى كما هو عند أم محمد زوجة حمدان وردة التي تحدت قتل الجنود لخالها الشهيد بان قالت لاولادها بعد ان ضاقت بالصمت الميت (هيا انتشروا في الارض)، هذه الام الوردة التي بكت ساعة انتشر الجنود في شقوق البيت وثقوبه وحصيرته العتيقة.. لكنها عندما خرجوا يدفعون زوجها توقفت عن البكاء وصارت شجرة متوهجة بالثمر والدموع الصامتة والبحار فتسلق كل منا غصنا — ص ٢٤) أو كان بصورة النضال الملتزم الواعي لاهمية النضال ضد المحتل كما هو عند المناضلات شاديه أبو غزاله ولينا النابلسي ورجاء ورسميه وعايده وخديجة ومئات المعتقلات.. او كان بصورة الفتاة الفلسطينية الجديدة المولودة في ظل الاحتلال.. والمتنامية بكل قوة متحدية ومقاومة الاحتلال كما هو في شخصية الطالبة سميه طالبة الخامس ابتدائي..

يحدد علي الخليلي مسؤولية الكاتب بقوله: "يجب أن نكتب عن المراة العاملة في المصانع والمزارع، يجب أن نتحدث عن الثورة ودور المراة فيها — ص ٩٥".

البقية على صفحة ٩٠

مسيرة
اربعون عامًا في الحركة الوطنية الأردنية

بدايات المناضل يعقوب زيادين :

==========================

يقسم الكتاب الى ٦ فصول يتصدرها مقدمة بقلم الكاتب الفلسطيني التقدمي محمود شقير.

والكتاب عبارة عن سيرة ذاتية كتبها المناضل الشيوعي المعروف يعقوب زيادين، وتكمن اهمية السيرة الذاتية هذه في انها "المحاولة الجادة الاولى لرصد بدايات تشكل الفكر الماركسي في مجتمع قبلي متخلف، كانت تعيشه امارة شرق الاردن قبل اكثر من اربعين سنة" (المقدمة ص٧)، وكذلك فان الكتاب يعتبر "وثيقة من اهم وثائق التاريخ الوطني في الاردن، نتعرف من خلاله على المجرى المعقّد الصعب الذى سلكته الحركة الوطنية الاردنية خلال سنوات طويلة من اجل الحرية والديمقراطية (ص ٨).

ويعتبر الدكتور زيادين من الذين يرون حياتهم من خلال المصالح الكبرى للوطن والشعب، ..لذا فقد جاءت سيرته الذاتية عبارة عن تجربة الشعبين الشقيقين الاردني والفلسطيني النضالية.

بداية البدايات

كانت البداية في قرية تبعد اربع ساعات سفر على الخيل من المدينة الاردنية الكرك... حيث شهدت ولادته وقضى فيها سني شبابه الاولى ...انهى دراسته الابتدائية والاعدادية في مدرسة الكرك، ..وبعد أن انهى الدراسة الثانوية في السلط سافر الى دمشق ليكمل تعليمه الجامعي، .. وهناك بدأ يتبلور احساسه الفطرى بضرورة القضاء على حالة الفقر والجهل التي كان يعيشها معظم السكان في تلك الفترة، وكان بعد أن بدأ يتردد على مكاتب الحزب الشيوعي السورى ويطّلع على جريدته "صوت الشعب"، هذا عدا عن قراءته للكتب والكراريس والمنشورات التي تتحدث عن الاخاء بين الناس وانتقاد الطغيان والاستبداد والظلم، وبسرعة بدأ نشاطه بين الطلاب وتنظيم الحلقات النظرية من قبل الرفاق السوريين، ..وفي العام الدراسي التالي انتقل للدراسة في الجامعة اليسوعية في بيروت، ..وهناك كان اتصاله مع الرفاق في الحزب الشيوعي اللبناني في ظروف اشتداد هجمة القوى الرجعية على الحركة الشيوعية العربية في أعقاب هزيمة الدول العربية في فلسطين، ..وبدأ في طرابلس نشاطه السري: اعطاء الدروس الثقافية لبعض منظمات الحزب في القرى المجاورة لطرابلس وتوزيع جريدة الحزب وجمع التبرعات لتدعيم مالية الحزب، .. وكانت سنوات وجوده في لبنان مقترنة بالفقر نتيجة الحالة السيئة التي كان يعيشها الاهل في الاردن، فالتجأ للعمل في احدى المستشفيات والدراسة في آن واحد، ..وفي تموز عام ١٩٥٠ وصل الى القدس ليعمل في مستشفى "اوغستا فكتوريا"، ..وفي نفس الوقت أخذ يبحث عن الشيوعيين ....وبسرعة بدأ نشاطه وكانت أولى المهمات التي كلّف بها ـ وغيره من الرفاق ـ تشكيل "لجنة وطنية للسلام" وذلك في خريف عام ١٩٥٠، ... وعن هذه اللجنة كانت تصدر مجلة سرية بعنوان "السلام"، تكتب بخط عربي عواد (أبعدته السلطات الاسرائيلية الى لبنان في أواسط السبعينات) وقامت اللجنة بجمع التواقيع على نداء ستكهولم الذى يدعو الى تحريم استعمال الاسلحة النووية الامر الذى أدّى الى اعتقال العشرات.

في ١٣ شباط ١٩٥٣ اعتقل بعد عودته من فيينا، .. حيث شارك ـ ضمن الوفد الاردني ـ في مؤتمر الدفاع عن الشعوب، وفي معتقل الجفر ابتدأت رحلة المعاناة مع غيره من أعضاء الحزب الشيوعي الاردني وعلى رأسهم الرفيق ابو خالد (فؤاد نصار) قائد الحزب، ومع مرور الايام ازداد نشاط الحزب وازداد تأثيره في أوساط الجماهير وتتوج هذا النشاط بخوض الانتخابات النيابية في عام ١٩٥٤، وكان التزوير في الانتخابات واضحا لعامة الناس، .. وبعد الانتخابات شنت السلطات الاردنية هجمة استهدفت القوى الوطنية بشكل عام والشيوعيين بشكل خاص، وبعد حوالي ٥ أشهر ونتيجة لاتساع حملة التضامن مع المعتقلين من جهة واضرابهم عن الطعام من الجهة الاخرى، اضطرت السلطات الاردنية الى اطلاق سراحهم ...ليعاودوا النشاط من جديد في سبيل التقدم الاجتماعي والاشتراكية وانتصار قضية الطبقة العاملة.

صفحات مشرقة

في أواخر عام ١٩٥٥ نظم الحزب وقاد المظاهرات الجماهيرية لافشال حلف بغداد والتنديد بحكومة "هزاع المجالي" التي شكلت في تلك الفترة



للحاق بركب الرجعية والانضمام الى حلف بغداد.

امتدت المظاهرات لتشمل عمان ونابلس والقدس والخليل والكرك ومعظم المدن تقريبا، ورغم حملة الاعتقالات التي شنتها السلطات الآن المظاهرات اشتدت واتسعت خاصة في المدن الرئيسية، الامر الذي أدى الى استقالة الحكومة والغاء الانضمام الى الحلف سيء الصيت.

وما لبث الدكتور زيادين أن خرج من المعتقل أثر الانتفاضة الشعبية ضد حلف بغداد، حتى داهم البيت ثلة من الجنود وقادوه معهم الى معتقل "الجفر" الصحراوى مرقد عشرات الشيوعيين والوطنيين البواسل. وفي "الجفر" صنع الشيوعيون مع ابناء الشعبين الاردني والفلسطيني المأثرة تلو الاخرى، فالشيوعي مناضل تحت أى ظرف يفرض عليه، وهنا تبرز اهمية اليقظة والوعي الثوريين.

لقد لعب الحزب الشيوعي الاردني دورا هاما وبارزا في الحركة الوطنية في الخمسينات، وتجلى هذا الدور بنجاح نواب الجبهة الوطنية:

فايق وراد ـ رام الله
عبد القادر الصالح ـ نابلس
يعقوب زيادين ـ القدس



في الانتخابات النيابية عام ١٩٥٦.

بعد اقالة الحكومة الوطنية برئاسة سليمان النابلسي... هبّت الجماهير في جميع مدن الضفتين تطالب باطلاق الحريات الديمقراطية، وكان رد السلطات الاردنية: مزيدا من القمع والملاحقة للشيوعيين.

في تموز عام ١٩٥٨ وبعد قضاء فترة ليست بالقليلة في التخفي، قبض على الدكتور زيادين وأودع في السجن مع العشرات من خيرة ابناء الشعبين الشقيقين، وفي السجن صنوف التعذيب لا تحصى: التعذيب بالكهرباء، الحرق باعقاب السجائر، الجلد بالفلكة، حقن الشطة، ادخال العصا في الشرج.. الخ، وهنا تبدأ عملية المساومات وسقوط اصحاب النفوس المريضة وصمود اعضاء الحزب الشيوعي الاردني رغم كل صنوف الارهاب المعنوى والمادى الذى استمر ٧ سنوات... كان الشيوعيون خلالها عرضة لتجارب الفاشست... وكان من نتيجتها استشهاد الرفيق "عبد الفتاح تولستان"... ورغم كل

اسامه محيسن العليه

هكذا فقد زرع الشيوعيون في الجفر الدراق والعنب والرمان وحوّلوا برميل السمنة الى صندوق لتفريخ البيض وصنعوا آلات موسيقية مختلفة عدا عن العيادة الطبية واجراء العمليات البسيطة.. فهكذا يكون الشيوعي مناضلا في كل مكان، وهكذا كان يعقوب زيادين.

صدر نوفرا

احتلت الدراسات مكان الصدارة في مجموعة الكتب التي وصلت الينا في الفترة الممتدة بين عددي "الجديد" ـ السابق والحالي.

وهذه ظاهرة ايجابية ازدادت رسوخا في العالم العربي في العقدين الاخيرين واسهم فيها مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية وغيره من المؤسسات الفلسطينية.

التطور الزراعي والصناعي الفلسطيني ١٩٠٠ - ١٩٧٠

بقلم: عدنان العامري

والكتاب ـ البحث الاحصائي ـ "التطور الزراعي والصناعي الفلسطيني ١٩٠٠ ـ ١٩٧٠" يمثل نموذجا من هذا التوجه الذي ينتهجه مكتب الابحاث.. واحسنت صنعا منشورات صلاح الدين في القدس باصداره في هذه البلاد...

ويتالف الكتاب من قسمين:
الاول: التطور الزراعي الفلسطيني ١٩٠٠ ـ ١٩٧٠ ويشمل اربعة فصول: الاراضي الزراعية، المحاصيل الزراعية، الملكية، العاملون بالزراعة..
والثاني: الصناعة والمهن في فلسطين ١٩٠٠ ـ ١٩٧٠ ويتالف من فصلين: التطور الصناعي والمهني في فلسطين، العمال الصناعيون والحرفيون الفلسطينيون
ويقع الكتاب في ١٥٥ صفحة من الحجم الكبير.



وبحق يصفه انيس صايغ مدير عام مركز الابحاث (السابق) ان الكتاب هو مصدر للبحث اكثر مما هو كتاب للمطالعة

و"الغاية من هذا الجهد هي ان يجد الدارسون المعلومات الصحيحة واللازمة لاي بحث حول الاوضاع الزراعية والصناعية لشعب فلسطين في فترة ثلاثة ارباع قرن" (التمهيد).

ويتدرج البحث في هذه الفترة الزمنية فيستعرض الاوضاع الاحصائية في آخر ايام السلطنة العثمانية ثم ينتقل الى فترة الانتداب.. ويحدد التغييرات الاقتصادية التي طرات على البلاد نتيجة الممارسة الصهيونية بمساندة الانتداب البريطاني، وبعد ذلك يصل الى التحولات الحاصلة بعد قيام دولة اسرائيل العام ١٩٤٨ في الميدانين الزراعي والصناعي في الملكية والانتاج ويعالج في هذا الاطار نتائج الاحتلال الاسرائيلي للضفة والقطاع بعد حرب حزيران ١٩٦٧.

ويتسم البحث بالدقة والموضوعية ويعتمد على الاحصاءات الرسمية في الفترات المختلفة وبخاصة الاحصاءات الانتدابية والاسرائيلية.

وفي وسع القارىء ان يستشف عبر الاحصاءات الملموسة سياسة الممارسة الصهيونية التقليدية ـ احتلال الارض والسوق ونتائجها المدمرة على الاقلية القومية الفلسطينية في اسرائيل وعلى قطاعات الشعب العربي الفلسطيني الرازحة تحت نير الاحتلال.

جمعية الدراسات العربية ـ القدس
مصادرة الاراضي في المناطق العربية المحتلة ١٩٦٧ - ١٩٨٠

اعداد واشراف: احسان نزار عطيه

هذا الكتاب ينتمي، في ميدانه، الى موضوع دراسات قضايا الشعب العربي الفلسطيني الاقتصادية.

وهو باكورة "جمعية الدراسات



العربية" التي تاسست في القدس العربية المحتلة في بداية العام ١٩٨٠ واخذت على عاتقها: "نشر سلسلة من الدراسات والابحاث والكتب المترجمة التي تتناول القضايا المحلية والعربية والدولية التي تستحوذ على اهتمام الراى العام في بلادنا".

ويتالف الكتاب من مدخل يؤكد أن الارض كانت بؤرة التفكير الصهيوني وهدفه في الممارسة وثلاثة فصول: ملاحظات حول استراتيجية المصادرة، وارقام واحصاءات حول عمليات المصادرة والقانون ومصادرة الاراضي..

كما ثبت المشرف على الكتاب خرائط وملاحق ومراجع للبحث.

ويربط الكتاب بين عمليات المصادرة والاطماع الصهيونية التوسعية ويتوقف عند مخططات استراتيجية تطويق القدس العربية المحتلة، التي ضمتها اسرائيل رسميا الى ممتلكاتها... واقامة مستوطنات كولونيالية في قلب الضفة تمهيدا لضمها رسميا..

ويعتمد الكتاب على المصادر الموثوقة ويثبتها في المراجع.

نظرة على الأحزاب والحركات السياسية الاسرائيلية

بقلم: كاميليا بدر



وهذا الكتاب أصدرته جمعية الدراسات العربية ـ القدس في حزيران في العام ١٩٨١ وارادت به رسم خريطة اسرائيل السياسية.

ويتألف الكتاب الذى يقع في ٢٢٦ صفحة من الحجم المتوسط، وصمم غلافه الفنان سليمان منصور، من اربعة أبواب وملحقين ومصادر ومراجع.

ويقدم الباب الاول لمحة تاريخية ويصف الباب الثاني نظام الحكم في اسرائيل ويعالج الباب الثالث الاحزاب السياسية. امّا الباب الرابع فيتحدث عن الحركات السياسية وهي في أكثر الحالات كتل برلمانية أو منظمات سياسية مثل "داش" و "راتس" و "غوش ايمونيم".

ولم يكن من الممكن في مثل هذا الاطار أن تتعمق الكاتبة في تحليل بناء هذه الاحزاب والحركات الاجتماعية او ان ترصد نشاطها ازاء الاحداث... ولهذا من الممكن اعتبار الكتاب تعاريف عامة تسجل الواقع الشكلي وبخاصة ان اصطلاحات اليمين واليسار أصبحت عائمة تحتاج دائما الى تحديد..

ومع هذا فالكتاب يوحي بمجهود كبير ومن الممكن اعتباره مدخلا عاما يزود القارئ العادي بصورة "عمودية" اذا صح التعبير على خريطة البلاد السياسية. هذا ويقع الكتاب في ١٣٢ صفحة من الحجم الصغير.

فهرس ارشيف المعلومات الصحفية

تقديم وتصنيف اسحق البديري

وهذا الفهرس اعدته واصدرته جمعية الدراسات العربية ـ القدس، ويقع في ٩٤ صفحة من الحجم الصغير.

وفي هذا الكتاب الفهرس يحدد مصنفه مهمات الجمعية ورؤياها ويذكر انها اسست "ارشيفات": المعلومات الصحفية، والوثائق، والتقارير والمعلومات الاكاديمية، والشخصيات، والصور، والاشرطة المسموعة والمرئية.

كما يفسّر المصنف أسلوب العمل في هذا الميدان وبذلك يقدّم مساعدة جلى لاولئك الذين يرغبون في الاستفادة من هذه "الارشيفات".

وفي الوقت نفسه يشير المصنف الى أن الملفات التي يضمها الارشيف توزع على أربعة دوائر: الدائرة الفلسطينية، الدائرة العربية، الدائرة الاسرائيلية، الدائرة الدولية.

ويقسم الفهرس موضوعات هذه الدوائر مما يشير الى ان القيمين على "الارشيفات" وزعوا المعلومات التي يخزنونها في ملفات تفصيلية تفيد الدارسين.

دار ابن رشد للنشر

مازال الحلم محاولة خطرة

علي الخليلي

هذه مجموعة جديدة من قصائد الشاعر ـ البحاثة علي الخليلي محرر "الفجر الادبي" في القدس العربية المحتلة.

وتضم المجموعة الجديدة، وتقع في ١٨٥ صفحة من القطع الصغير قصائد الشاعر المبدع خلال سنوات ١٩٧٨و ١٩٧٩و ١٩٨٠ ونشرت في الصحف



والمجلات المحلية وبعض الصحف والمجلات العربية.

ويبلغ عدد القصائد المنشورة في هذه المجموعة ٢٨ قصيدة أولها بعنوان "القرنفل والدم الريان" وقدمها الى بسّام الشكعة وكريم خلف وتغريد البطمة قرنفلة فلسطين، وآخرها بعنوان "ما زال الحلم محاولة خطرة".

وتشيع في هذه المجموعة روح الكفاح والتفاؤل بدون تجاهل المعاناة القاسية.

ولعل قصيدة "راية جميلة" تعرب عن هذا الامر.. فهي من مقاطع ترتبط بازمان محددة تبدأ من العام ١٩١٤، وتقف عند العام ٢٠٠٠ بهذه الابيات:

يدي الى يدك
تفاحة واحدة
وبدلة لطفلتك
أو طفلتي سيان
راية جميلة

أصوات متداخلة

ادمون شحاده

هذه مجموعة الشاعر ادمون شحاده الاخيرة وقبل ذلك نشر مجموعات شعرية: "تلاحم الوجوه والمعاني" و"حين لم يبق سواك".

كذلك نشر مسرحيات بينها "الصمت والزوال" و"القديسة".

والمجموعة، التي بين ايدينا، اصدرتها المكتبة الحديثة في الناصرة، وتقع في ٩٠ صفحة من الحجم الصغير وتحتوى على ١٦ قصيدة انشدها بين عامي ١٩٧٦ و ١٩٧٩.

جاء في قصيدته "الجمر والميلاد"

"يا هذا الوطن أما حانت ايام الوضع
وساعة ميلاد الاطفال
ازهار الحب.. ثمار الزيتون الخضراء
....
يا هذا الامل.. الوطن
مساري وثبة جني مارد
فالام مخاض الام
ودربي جمر متوقد.

منشورات اليسار - المثلث

داخل اللحظة الحاسمة

عبد الناصر صالح

قبل هذه المجموعة أصدرت منشورات الاسوار - عكا، مجموعة "الفارس الذى قتل قبل المبارزة"..

وتقع هذه المجموعة في ٨٧ صفحة من القطع الصغير وتشمل ثماني قصائد يعرب فيها الشاعر عن انطباعاته النامية عبر معاناته كفاح الشعب العربي الفلسطيني.

ومن بين قصائد هذه المجموعة "قصيدة خارجة على القانون" وفيها:

"دامعة العينين تزورك اطلالة العي
ترسمك خيوطا سودا غريبة
وترافق حزنك في الاصداء
وفي الصدر تظلين حبيبة".

منشورات صلاح الدين

غابرييل غارسيا ماركيز

هذه الرواية من سلسلة الادب العالمي وتقع في ١١٠ صفحات من الحجم الصغير.

ومن الممكن تقويم هذه الرواية لهذا الكاتب الاميركي اللاتيني المبدع بهذه الكلمات التي وردت في المقدمة:

"في رواية ((ليس لدى الكولونيل من يكاتبه)) ثمة أمور لم تقل وأمور نصف مضاءة، وصمت بليغ ومعجزات



سرية.. ثمة نفحة غموض تلف الكتاب الذى لا يكاد عدد صفحاته يصل الى المئة، ولكنه غموض محاط بظلال مضيئة"



صرخات



شعر: علم الدين بدرية

قناديلي ما عادت تشكو...
سوى الصمت والانين...
ودار مهجورة...
تروى أحلام السنين...
ودمعة تنذثر...
في قلب شاعر مسكين...

.....

فيا قلبي استيقظ...
فالصباح يقترب...
وقنديلي الشاحب...
ما عاد يحيي...
سوى صمت القبور...
وحكايات ماض...
كان كأنه لم يكن...
سوى ضمير يرتسم...
فوق سقف قديم...
يحمل صرخات انسان...
ولحنا حائرا حزين...



تجليات السيدة "سين"

كأنك أنت الجميلة
وأني الحبيب وأني القدر
كأنك أنت الحقول ..
وأني الغيوم وأني المطر.
لماذا التقينا ؟
لماذاابتعدنا ؟
وهذا الضباب المسافر بيني وبينك ..
هذي الشطوط وهذي المراكب
كأنا على موعد أو سفر.

شعر : ادمون شحاده

+++++++

تجليت في الليل جسمك حلما شهيا
وفي النور سيفا ورمزا لكل مقاتل
فحاربت من أجلك كل الغزاة
وحاربت من أجلك كل القبائل
فصارت جراحي بحجم المدينة
وسالت دمائي
لتلمع في الشمس عند الصباح وعند الظهيرة
وفي الليل أحمل أوجاعي
وأسهر وحدي
وأبكي لوحدي
واصرخ وحدي
وكنا التقينا وقوفا مع الصاعدين الى الجلجلة
بليل كئيب القمر
وكيف التقينا ؟
وكيف ابتعدنا ؟
كأنك أنت الجميلة
وأني الحبيب وأني القدر.

+++++++

تخيلت أنك حلوة عصرك ... حينا ،
وحينا شهيدة عشق لهذا الوطن.
فأنت عبير البنفسج ... زهو الصنوبر
وأنت رياح الجبال المثيرة
وأنت الوطن.
وحين يكون المخاض مميتا
وحين الولادة تأتي مع البرق والرعد..
تأتين أنثى صغيرة ،
ومثل البنادق ... مثل الشجر
تجيء الهدايا كثيرة :
قصائد صمت ... ونهر ذهب
وخيمة راع ... تغطي السحب.
وتأتي المدائن مثل الدخان ... ومثل المرايا
وكنا التقينا عرايا
بليل الخطايا
وكيف التقينا ؟
وكيف ابتعدنا ؟
كأنك أنت الجميلة
كأني الحبيب ... كأني القدر.

الناصرة ٢٨/٥/١٩٨١

قصيدتان للشاعر هاتف الجنابي

الرياح

ريح تتجمّع في الطرقات
ريح تتكور منفعلة
وتدور على سرر الصور الثمّلة
أو تركض خلف النسوة والازهار
ريح تتناثر في الجوّ ، تحلّق مغتبطة ،
أو تهبط من أعلى الغيم تداعب شعرا
بلّوريا لامرأة من بلّور ،
أو تتعقّب شخصا متّهما بالعمل السرّي
ولاقرب شرطيّ
تستدرجه...

ريح للاقرب والابعد
لثعابين الماء وللعشاق القتلى ،
للموتى ، الاحياء الاتين وللغرباء
ريح ، ر ي ي ي ح ....
آه ، لو كنت أطير لحلّقت بعيدا ،
ثم أسرت الريح العلويّة
ولسوّيت الضوء جناحا ،
والشرق بساطا
لهززت الثور من القرنين
وأطلقت العربة
في الطرقات العربيّة
وأشرت الى الريح الكونية
أن تبدأ بالعزف.

لافرق

لا فرق بين دمي وقميصي ،
لا فرق بين جلدى وقميصي ،
لا فرق بين قميصي والوطن.
لا فرق بين النخلة والربّ
والقسوة والحب ،
بين الرجال والنساء
فالكل يبحث عن قاتله ،
في ليلة ظلماء.
لا فرق بين دمي والفرات
هما معا ، معا توقّفا ،
والان ها هما ، معا معا تدفّقا ،
واليوم يبحثان عن مصب
في بلد حطّمه الطغاة
وخانه الربّ.

لا فرق بين أمّي وأبي
فأنا الحاصل بين اثنين ،
والتمر المدخّن
في غابة وحشية.
لا فرق بين دمي والقصيدة.

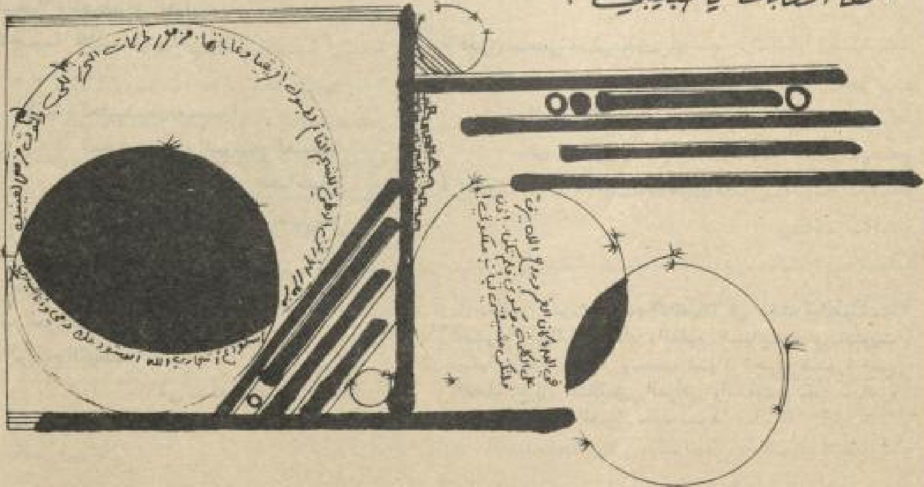
ملاحظة : نشرت هذه القصيدة في مجلة جامعية تصدرها رابطة الاقتصاد والعلوم السياسية في الكويت بداية هذا العام، وبسبب مواد اخرى منشورة في المجلة تدين النظامين العراقي والسعودي تمت مصادرة المجلة، ولهذا السبب نعيد نشرها هنا .

الشرك

اطلت النظر الى السماء
لم تستوعب التمويهات المبثوثه تحت قدميك
ترصدت بعينيك الساذجتين
قمراً نظيفاً ، نجمه حقيقية
كثيراً ما اثارت الثمار العاليه شهيتك
كثيراً ما انسجمت مع الطيور الملونة على خطوط الخضرة المائله
انها الغابه يا صاحبي
الغابة يا حبيبي
لم تدرك التمويهات المبثوثه بخبث
تحت قدميك الحافيتين
فاسقط
اسقط في الشرك المعدّ باتقان
حيث تتلقفك السمال المفترسة
مدّ يديك واصرخ مستغيثاً
لا جدوى يا صاحبي
انها الغابة يا حبيبي !

بائع متجول من غزة المحتله

فريسه تبحث عن صيّاد
هذا انت
بسلة البلاستيك الخضراء
بالقطع النحاسية المغشوشة في كيس الخيش المملع
بالملاعق والسكاكين والاجراس
فريسه تبحث عن صياد
هذا انت
بالكوفية المهلهلة والعقال المائل بفوضى
بالرجاء الضعيف في زبون عابر
هذا انت
بجوعك وصبرك وذهولك
في حيفا الميتة
حيفا الممتلئة حياةً
حيفا التي هجرتك ونسيتك وخانتك
بحارة الاسطول الخامس اوفر منك حظاً !
هذا انت



فريسة تبحث عن صياد
مسار الجمعة حيث السكون
وهمهمات المصلين بلغة اخرى
بعيداً عن الجوامع المهجورة
بعيداً عن الكنائس المشبوهة
هذا انت
مقطوعات من المواصلات
محذوراً في الازقة
مخيفاً في عيون الاطفال ...
الى أين !
المساء يقترب وانت تبتعد ،
الى اين ؟ الى اين ؟

السؤال القاتل !

قدموا من الماضي الغامض
مدججين بالعذاب وكلمات السر
اداروا وجوههم نحو الحائط
وارتجفوا سخطاً ..
انهم حاضرون دائماً
دائماً غائبون
شياطين آلهة
بشر شياطين
بشر آلهة ..
سُئلوا ذات يوم :
هل يحدث ايها السادة ان تصبحوا بشراً بشراً ؟
اشهروا اسلحتهم المتقنة
وانهمرت الدموع على كتبهم واوانيهم القديمة
قلت : لم اقصد شراً
اطلقوا علي الرصاص
وانتهى العالم !!

العرّاف

سترفع عينيك سبع مرات
سبع مرات ستبصر نجمة الصبح
سيأتيك صوت ان ازفت الساعة
يدوي انفجار هائل وانفجارات
قطعة ضخمة من الاسمنت المسلح
تسحق وردة حمراء في الحديقة الخلفية
اطنان من الفولاذ تنصهر في صيحة واحدة
ثمة نيران لا عهد بمثلها
انقلاب في الطقس
صواعق جوفية
وزوابع رمل ورماد
ستباغتك وجوه فقدت آدميتها
تنتهي اللغات
تهرع في الشوارع مسوخ عجيبة
ستنهمر من السماء وحول كريهة
وستفجر نباح مرعب
ستغيب نجمة الصبح سبعة مقاييس
يكون سكون عميق في الظلام
ثم تبدل الارض قشرتها كالافعى
ينبت من جديد بشر سويون
أما الاشجار ، فستتغير كثيراً ..

البحث

وضع ذلك الرجل آلته الكاتبة
في حوض النعناع البري
اشعل سيجاراً كوبياً
وهم بمباشرة الكتابة
في نيته ان يكتب بحثاً عن احوال البيئة
اكتشف فجأة انه لا يجيد الكتابة
فبكى
ومضى يجرب حظه في صيد الخنازير البرية

سميح القاسم

العلم

شعر: حسين مهنا

اربعة خطوط في كف المستقبل
يا قارئة الكف تمرّى في وجهي المثقل
اربعة خطوط :
احمر اخضر اسود ابيض
مدّي يدك المعروقة فوق جبيني
يا قارئة الكف
اعطيني وجها اجمل
واحكي لي عن وطن في رحم المأساة الكبرى
رغم المأساة الكبرى،
يتشكّل .

اربعة خطوط
الاحمر دم
خيط من دم . .
نهر من دم . .
طوفان من دم . .
ينبع من قلب شهيد ويصب هنا
في قلبي . .
في الموج الاخضر
في الحقل الاخضر
في العينين الخضراوين .
والاخضر بيارة
حرقتها الغارة تلو الغارة،
تلو الغارة
صارت قمرا اسود
والاسود ليل
ليل اسحم يجثم فوق صدور قرانا
يجثم كالويل . .
لكن مهما امتدّ ومهما اشتدّ سيعقبه الابيض
والابيض فجر
ينهض من قلب الصّبر
يمسح أوجاع القلب التّهب النّفي الهدم
التشريد القهر . .

ما اجملها،
باقة ورد نمّقها نيسان
قالوا ضاعت
ورماها الدهر بغائلة النسيان
كذبوا . .
ها هي ذي تتجمّع في قلبي شمسا
تمسح كل ظلال الاحزان
يا اهلي في الضفة
يا اهلي في ليل الغربة
خارطة الوطن اكتملت في قلبي
انّي اسمعها . .
أجراس العودة تقرع في كل مكان .
فلتقفل أبواب وكالات الغوث المتخمة
دموعا وجراحا
ولتترك اكواخ التّيه رمادا
ولتنتصر الانسانية والانسان .

لسنا مئة أو مئتين
لسنا الفا او الفين
نحن ملايين ننتظر ظهورك ياذا الالوان
نحن ملايين تنظر نحو السّارية،
المغروسة في قلب الله،
ونصغي كي تسمع ذاك الخفقان
ياذا الزمن المتجهّم
فرّج كربتك تبسّم
ياذا المارد هبّ تحرّك
قمقمك الوهميّ تحطّم .

البقيعة ــ ١٩٨١/٦/١٩

ملف خاص

الجديد

الأدب الفلسطيني في المناطق المحتلة بعد ١٤ عاماً من الاحتلال



- ندوة الجديد مع محرري الملاحق الأدبية الصادرة في المناطق المحتلة
- لقاء مع الشاعر أسعد الأسعد
- الحركة الثقافية في المناطق المحتلة
- ثقافة جديدة ضد الاحتلال
- العرس في تراثنا الفلسطيني
- قصص: لأكرم هنية
  عادل الأسطه
  محمد كمال جبر
  جميل الحرساني
- قصائد: لعبد الناصر صالح
  راضي عبد الجواد
  موسى حوّاد
  د. جمال سلسع

ملف خاص

ندوة الجديد

مع محرري الملاحق الثقافية الوطنية الصادرة في المناطق المحتلة:

علي الخليلي - الفجر
عادل الاسطه - الشعب
محمد البطراوي - الطليعة
جمال خزمو - البيادر

عن التجديد في الحركة الوطنية

علي الخليلي:

التجديد في الجرأة الواعية على تجاوز التقليد السائد

ارى ان هذا التجديد ينبع في الجراة الواعية على تجاوز التقليد السائد. وقد برز هذا الموقف الجاد في نشر القصيدة الجديدة التي استفزت كثيرا من القناعات التقليدية في الارض المحتلة. ورغم ان هذه القصيدة ما زالت دون حركة نقدية تدعمها وتدفع بها الى قاعدتها الشعبية. فانها في موقع يستطيع ان يفرض ذاته طالما كانت ذات عمق وطني وانساني، وذات صياغة متينة تبعد بها عن الهذيان والركاكة، وتربطها بتراثنا الشعري العربي الجديد.

كما ارى هذا التجديد في نشر القصة القصيرة التي اصبحت اداة ديناميكية في حركتنا الادبية المحلية. فالقصة القصيرة هنا اضافة فعلية لهذه الحركة، تتمثل بعمقها الطبيعي لتجارب الستينات السابقة للاحتلال، رغم ان بعض قصاصي هذه المرحلة شبان لم يتعرفوا تماما على تلك التجارب. بسبب ظروف الاحتلال ايضا التي ادت احيانا الى بتر واضح في ترابط وتكامل مراحلنا الادبية والفكرية.

ويمكن ان نضيف لذلك التجديد اهتمامنا بنشر المشاهد المسرحية وبعض فصول المسرحيات، وبعض فقرات روائية. فتلك كانت خطوة ايضا في رؤيتنا للتجديد الادبي الصحفي.

أما النقد، فهو ما زال غير قادر على متابعة



تؤدي الملاحق الثقافية دورا هاما في رعاية الحركة الادبية في المناطق المحتلة، ويشرف عليها عدد من الكتاب البارزين الذين يكرسون اهتماما كبيرا ليس لتطوير الملحق الذي يشرف عليه كل منهم فحسب، وانما لتطوير الحركة وتعميق ارتباطاتها بكل قطاعات الشعب أيضا.

وقد توجهت "الجديد" الى هؤلاء الكتّاب وطرحت أمامهم عدة أسئلة حول الحركة الثقافية في المناطق المحتلة وحول دور الصحافة الوطنية في نشر الثقافة الثورية على الرغم من كابوس الاحتلال ومقصات الرقابة العسكرية.

ويسر "الجديد" أن تنشر أجوبة الزملاء المحررين مفتتحة بذلك هذا الملف الخاص على أن يبقى هذا الموضوع على جدول أبحاث ودراسات واهتمامات المشتغلين بالادب على مستوى التأليف والقراءة.

هذا الزخم الادبي والفكري. ولعل تحسس هذه "الازمة" اشارة لخطوة جديدة لا بدّ من تحقيقها من خلال بعض البذور الموجودة في صحفنا ومجلاتنا.

عادل الاسطه :

لعل في الانفتاح على العالم العربي اغناء للحركة الادبية

كيف تساهم الصفحة في تحديث الحركة الادبية؟

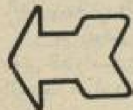
يجب أن نعترف أولا ان صفحة أدبية بحجم صفحة الشعب الثقافي لا تضطلع بهذا الدور. ولعل تحديث الحركة الادبية يتم من خلال منابر أدبية مختصة كالبيادر والكاتب وملحق الفجر الادبي. وهذا سببه حجم البيادر والكاتب والفجر الادبي في حين أن الشعب الثقافي صفحة اسبوعية مخصصة بكاملها للادب.

على أية حال ان الشعب الثقافي تقوم بنشر الكثير من احدث نتاجات الادباء في العالم العربي، ولعل مثل هذا النشر يجعل مجال الانفتاح على الحركة الادبية في العالم العربي واردا، وفي ذلك اغناء للحركة الادبية واختراق لمحدوديتها.

محمد البطراوي :

مفهومنا للتجديد مرتبط بالتغيير المرتكز على الاصالة

ان منطلق الطليعة العريض هو الايمان بمستقبل الجماهير، والمستقبل هو التغيير، والتجديد عندنا يعني التغيير، ولكن هذا التغيير لا يعني، بأي حال، قطع الجسور مع التراث واللغة والرصانة الادبية. نحن ساهرون على التغيير من منطلق رفضنا للقيود، ومفهومنا للتجديد مرتبط تماما بالتغيير، المرتكز على الاصالة واستلهام روح الجماهير وتراثها الانساني التقدمي.



ملف خاص

جمال خزمو :

التجديد لا يعني ان نكتب بلغة ركيكة ، وان نجمع الكلام دون اي موضوع

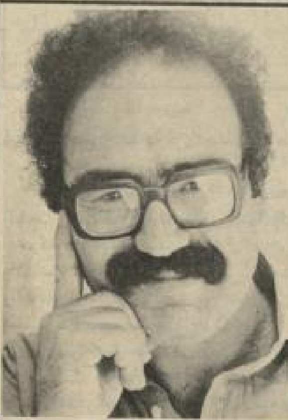
استطاعت الحركة الثقافية في الضفة والقطاع ان تسير الى الامام وان تتنشط كثيرا بعد آن كانت في ركود خلال السنوات الاولى للاحتلال الاسرائيلي . الا ان هذه الحركة او بالاحرى مستواها الادبي اقل من المستوى الذى وصلت اليه الحركة الادبية في الجليل . لا أود هنا ان اقلل من الحركة الادبية هنا ولكن ارغب في ان تتقدم بشكل افضل وان تسير الى الامام بخطوات أوسع .

لقد ساهمت المجلات ودور النشر والصفحات الادبية للصحف الوطنية في تنشيط الحركة الادبية واظهرتها ، لكن حان الوقت للكتاب الناشئين ان يطوروا انفسهم ويصقلوا انتاجهم ويكثروا من جهودهم لبناء ذاتهم . وحان الوقت للاهتمام بالنوعية لا "بالكمية" .

كما وأطالب بالا يستغل الكتاب الناشئون تطور الشعر وتحرره الى الاساءة لهذا التحرر وتقديم شعر دون اى قياس ودون اى التزام . لا يعني التحرر أن نكتب شعرا بلغة ركيكة واخطاء نحوية واضحة . لا يعني التحرر ان نجمع الكلام دون اى موضوع . التحرر او "الحركة الحديثة في الشعر" تعني الابداع .

اني متفائل بحركتنا الادبية التي ساهمت كثيرا وما زالت تساهم في خدمة قضيتنا العادلة . اني متفائل بان تصل الى المستوى الذى وصلت اليه الحركات الادبية في العالم المتقدم .

كيف ساهمتم بتنشيط الحركة الثقافية في المناطق المحتلة



علي الخليلي

علي الخليلي :

الصفحة الاسبوعية الواحدة لم تعد قادرة على الاستيعاب ... فاصدرنا ملحقا شهريا .

حاول الفجر الادبي بصدوره ، ان يحقق خطوة جديدة في تطوير رؤيته للصفحة الادبية الاسبوعية المعروفة أو التقليدية في الصحف اليومية .

مع توفير المساحة الاسبوعية ، استطاع ان ينشر بعض الدراسات النقدية والقصص القصيرة التي لم تكن الصفحة الواحدة قادرة على استيعابها .

الا ان ذلك لم يكن كافيا، فتم اصدار الملحق الشهري بحجم الجريدة اليومية كلها، مما فتح المجال الواسع أمام طموح معقول في المساهمة الفعلية، مع بقية المجلات والصحف، في تطوير الحركة الادبية، حيث تحقق ذلك بنشر الدراسة والقصة والقصيدة والمسرحية والاخبار الادبية والفنون التشكيلية.. الخ.. سواء ما كان محليا او عربيا او عالميا مترجما.

وتكمن أهمية الملحق الشهري اضافة الى كل هذا، في ثمنه الزهيد نسبيا، لانخفاض قيمة تكلفته قياسا للمجلة، مما يعني امكان انتشاره بين أوسع فئاتنا الشعبية والطلابية والعمالية الكادحة. كما أن الملحق لا يستلزم اصداره اي امتياز مستقل، وبذلك يوفر أيضا كثيرا من الجهد، ويحقق تجاوزا لكثير من العراقيل.

ومن خلال هذا الملحق الشهري من جهة، والصفحة الاسبوعية الثابتة من جهة أخرى، يحاول الفجر الادبي ان يبقى على علاقة مستمرة ومثابرة مع تفاصيل الحركة الادبية المحلية. امّا النتاجات العربية والعالمية، فما زالتا محدودتين بسبب الحصار الذى يفرضه الاحتلال الصهيوني حولنا.

عادل الاسطه:

قلما خلا عدد عن الكتابة عن عمل ثقافي صدر في الارض المحتلة

رغم امكانات جريدة الشعب المتواضعة الا أن "الشعب الثقافي" لعب دورا في تنشيط الحركة الثقافية، وكان الشعب الثقافي، جنبا الى جنب مع الصفحات الادبية الوطنية والمجلات الاخرى، يعمل على تغطية النشاط الثقافي في الضفة والقطاع والداخل من خلال نشر المواد الابداعية، الشعر والقصة، كذلك لعب دورا هاما تمثّل في مثابرته على ملاحقة الاعمال الابداعية الصادرة والكتابة عنها. وقلما خلا عدد من أعداده من الكتابة عن عمل ثقافي صدر في الارض المحتلة، وهذه المثابرة تساهم في تقديم الاعمال الابداعية الى القارئ وربما تدفعه الى قراءة العمل نفسه.

كذلك فان "الشعب الثقافي"، اتصل بالكتّاب واجرى معهم اللقاءات الادبية، ولعل فكرة اجراء مقابلة مع كاتب ومناقشته في اعماله الابداعية لم تترجم الى واقع عملي في الداخل، في حين نلحظ في البلاد العربية تسابقا بين المجلات الادبية والصحف لمناقشة كاتب في عمله الابداعي الاخير. في ملحق الفجر الادبي، كذلك صفحات الاتحاد، حاول الكاتب علي الخليلي تطبيق هذه الفكرة ولكننا لم نقرأ بعد لقائه مع اسحق الحسيني او اي لقاء آخر.. لعل "الشعب الثقافي" نجح في ذلك.



عادل الاسطه

محمد البطراوي:

مساهمة من منطلقين: رصد الفعاليات الثقافية والدفع بالناشئة الى مراكز الابداع الحقيقي

تساهم "الطليعة" في الحركة الثقافية من منطلقين: أولهما - رصد الفعاليات الثقافية والادبية، وثانيهما - الدفع بالناشئة الى مستويات الابداع الحقيقي.

لقد حملت "الطليعة" مشعل التغيير، ومن هنا فان هموم الطليعة الادبية تتجسد في ربط الادب بالحياة والمستقبل، لذلك فان روح التفاؤل والتعبير عن أماني وطموحات الكادحين والمضطهدين الذين يتوقون ويناضلون من أجل وطن حر وشعب سعيد هي العنوان العريض الذى تندرج تحته كل الاعمال الادبية التي تصبو الطليعة الى اظهارها في صفحتها الادبية. كما أن محاربة ايديولوجيات الاحباط ومفاهيم النقد الادبي البرجوازى والجماليات الرأسمالية هي أيضا احدى أسلحة الطليعة لخلق أدب التغيير، الادب الجديد المفعم بالكرامة الانسانية.

وتساهم الطليعة دائما في اللقاءات والمحاورات المكشوفة مع الكتاب بالتقائها معهم ومناقشة أعمالهم في حوار ودّى لفضح المفاهيم الشائعة حول عملية الابداع الفني ومن أجل الوصول الى جماهيرية الادب.

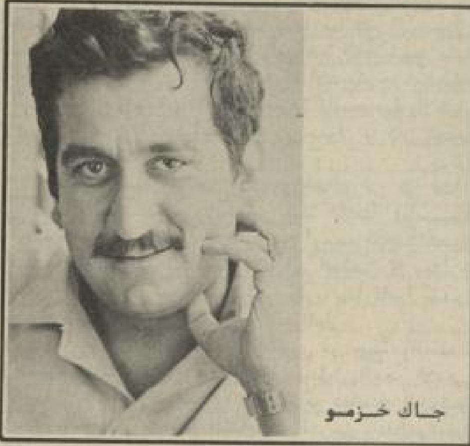


ملف خاص

صحيح ان حجم صفحة الطليعة لا يعطينا المجال الذى يمكننا من تحقيق هذه الاهداف جميعها، ولكن عملنا الدائب وخطواتنا الواضحة نحو الاهداف الادبية المحددة، تجعل من هذا القليل الذى تنشره "الطليعة" الادبية انجازا يمكننا الاعتزاز به.

جاك خزمو:
البيادر مرآة تعكس الحركة الثقافية الوطنية في الخارج والداخل

رسالة البيادر تتلخص في: تنشيط الحركة الثقافية الوطنية في الارض العربية المحتلة (الضفة الغربية والقطاع) وخلق جيل من الكتاب الناشئين الواعين وخلق تعاون وثيق بين جميع الكتاب وجمعهم تحت لواء اتحاد أو رابطة او لقاء أو منتدى، ونشر الكتب الوطنية للكتاب الفلسطينيين المحليين والمنفيين وللكتاب التقدميين العرب والعالميين.


جاك خزمو

والبيادر هي مرآة تعكس الحركة الثقافية الوطنية في الارض المحتلة وتعكس الحركة الثقافية الوطنية في الخارج الى الداخل. كذلك تهدف البيادر الى توطيد التعاون والارتباط بين كتاب الضفة والقطاع بكتاب الجليل والمثلث وتشجيع نشر الدراسات والابحاث الثقافية المختلفة.

أبرز الأسماء التي لمعت خلال ١٤ عاماً

علي الخليلي:
كل الصفحات الادبية تشترك في احتضان الاقلام الواعية.

تشترك كل الصفحات الادبية الوطنية في احتضان الاقلام الواعية في الارض المحتلة، ولذلك يبرز أصحاب هذه الاقلام كأسماء ادبية جديدة في كل هذه الصفحات والملاحق والمجلات. وقد ارى أن الفجر الادبي استطاع أن يضيف أسماء جديدة للحركة الادبية حين تبنى هذه الاسماء باعطائها فرصة نشر نتاجها، رغم بعض الاخطاء الصغيرة التي لا بدّ منها لصناعة الخطوة الاولى الجادة. وقد توفّر ذلك، في الواقع، بوجود الملحق الشهرى الذى يمكن ان يتعامل مع الاقلام الراسخة والمتمرسة. ووجود الصفحة الاسبوعية التي تشد اليها جمهورا من الادباء الشبان الناشئين.

عادل الاسطه:
تبنت الصفحة العديد من الاسماء الشابة

تبنت الصفحة العديد من الاسماء الشابة، خاصة الشعر، والكثير ممن نشروا في "الشعب الثقافي" اصدروا مجموعات شعرية، مثل عبد الناصر صالح ومحمد الريشة ومنير ابراهيم.

محمد البطراوي :

خيرة كتابنا ومثقفينا لهم علاقة حميمة مع الطليعة

لا نستطيع ان نزعم ان الصفحة الادبية "انجبت" اسماء ادبية محددة، كثيرون هم الذين ظهرت اسماؤهم أول ما ظهرت في الطليعة، ولكنهم أيضا وفي نفس الوقت نشروا نتاجهم في الصحف والمجلات الاخرى، ولكننا في الطليعة نستطيع ان نفخر باننا قدمنا للحركة الادبية بعض العمال الذين وجدوا في صفحة الطليعة بابا لولوج عالم الكتابة الادبية والسياسية ..

ونستطيع ان نزعم ويحق ايضا ان خيرة كتابنا ومثقفينا في أرضنا المحتلة لهم علاقة حميمة مع الطليعة وهم يشاركون فيها بنفس المقدار الذى يشاركون به في الصحف والمجلات الاخرى.



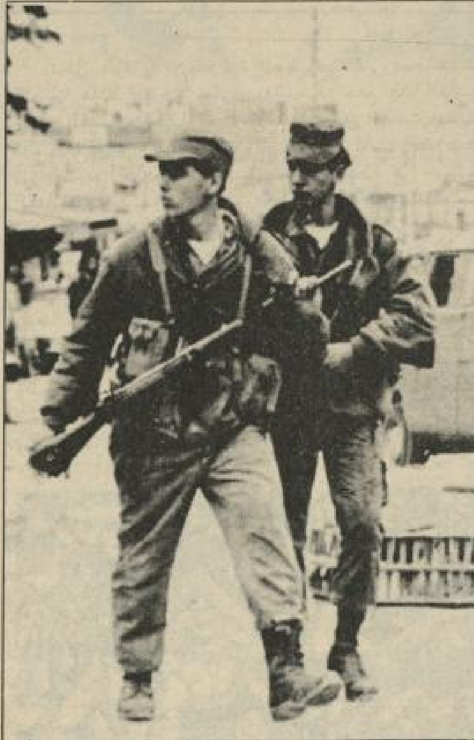
محمد البطراوى

جمال خزمو :

كل كتاب الضفة ساهموا في مسيرة البيادر

لا استطيع القول بان البيادر هي التي خلقت الموهبة او القوة الكتابية لدى عدد كبير من الكتاب، ولكني استطيع القول بأن البيادر نمت هذه الموهبة واظهرتها بشكل جيد. ومن أبرز الاسماء التي لمعت عبر البيادر كل من : زكي العيلة (غزة)، حمدى الكحلوت (غزة ويعمل حاليا في الخليج العربي) ومحمد أيوب (خان يونس) وعبدالله تايه (غزة) وغريب عسقلاني (غزة) وتوفيق الحاج (خان يونس) وعبد الناصر صالح (طولكرم) وحلمي الاسمر (طولكرم) وعبد القادر صالح وفخرى صالح (اليامون) ووليد الهليس (غزة) وسميح فرج (الدهيشه ـ بيت لحم).

واود هنا ان اذكر بان كل كتاب الضفة والقطاع ساهموا في مسيرة البيادر من خلال نشر انتاجهم الفكرى فيها، كذلك ساهم في هذه المسيرة عدد من الكتاب والشعراء من الجليل والمثلث. وما زالوا يساهمون حتى اليوم.



الاحتلال الليبرالي ..؟؟؟

ملف خاص

أدب وطني جديد رغم قصمات الرقابة

علي الخليلي: نرفض الصمت مهما كانت اسبابه ومسبباته

تشل الرقابة الاحتلالية الصهيونية على صحافتنا الادبية عائقا كبيرا لا يمكن اغفاله. وقد دفع هذا العائق ببعض الكتاب الى الصمت. الا اننا نرفض الصمت مهما كانت اسبابه او مسبباته، وبالتالي، كانت القناعة في اختراق حاجز الرقابة ضرورة ملحة في خلق الكتابة الجديدة. فالشاعر او القاص او الناقد المحلي قادر على توفير ادواته اللغوية والفنية لابداع عمله. كما أن جماهير قرائنا قادرة على استيعاب هذه المعركة الادبية ـ الفنية ـ السياسية.

والواقع ان الرقابة لا تقف عند حد شطب هذه القصيدة أو القصة او هذه الجملة او تلك، وانما تتجاوز ذلك الى فرض نفسها في منع وصول الكتب والصحف والمجلات الينا، مما يعني انها تحاول أن تخلق حصارا حولنا. مع ذلك يدرك الأديب الوطني المحلي معركته، ويعرف انه ليس وحده في اصراره على الحياة والتقدم.



عادل الاسطه :

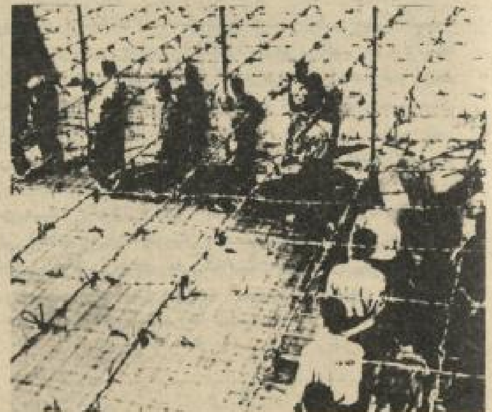
الرقيب يلاحق الكاتب على كل كلمة لكنه يعرف كيف يحررها

لعل الرقيب أصبح ظلا للكاتب في الارض المحتلة يلاحقه على كل كلمة بحيث أن الكاتب نفسه قبل أن يرسل نتاجه الى الصفحة الادبية يبدأ "بمراقبة" ما كتب . هل يسمح بنشر هذا أم لا يسمح ؟ وبالتالي يكون رقيبا على ادبه وكتاباته ، وهذا يحد من ابداعه ويحد من كتابته . فالكاتب يريد أن ينشر نتاجه لان النشر جزء من عملية الكتابة ، اذ ما فائدة الكتابة ان لم تر النور ، فكيف اذا عرفنا أن النشر من خلال الكتب صعب وغير متوفر دائما .

ثمة فرق يلحظه المتتبع لادب الضفة والقطاع بين ما ينشر في الصفحات والمجلات وبين ما ينشر في الكتب خاصة في مجال الشعر والقصة . فكم من قصيدة وكم من قصة ارسلت الى المجلات والصفحات الادبية ولم تر النور في حين أن بعض دور النشر تغامر وتنشر مثل هذه المواد في كتب خاصة ، ان بعض قصاصينا لم ينشر اية قصة من قصصه الجادة والملتزمة في الصفحات اليومية لتعرضها الى الرقيب ، ومن ثم يلجأ الى نشرها في مجلة "الجديد" وجريدة "الاتحاد" او ينتظر حتى يصدر مجموعة قصصية دون أن يعرضها على الرقيب وسرعان ما تصادر .







الوطن ... السجن ...

محمد البطراوي :

الرقابة هي "ابو خانوق" عدو الاطفال .. يمنع الهواء عن صدورهم

اما الرقابة فاننا نسميها "ابو خانوق" وابو خانوق عدو الاطفال يمنع الهواء عن صدورهم . والرقيب لا يستطيع أن يرى الربيع الا اذا وجده مدونا في المفكرة ، وربما كانت مفكرة الرقيب خالية دائما من ذكر الفصول والمواسم .

الرقيب يتعامل مع النص الادبي في اغلب الحالات بروح من عدم الفهم والحذر ، لذلك فان "اسلم" الامور هو الخنق .. ولا عجب أن لا تظهر في الجريدة اغلب الاعمال المزهرة بنوار الربيع ، ولا عجب ايضا ان يجرد الرقيب اعمالا أخرى من كل أزاهيرها وروائها .

ان للرقابة قصة طويلة تضرب في اعماق التاريخ ، ونحن اليوم نعاني كل ارث ظلامها الرهيب في قالب عصري تتطلبه مظاهر هذا العصر .

في كل عدد نشيع الكثير من "الجنازات" لاطفال صغار ولدتهم اقلام سهرت كثيرا حتى انجبتهم .

ملف خاص

ثقافة جديدة ضد الاحتلال

بقلم : علي الخليلي

لم تتوفر حتى الان، دراسات احصائية للحركة الثقافية في أرضنا المحتلة (١)، لذلك سوف تعتمد الهوامش الراصدة التالية مصادرها السريعة العامة من خلال الظواهر الادبية والفنية البارزة التي انعكست بعمق وجدية عن جوهر الثقافة العربية الفلسطينية في الضفة والقطاع المحتلين منذ الخامس من حزيران عام ١٩٦٧، مقتنعة بذلك كل أهمية يوفرها الكم الصحيح لي هذه المسألة، لتؤكد بالمقابل، هذه الهوامش رغم طابعها التمهيدي على تبلور ونشوء ثقافة وطنية تقدمية جديدة ضد الاحتلال، تكرست وتعززت عبر الصراع اليومي العنيف.

الهامش الأول : الصدمة

الاحتلال الصهيوني صدمة، واكتشاف الشخصية الوطنية الفلسطينية عبر الادب النضالي المتدفق من الجليل والمثلث .. "صدمة"! فالاديب الفلسطيني المذبوح في الضفة والقطاع لم يكن "يتوقع" كليهما على تناقضهما الحاد. الا انها صدمة الصراع ضد الاحتلال من جهة، لتكون صدمة الوحدة والتكامل مع ادب سميح القاسم ومحمود درويش واميل حبيبي وتوفيق زياد .. وغيرهم، من جهة أخرى.

كانت الصدمة مؤقتة، كي يتواجد اليقين الواضح. الا أن هذا التواجد ليس مجرد نقلة ميكانيكية. لا بد من الصراع، فاذا كان الذهول قد انقشع ليترك من تحته فراغا هائلا: لا كوادر ثقافية متميزة، لا صحف، لا مجلات، لا مؤسسات وطنية .. الخ، فان الارهاص الثوري كان يبزغ في الداخل، اضاءة هنا، اضاءة هناك، ليربط، في وعيه السياسي والاجتماعي، بين الهزيمة المؤطرة بالرجعية العربية المنكفئة نحو عواصمها المخذولة، وبين الصهيونية والامبريالية الاميركية اللتين وجدتا في هذا الاطار – الهزيمة والرجعية – مناخا نادرا لقهر حركة التحرر الوطني العربي كلها.

وقد بقي هذا الارهاص الثوري غائبا عن الفعل الادبي الثقافي بحكم الغياب الكامل لادوات واجهزة النشر العادية، حتى كانت السنة الثانية للاحتلال، فصدرت احدى الصحف المحلية، لتستقطب أولى البواكير الادبية.

الهامش الثاني : الثورة

كانت الثورة الفلسطينية في الواقع صورة متكاملة لمجموعة مراحل متداخلة منذ عشرينات هذا القرن حتى نكبة العام ١٩٤٨ التي طورت هذا التكامل والتداخل لتكون سنة ١٩٦٥ مؤشرا جديدا للثورة. وهو مؤشر ذو دلالة هامة جدا في أن الثورة الفلسطينية الحديثة قد سبقت الواقع المباشر للهزيمة في العام ١٩٦٧. فبقدر ما كانت أسباب هذه الهزيمة واضحة ومعروفة لدى الانسان الفلسطيني كانت أسباب الثورة واضحة ومعروفة لديه أيضا، بدليل تلك الاسبقية النادرة في محيط عربي رسمي كان يعمل على اغراق المنطقة بطوفان اعلامي مضاد.

الا ان هذه الثورة بقيت محصورة في أفق سري ضيق، حتى كانت الهزيمة – الصدمة – لتخرج تلك الثورة بديلا وحيدا، ليس للصدمة أو الهزيمة فحسب، وانما للمستقبل كله أيضا، فانتشرت واشتعلت.

كان الاديب الفلسطيني الشاب في الارض المحتلة، جزءا من هذا الانتشار، وجزءا من هذا الاشتعال. وقد وجد وعيه الادبي الجديد، مستجيبا بذلك لثورته الجديدة ذاتها، في قصائد محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد.

هو اذن، الاديب الفلسطيني الشاب، فاقدا كل من كانوا حوله، وغير آسف على ثقافة رجعية كان يفرضها نظام رجعي سابق، يتلقف في بداية السبعينات، ثقافة فلسطينية وطنية جديدة صارعت الصهيونية عشرين عاما حتى اختمرت ونضجت واكتملت بفكر تقدمي استطاع أن يبقى ويصمد، عبر ظاهرة أدبية، أبرزها الشعر، متميزة به، بوضوح كبير.

الهامش الثالث : الكتابة

كان الاحتلال الصهيوني على دراية مسبقة باهمية هذا التلاقي والتكامل بين اجزاء ثقافة الشعب الواحد، فمنعت سلطاته العسكرية صحف ومجلات "الاتحاد" و "الغد" و "الجديد" من الوصول الى الارض المحتلة، كما فرضت

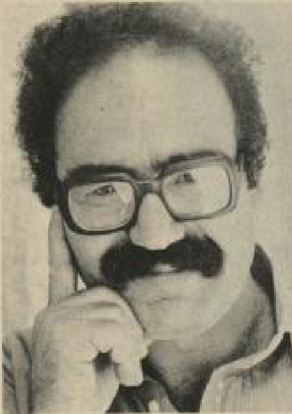
الاقامات الجبرية على القيادات الفكرية والادبية العربية في الناصرة وحيفا وعكا وغيرها، كي تعزز هذا المنع وتثبط اي همة لحركة الوعي الجديد .

فشل هذا المنع بالضرورة، لانه محاولة لا تفهم تاريخ المرحلة الجديدة الا بقدر فهمها الاجرامي للبطش والارهاب . فقد تسربت الاتحاد والغد والجديد، كما تتسرب المناشير الثورية، للارض المحتلة، وحفظت قصائد المجموعات الشعرية القادمة عبر الحواجز، عن ظهر قلب، أخذت الشاعرة الكبيرة فدوى طوقان التي بقيت في الارض المحتلة راسخة مثل زيتونة، في وقت فقدت فيه هذه الارض غالبية ادبائها وقصاصيها وشعرائها المتمرسين بتواجدهم القسري في المنافي . . . . اخذت حقها الواعي بالتاثر الانساني من تلك القصائد الفلسطينية الجديدة، فانتشر صوتها بعد الاحتلال لتنسف من خلاله تراكمات سابقة، ولتكرس طريقا تلتقي فيه مع حركة شعر المقاومة، بنبرة عميقة وواضحة .

امّا أولئك الشبان الجدد الذين كانوا، او كان معظمهم دون تجربة ادبية سابقة، فانهم سوف يحرصون على صياغة مبادراتهم الذاتية في خلق ادب محلي جديد يستجيب لذلك الزخم الشعري اولا، ثم للقصة القصيرة فالرواية والبحث والمسرح . . الخ . .

الهامش الرابع : الرقابة

من منتصف السبعينات حتى الان، بدأت تتوفر الصحف والمجلات الوطنية التي تحتضن حركة النشر الادبي، الى جانب الحركة الاعلامية الفلسطينية اليومية . وبالمقابل، بدأت تظهر مؤثرات الرقابة العسكرية الاحتلالية على هذه الحركة . فآثرت بعض الاقلام الصمت، حزينة مقهورة بسبب الخنق والتضييق، ونافرة من حتمية التزام "الصيغ الرمزية" في الكتابة . ولكنها اقلام قليلة لم تستطع أن تبرر هذا الصمت باكثر من الحزن والضيق، فطواها النسيان، لتنطلق الاقلام الشابة العنيدة التي ترفض الصمت وتقارع الرقابة، بقدرة متجددة على الكتابة من جهة، وقدرة على التوصيل الجماهيري، من جهة اخرى . فلم تجد سلطة الاحتلال امامها سوى السجون والمعتقلات تدفع اليها بالادباء الشبان تحسب انها بذلك تقهرهم وتكسر اقلامهم وتمزق عيونهم والسنتهم .



• علي الخليلي

الا أن هذه السلطة الباطشة فشلت من جديد . فاصطنعت وسيلة اخرى تكمل بها الحصار والطوق، فصارت تصدر ما بين حين وآخر قائمة بالكتب الممنوعة من فكرية وادبية ودينية وجغرافية وتاريخية . . الخ . تسحبها من مكتبات الشارع ومكتبات المدارس، ومكتبات البيوت، ثم تتلفها بالحرق والردم . وكي تزيد من عنتها وملاحقتها الارهابية، أصبحت تضم الى تلك القوائم أسماء كتب عربية صادرة حديثا ولم تصل بعد، او بالتحديد لم تهرّب بعد، للارض المحتلة، تحسب انها بذلك تستبق الحدث، فتمنع الكتاب قبل وصوله، وتوقع بطشها به قبل وقوع سببه !

وعلى نفس النهج العدائي، منعت هذه السلطة كل الكتب الصادرة في الارض المحتلة حتى تلك التي خضعت لتشويه الرقيب، من الانتشار خارج المنطقة عبر الجسور . يقف الى جانبها في هذا، كل اجهزة الرجعية العربية التي تعزز هذا المنع بوضوح تام، وهو موقف قد يصل حد الاعتقال للمؤلف اضافة الى اتلاف الكتاب المصادر نفسه .

نجحت هذه الخطة في فرض حصار فعلي حول الحركة الادبية المحلية، فلا صحف او مجلات او كتب من "الخارج" (٢) الا ما رضي به "السلطان" او تسربت بعض نسخه سرا .

كما لا يعرف "الخارج" عن "الداخل" الا شذرات قليلة لا تشكّل اطلالة علمية واسعة على الحركة الادبية الفعلية في الضفة والقطاع، مما يوقع بعض الباحثين" او "الناقدين" في ذلك "الخارج" باخطاء فادحة . او يوحي باهمال وتجاهل تلك الحركة المناضلة كلها . (٣) ولعل كل هذا يدفع لمزيد من المواجهة، وفرض الذات الادبية الواعية، رغم كل الظروف، وهو فرض صريح، يمكن أن نبرزه في الهامش التالي .

الهامش الخامس : مبادرات ذاتية

بدأت مبادرات الادباء الذاتية تتضح في ضرورة اختراق حالة غياب الكتاب المحلي . فصدرت اولى الكتب بجهد أولئك الفقراء وشبه المعدمين من الشعراء الجدد انفسهم .

ملف خاص

ثقافة جديدة ضد الاحتلال

كانت المجموعة الشعرية المطبوعة والمنشورة في كتاب "ديوان"، هي الطلقة الاولى ! يبيع قميصه الشاعر الجديد وينشر حفنة من قصائد بين دفتي كتاب ! هكذا ولدت "حركة" النشر المبكرة بعد الاحتلال، عبر مكتبات تجارية استفادت من رغبة القارئ للكلمة المطبوعة.

ثم كان لا بدّ أن تتجاوز المرحلة نفسها، فاتسعت المبادرة لتشمل نشوء دور نشر وطنية صغيرة، هي أيضا ذات طابع فردي، الآ انها ساعدت على نشر الكتاب الوطني. كما ساعدت على تجاوز النوعية في النشر أيضا. فبعد تراكم كثير من المجموعات الشعرية، ليس أقل من غالبيتها كان ركيكا وهزيلا ولا قيمة فنية أو انسانية له، أصبحت تلك الدور الصغيرة تقوم بنشر بعض الدراسات والابحاث الجادة.

ثم استطاعت القصة القصيرة أن تفرض ذاتها في الصحف والمجلات، لتنتقل من ذلك الى دور النشر التي أصدرتها في مجموعات مستقلة وجدت لها قارئا منتظرا ومتلهفا. (٤) كما أن الرواية وجدت طريقها الشاق لتواكب حركة أدبية جديدة لا تحتمل غياب هذا الشكل الادبي الهام عبر أربعة عشر عاما من الاحتلال. أمّا النقد الادبي، والمسرح، فهما لا زالا أقرب الى الظاهرة النادرة أو "اللمحات" من كونهما نمطين أساسيين في الحركة الادبية. ولعل ذلك لا يعني حركتنا الادبية في الارض المحتلة وحدها، وانما هي ندرة النقد الجاد والمسرح الجاد.. في المنطقة العربية كلها.

على أن كل هذه المبادرات الشجاعة سوف تتجاوز أطرها الفردية الحالية، من خلال توفر اطار واحد جمعي يكرس واقع رابطة أدبية ما لكل الادباء الوطنيين في أرضنا المحتلة، (٥) مما يعني القدرة على الطباعة والنشر والتوزيع والوصول الى أوسع قاعدة شعبية.



الجندى البشع.. المطاط يحترق.. الشوارع المفرغة.. المدينة الحزينة المجنزرة.. البلدوزر... البندقية.. والفقير المسحوق الذى يقاوم، كل ذلك.. حضور دائم في أدب المناطق المحتلة

الهامش السادس : الانتشار

كان من ابرز ظواهر نمونا الثقافي في الارض المحتلة، انشاء الكليات الجامعية الوطنية في بير زيت ونابلس والقدس وغزة والخليل وبيت لحم، التي تكرست أخيرا كجامعات موسعة في بعض هذه المدن، والتي ما زالت تحتاج الى المزيد من توحيد المناهج والبرامج والقيادات والخطط لتكون وحدة جامعية فلسطينية متكاملة.

على اية حال، شكلت هذه الجامعات اضافة حضارية لمجتمعنا الفلسطيني، أثرها فيما يخص مقالتنا، يأتي من مدى

اهتمامها بأدبنا المحلي وثقافتنا الوطنية المحلية . فاذا قرأنا خطة احدى هذه الجامعات : "بير زيت" خلال العام الحالي ، وجدنا انها قد أدرجت الادب الفلسطيني الحديث في دائرة اللغة العربية وآدابها ، الا اننا نعلم ان هذا المساق غير متكامل وغير قادر حتى الان على استيعاب الواقع الادبي المحلي التقدمي ، مما يؤكد على أن الجامعة الوطنية لم تساهم بعد ، في انتشار هذا الادب داخل خلايا جسمها الطلابي من جهة ، ولم تشترك ، عبر قدراتها الادبية الاكاديمية ، في نقده و "الاعتراف" الجدي به من جهة اخرى . (٦)

امّا المدارس فانها لا تستطيع أن تتعامل مع نتاجنا الوطني المحلي لخضوعها الكامل للمنهجية غير الفلسطينية ـ الضفة منهجية الاردن ، والقطاع منهجية مصر ـ اضافة الى الرقابة الصارمة على مكتبات هذه المدارس .

امّا الجمعيات والنوادي والمؤسسات الاخرى ، فانها وهي "الحرة" في تصرفها الثقافي ، ما زالت خاضعة لمنهجية "المواسم" في تعاملها مع الثقافة الوطنية الفلسطينية الجديدة ، من خلال مناقشة كتاب أو محاضرة أو ندوة . . . الخ ، فحسب !

اذن ، كيف يحقق الكتاب الوطني انتشاره ؟

لم يتحقق هذا الانتشار بعد ، أو ان طموحنا بانتشار واسع لم يتحقق حتى الان .

الحواشي :

١ ـ أصدر عرفان سعيد أبو حمد الهواري موسوعة "اعلام من ارض السلام" في العام ١٩٧٩ ، التي اشتملت على ١٥٦٥ اسما ثقافيا فلسطينيا ، منهم على اية حال ، بعض الاسماء التي يختص بها مقالنا الحالي ، الا ان ذلك لا يشكل سوى خطوة لبيبلوغرافيا محلية متخصصة لم تكتمل بعد . امّا جمعية البحوث العربية في القدس ، فأفادت أنها سوف تصدر موسوعة الكتاب الفلسطينيين في الارض المحتلة ، بعد رصد كامل لكل واحد منهم . كما افادت بذلك أيضا جمعية انعاش الاسرة في البيرة . ولعل بصدور هذه الموسوعة عن أي طرف وطني ، سوف تتوفر الفرصة العلمية للدراسة الفاحصة الدقيقة ، ويمكن أن نشير هنا أيضا الى السجل الاحصائي حول القصة القصيرة الفلسطينية الذي نشرته مجلة الكاتب الفلسطيني قبل سنتين في بيروت . . فهو اوفى سجل ، حسب علمنا المحدد بالحصار . امّا ما ينشر من مقالات صحفية سريعة ما بين حين وآخر ، عن عدد المجموعات الشعرية ، التي صدرت خلال عام او اكثر ، على سبيل المثال فانها غير دقيقة أو هي مشوهة وناقصة .

٢ ـ المجلات النفطية التقليدية غير ممنوعة من الوصول مثل : العربي ، الفيصل ، الدوحة . . . امّا الصحف والمجلات المصرية فلا يقرأها المواطن الفلسطيني بحكم موقفه المضاد لكامب ديفيد الذي يمثل خيانة نظام السادات لقناعات وحقوق هذا المواطن . امّا بعض الكتب العربية التي تصل بطريق "مشروع" فانها فلسفية أو أدبية عامة فحسب ، وهي قليلة جدا ، ونادرة ، وخاضعة أيضا للمنهجية التجارية المحضة .

٣ ـ مما يؤلم أن تنشر بعض الصحف العربية ـ والتي تصلنا قصاصاتها بالصدفة بالبريد ، لقاءات مع بعض ادبائنا "الكبار" في العواصم "الكبيرة" فيحلو لهذا البعض أن يؤكد معرفته ، وهو البعيد البعيد ، بأدب الارض المحتلة ، الذي كما يقول ، لا وجود له . فالارض المحتلة تشكو من فراغ . . . الخ . الم يخترق العظم ، ولا نملك ، مع هذا ، الا المثابرة ، ونسيان أننا قرأنا تلك القصاصات

٤ ـ أصدرت الحركة الادبية المحلية مجموعة قصصية مشتركة بعنوان "٢٧ قصة قصيرة من القصص الفلسطينية في الارض المحتلة" لاربعة عشر قاصا ، في العام ١٩٧٧ . وسوف تصدر المجموعة الثانية خلال الاسابيع القادمة . وفي ذلك مؤشر على الاهتمام الجديد بالقصة القصيرة . وقد اعيد طباعة المجموعة الاولى في بيروت في العام ١٩٧٨ ، ولكنها لم تنل ، كالعادة ، حقها من النقد

امّا كتاب القصة في الضفة والقطاع ، فان معظمهم قد أصدر الان ، وعبر السنوات الخمس الماضية ، اكثر من مجموعة قصصية خاصة به .

٥ ـ تعمل الحركة الادبية المحلية منذ بداية هذا العام ، على خلق تجمع عام لكتاب وادباء الارض المحتلة ، وبالفعل ، ومن خلال الرؤية العملية لتجاوز مصاعب ظروف موضوعية قاهرة في المرحلة الراهنة لا يستطيع بسببها الادباء انشاء رابطة قانونية خاصة بهم ، عمل هؤلاء الكتاب والادباء على انشاء "دائرة" لهم في جمعية الملتقى الفكري العربي بالقدس ، يكرسون بها تجمعهم وقدراتهم على العطاء الجماعي .

٦ ـ انظر جريدة الفجر المقدسية ـ الاعداد ٨١/٤/٢٢ ـ ٨١/٤/٢٨ ـ ٨١/٤/٢٩ .

ملف خاص

بقلم : داعس ابو كشك

الحركة الثقافية الوطنية الفلسطينية في الأرض المحتلة ونضال من أجل التحرر والاستقلال

ان الثقافة هي نتاج النشاطين الذهني والسلوكي للانسان، وباعتبارها افراز هذين النشاطين فهي بدورها تؤثر فيه وتكيفه على المدى الطويل، وعلينا أن نميّز بين نوعين من الثقافة، فثمة ثقافة وطنية تقدمية انسانية والاخرى ثقافة لا وطنية رجعية عنصرية تقليدية عفنة تفوح منها رائحة التخلّف والتقوقع ضمن قمقم الارتداد.

واذا كانت الثقافة بنية فوقية تتأثر بالبنية الاقتصادية التحتية أى بعلاقات الانتاج السائدة في المجتمع فان الافكار الثقافية في التناقضات الطبقية المتفجرة تاخذ فعل القوى المادية في سريانها بين الجماهير، ولهذا فهي تلعب دور المحرك المادى في الانتقال من حالة الى اخرى ومن نظام اجتماعي الى آخر.

تنسحب على الحركة الثقافية الفلسطينية في كل اماكن تواجدها خصوصية القضية الفلسطينية وخصوصية الادب الانساني الداعي الى التحرر والاستقلال والسلام العادل.

ونلاحظ أن الاتجاه الوطني الذى يشكّل حالة امتداد على مجمل روافد الحركة الادبية اعطى زخما ثقافيا وعطاء متواصلا مترافقا مع عنصر التجديد والابداع والصراع ضد كل الاشكال التقليدية.

اضاءة على طريق ترسيخ مفاهيم الواقعية الاشتراكية

تعتبر الحركة الثقافية الفلسطينية في الجليل والمثلث رائدة ليس في عالم الادب الفلسطيني فحسب بل في عالم الادب العربي خاصة والعالمي عامة، فقرية (البروة) الجليلية مثلا افرزت لنا شاعرا تقدميا جريئا وضع بصماته على الحركة الشعرية، هو الشاعر محمود درويش، وكذلك قرية (الرامة) انجبت لنا شاعرا رياديا ذا توهج انساني هو سميح القاسم، هؤلاء شكلوا مع كل من الكاتب التقدمي الجرىء اميل توما والاديب الروائي اميل حبيبي والشاعر توفيق زيّاد، هؤلاء شكلوا الحركة الادبية الفلسطينية وكانوا وما زالوا طلائع هذه الحركة ويقدمون نتاجا ثقافيا يتخذ التعبير الملموس عن واقع الجماهير الفلسطينية وطموحاتها بالاضافة الى تصوير انسانية الانسان الفلسطيني وعشقه للحياة والحرية والخلاص من الظلم والاستبداد، حيث تميّزت هذه الحركة بصدق التجربة والاصالة في تصوير الام الشعب الفلسطيني وطموحاته.

ان الامتداد القومي الذى حدث بعد حرب ١٩٦٧ ساعد على انبعاث حركة ثقافية فلسطينية تقدمية عمّت الاراضي المحتلة بأسرها فكان ذلك اضاءة هامة على طريق ترسيخ معطيات مفاهيم المدرسة الواقعية الاشتراكية لادبنا الفلسطيني.

ويلاحظ ايضا بانه لم يكن هناك انقطاع بين الحركة الثقافية الفلسطينية في الجليل والمثلث والوطن العربي، حيث كان يصل انتاج الشعراء والباحثين الفلسطينيين الى بيروت وسوريا حيث يعاد طباعته، وكان للحزب الشيوعي الدور الطليعي في عملية الاتصال الدائم رغم كل اشكال القمع والاساليب التعسفية، ونلاحظ بان صحيفة الاتحاد ومجلة الجديد شكلتا دور الحضور الجماعي للكتاب وساهمتا في خلق حركة ثقافية فلسطينية تقدمية نشطة.

وفي هذا المجال يقول الكاتب التقدمي حسين مروة: "ان امتلاك الفريق الطليعي من ادباء الارض المحتلة امثال محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زيّاد واميل حبيبي للنظرية الثورية، على تفاوت بينهم في الخصوصية الابداعية قد رسّخ علاقاتهم بالجماهير والمبدئية الثابتة وجنبها الدخول في دائرة العلاقة الرومانسية ذات المزاج الانفعالي المتلوّن المتحفّز دائما للانتكاس والنكوص عند تقلّب رياح الظروف الطارئة".

لعلنا متفقون على أن موضوعة الحركة الثقافية في الوطن المحتل قد قطعت شوطا طويلا في مجال تنمية الوعي الوطني والتقدمي وتحديد علاقة الثقافة بالواقع المعاش، وهذا تطلب كشف جوهرية الالتزام في بناء الصرح الثقافي الوطني الفلسطيني والانساني والمرتبط جدليا مع آمال وآلام الجماهير الشعبية الكادحة.

ويظهر جليا أن تحديد علاقة الثقافة بالواقع تتطلب تحقيق الاتجاهية الواحدة والصادقة من خلال منظور مادى جدلي يحدث القفزة النوعية في مجال الانتقال من النظرية الى التطبيق لان ذلك يعتبر وبحق المحك الاساسي في موضوعة الانتماء والتعبير عن هذا الانتماء من خلال تجسيد الشرعية والدفاع عنها حتى أن هذه العلاقة تزيد من البعد الجوهرى لقضية الابداع الثقافي الانساني حتى تصبح علاقة وجود على ارض الواقع

والتأثير، هذا الواقع وخاصة الواقع الاجتماعي. ثم أن الظروف السياسية والاقتصادية والوطنية والقومية هي نفسها التي تربط الجماهير بقضية واحدة تكون الحركة الثقافية بشتى روافدها قد قامت برصد دقيق لهذه الظروف ووضعت البديل المناسب في تغيير هذه الظروف.

ميزات الحركة الثقافية

ان المتتبع لتطور الحركة الثقافية في الوطن المحتل لا يستطيع أن يعطي استدلالا تاما دون الاخذ بالمؤثرات المختلفة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وذلك من اجل اعطاء هذا الاستدلال الوطني. ومن هنا وما دمنا نعيش في اتون مكونات هذه الحركة فاننا نقول بأن الحركة الثقافية تمتاز بما يلي:

١ ـ مجموع الكتابات مرتبطة بواقع الشعب الفلسطيني.

٢ ـ ان الكاتب الفلسطيني ليس محدودا بآفاق مأساته القومية الضيقة في وقت تتزايد فيه التفاعلات الانسانية حيث ما من كاتب فلسطيني الا وشحن انتاجه الثقافي بالتعاطف الانساني الصادق مع آلام البشرية. وهذا الانتاج يدل على مدى التفاعل والتكامل الانساني الجاد.

٣ ـ تمتاز الحركة الثقافية بشتى فروعها بالموضوعية الهادئة المتزنة وذلك لما لهذه الموضوعية من دور ريادي وطليعي خلاق في السير بالحركة الثقافية ضمن الاتجاه الوطني التقدمي.

٤ ـ الحداثة والاصالة والابداع الفني الذي يعتبر اعلى اشكال الوعي الاجتماعي.

٥ ـ تحديد العلاقة بين العمل والواقع التاريخي وذلك من خلال الواقع الموضوعي الذي يحدد خطوات المرحلة التاريخية الراهنة وذلك لان مسألة النسبية التاريخية تعني أن قيم الاستكشاف والرؤية لا تقاس الا بعلاقتها مع اشكال العلاقات الاجتماعية ومستويات الوعي الاجتماعي واشكال هذا الوعي.

ومن هنا نستطيع أن نقول بأن صانعي هذه الحركة الثقافية هم أبناء هذا المجتمع وخاصة ابناء الطبقة المسحوقة الذين يقدمون أدبا صادقا بدم بارد ونفس طويل.

وتعمل الحركة الثقافية الوطنية بكل أدواتها المتاحة لنشر الوعي ومحاربة اليأس وكشف ممارسات الاحتلال وادواته الرجعية واستنهاض الهمم والتحريض على مقاومة كل اشكال الاحتلال والاستغلال. ومن هنا يحتل الادب الفلسطيني في الارض المحتلة مكانة مرموقة في خريطة العالم الادبية وذلك لانه نابع من تفاعل جاد مع الواقع.

لقد عملت ظروف عام ١٩٦٧ على بلورة وعي فلسطيني ابرز حركة ثقافية فلسطينية اكتسبت ابعادا ومضامين نضالية جديدة مما أبرزها كحركة ثقافية وطنية تقدمية.

ولا شك بأن بعض الكتّاب المقيمين في الخارج نصّبوا انفسهم أوصياء على الحركة الثقافية في الارض المحتلة عام ١٩٦٧، حتى انهم وصلوا في درجة تقييمهم بأنه ليس هناك حركة ثقافية بل هناك فراغ، هذا هو حكمهم على حركة ثقافية تقدمية استطاعت أن تغرس جذورها في رحم الثورة الفلسطينية، وتلعب الطلائع الفلسطينية المثقفة دورا بارزا في تأطير ونمو الحركة الثقافية الفلسطينية في الارض المحتلة وذلك من خلال التطور النوعي بالشكل والمضمون المترافق مع اشراقة وطنية تقدمية حيث تتفتح فرص الالتحام الطبيعي ما بين الارض والانسان.

ولهذا كانت مقالة الباحث والشاعر علي الخليلي من على صفحات ملحق الفجر الادبي بعنوان "لماذا هذا التجاهل القاسي". تقول وبحق أن مقالة الخليلي جاءت لكي تحك عقول بعض هؤلاء الكتّاب، وهي تعبّر عن هموم سائر الكتاب والادباء في الارض المحتلة.

نقول بأننا هنا نكتب ونكتب ليس من أجل مال تدفعه هذه الصحيفة أو تلك المجلة انما نكتب من أجل القضية والوطن والمعاناة ومن أجل التحرر والاستقلال.

ملف خاص

حوار مع رئيس تحرير "مجلة الكاتب"

الشاعر أسعد الأسعد:

في المناطق المحتلة حركة ثقافية تعمق الارتباط بالارض والوطن رغم سياسة القهر وغياب الحرية.



تمهيد لفهم مرحلة قاسية
رغم سياسة القهر تبلور الشعور القومي

المرحلة الممتدة من عام ١٩٥٠ وحتى عام ١٩٦٧ حيث ارغم الفلسطينيون في الضفة الغربية على حمل الهوية اردنية، بموجب مؤتمر اريحا، هذه المرحلة ما يميزها اننا عانينا من سياسة القهر القومي وطمس الهوية الفلسطينية والتمييز الذى سعت اليه الحكومات الاردنية المتعاقبة والممارسة الفعلية من خلال الفصل بين الفلسطينيين والاردنيين، لكن في هذه المرحلة أيضا زاد تبلور الشعور القومي المتنامي في نفوس ابناء الشعب الفلسطيني فبرز من خلال تنظيمات سياسية ظلت تعمل سرا طوال الوقت، مثل الحزب الشيوعي الاردني وحزب البعث العربي الاشتراكي وحركة القوميين العرب وغيرها من التنظيمات السياسية والاجتماعية التي كان لها دور بارز في تعزيز الحركة الوطنية في الضفة الغربية والاردن على حد سواء، حيث نظمت انتفاضات جماهيرية اضطرت النظام الهاشمي على التراجع امام ارادة الجماهير كطرد غلوب باشا عام ١٩٥٦ والغاء المعاهدة الاردنية البريطانية وتشكيل حكومة وفاق وطني بقيادة سليمان النابلسي، وقد حفزت هذه التجربة الجماهير الى الانتفاض والتظاهر في كل مناسبة قومية ووطنية كان آخرها المظاهرات العارمة التي اجتاحت الضفة الغربية عقب العدوان الاسرائيلي على السموع.

وماهو دور وموقع الحركة الثقافية في هذه الظروف؟

في هذه الظروف انطلقت اصوات لتسجل حركة الناس وتطلعاتهم من خلال معاناتهم، ورغم الاجواء الخانقة فقد برزت بعض الاقلام الشابة التي استطاعت ان تشق طريقها.. ولعلنا لا نخرج عن الصواب اذا قلنا ان نهايات الخمسينات كانت بداية لمنعطف جديد، فقد اعتبرت الوحدة السورية المصرية عام ١٩٥٨ لبنة أولى في بناء طموحات الامة العربية في الوحدة، كذلك كان هناك تأثير كبير على مشاعر الجماهير، الانتصارات العظيمة التي حققها ثوار اليمن الجنوبي على قوات الغزو البريطاني

بتاريخ ١٩٧٨/٤/٧ تقدّم الشاعر أسعد الاسعد بطلب للحصول على رخصة لاصدار مجلة أدبية ثقافية تحمل أسم "الكاتب"، الا أن وزارة الداخلية رفضت الطلب بعد ستة أشهر بحجج واهية بلغت ٢٢ حجة. فتوجّه بواسطة المحامية فيليتسيا لانغر الى المحكمة العليا التي أبطلت حجج وزارة الداخلية وأمرت باصدار الرخصة وذلك في أكتوبر ١٩٧٩، ومنذ ذلك الحين تصدر هذه المجلة لتسد فراغا كانت تعانيه الحركة الثقافية في المناطق المحتلة، كذلك وفي العام نفسه تأسست دار الكاتب للنشر وقد أصدرت حتى الان حوالي ٦٠ كتابا تقدميا أكثر من نصفها لكتّاب محليين.

"الجديد" التقت الشاعر أسعد الاسعد، في هذا الحوار الذى يستعرض من خلاله الحركة الثقافية في الضفة الغربية والقطاع في الفترة ما قبل الاحتلال وما بعده.

وثوار الجزائر على الاستعمار الفرنسي.

في بداية الستينات ظهرت مجلة "الافق الجديد"، وكان صدور العدد الاول مدعاة لشعور حقيقي بميلاد حركة ثقافية في الاردن، فقد نجحت في خلق جيل من الكتّاب كان له الاثر الاعظم على الحركة الثقافية في حينه فبرز بينهم محمود شقير وعز الدين المناصرة وعلي فوده وخليل السواحرى وصبحي شحرورى ومحمد بطراوى، لكن هذه الاقلام الشابة لم تجد الرعاية الكافية سواء على الصعيد المعنوى او المادى، وتعتبر هذه المرحلة امتدادا لمرحلة نكبة عام ١٩٤٨ ولكن قلما نجد في كتابات هؤلاء العنفوان الذى نجده في انتاج شعراء وكتّاب المقاومة في نفس المرحلة.

حرب حزيران والتوجه الجديد:
صار ادبنا يقترب من الواقعية الاشتراكية

اعقبت حرب حزيران عام ١٩٦٧، موجة من السخط على الانظمة القائمة، سواء السياسية او الاجتماعية، فقد ظهرت في العالم العربي اصوات تطالب بالتغيير الجذرى للفكر العربي، وللسلوك ايضا، واستطاعت هذه الحركة ان تلعب دورا في خلق تيار قومي، اخذ ينمو ويؤثر، والشعب الفلسطيني بصفته محور هذا التغيير، كان لا بد أن ينسحب عليه، بل وعليه في الاساس هذا التغيير الجذرى، وكان لظهور منظمة التحرير بفصائلها المختلفة دور رئيسي في بلورة هذا الاتجاه، فبعد ان كان يغلب على الشعر والادب عامة طابع الحنين والبكاء، صار ادبنا يقترب من الواقعية، بل ومن الواقعية الاشتراكية في كثير من الاحيان، ناهيك عن الصلة التي اصبحت اكثر سهولة بين الادباء الفلسطينيين في الوطن مع زملائهم من ادباء

المقاومة في الجليل والمثلث.

لكن هذه الحركة كانت ضعيفة، وظلّت في سنوات الاحتلال الاولى تتارجح وتتخبّط من فعل صدمة حزيران من جهة، والحذر من الاتصال بالادباء الفلسطينيين في الجليل والمثلث من جهة أخرى، وبفعل غياب وسائل النشر والاعلام الوطنية التقدمية، ولذلك كنا نرى ولفترة قريبة بعض الاقلام من الضفة الغربية وقطاع غزة من يكتب في مجلة الشرق وجريدة الانباء الاسرائيليتين.

أيلول والتحول الجديد:
اتجاه نحو صحافة الحزب الشيوعي الاسرائيلي

كانت مجازر ايلول من عام ١٩٧٠ في الاردن، نقطة تحوّل في الحركة الثقافية الفلسطينية في الوطن، فرغم ظهور رد الفعل العفوى والعاطفي على هذه المجازر في بعض القصائد السطحية، فقد ظهرت اعمال أدبية استطاعت أن تحدد البعد الحقيقي لهذه المجازر وأن تجيب على التساؤل القائم، وماذا بعد؟

في هذه الفترة بدأت الاقلام تتجه نحو "الجديد" و "الاتحاد" و "الغد"، صحافة الحزب الشيوعي الاسرائيلي، التي استطاعت بحق أن تحتضن الحركة الثقافية الفلسطينية الوطنية رغم انها لا تصل الى المناطق المحتلة ويحظر توزيعها، ثم ظهرت صحيفة الفجر المقدسية، التي لعبت دورا حقيقيا في دفع هذه الحركة واحتضان الادباء الشباب وكذلك جريدة الشعب المقدسية.

في عام ١٩٧٤، ظهرت في القدس منشورات صلاح الدين، واستطاعت هذه الدار، أن تؤدى دورا طليعيا ورائدا في دفع حركة نشر الادب الفلسطيني التقدمي، وافسحت المجال امام الكتّاب والادباء للاطلاع على

ملف خاص

حوار...

الثقافة الوطنية والتقدمية العربية والعالمية.

بدات حركة النشر مع ظهور منشورات صلاح الدين تاخذ طابعا مميزا، فقد كان قبل صلاح الدين، منشورات ابو عرفه في القدس، التي اصدرت هي الاخرى بعض الكتب المحلية، غير انها لم تاخذ طابع النشر المحلي المتخصص كذلك، ظهرت منشورات الفكر الجديد، التي اصدرت ثلاثة كتب فقط، ثم توقفت، بعدها ظهرت مجلة البيادر، وكان ظهورها حدثا هاما، اذ كانت الحركة الثقافية بأمس الحاجة اليها، واستطاع محررها جاك خزمو وطاقم التحرير الذى تعاون معه في البداية، أن يساهموا مساهمة جليلة في دفع هذه الحركة الى الامام، بعدها ظهرت جريدة الطليعة المقدسية، والتي حظر توزيعها في المناطق المحتلة حال صدور العدد الاول، وافردت "الطليعة" صفحتين للادب والثقافة، وبذلك اسهمت في رفد هذه الحركة وتدعيمها وظهرت مجلة "الشراع"، واستطاع محررها المرحوم مروان العسلي، ان يسهم من خلال مجلته في تقدم وازدهار الحركة الادبية المحلية رغم عدم تخصصها في الادب والثقافة.

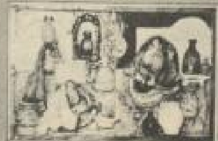
في هذا الوقت بالذات، كانت الانظار تتجه نحو تاسيس تجمع للكتاب في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين. بدات المحاولات بتجمع كتاب البيادر ثم مع جامعة بير زيت حين فشلت التجربة مع البيادر، ثم ما لبثت ان فشلت المحاولات لتاسيس تجمع من خلال جامعة بير زيت. ورغم ان هيكل التجمع ظل قائما وكذلك اللقاءات بين الكتاب، فقد اقتصرت النشاطات على مناقشة ما يصدر من كتب محلية، وكانت اللقاءات تتم في مكتبة بلدية رام الله العامة، او مكتبة جمعية الهلال الاحمر بغزة، او قاعة صحيفة الطليعة بالقدس، وقد تم في حينه مناقشة اكثر من عشرة كتب محلية، اذكر منها:

١) الطوق – لغريب عسقلاني – مجموعة قصص.
٢) محاكمة الكبار – محمد كمال جبر – مسرحيات.
٣) السفينة الاخيرة، الميناء الاخير – اكرم هنيه – مجموعة قصص.

الكاتب ١٧
للثقافة الإنسانية والتقدم

العدد السابع عشر
تموز ١٩٨١

المحتويات







العدد الاخير من "الكاتب"

٤) زمن الخـوف ـ أحمـد حسين ـ شعـر .
٥) الصبّـار ـ سحـر خليفـه ـ روايـة .
٦) الوحـش ـ محمـد أيـوب ـ قصص .

هذا بالاضافة الى مناقشة كثير من القضايا العامة التي تتعلق بالكتاب . وفي اجتماع آذار ١٩٧٨ الذى جرى في مقر جريدة الطليعة بالقدس، أقرّ الكتاب المجتمعون، ضرورة اصدار مجلة جديدة تكون لسان حال الحركة الثقافية التقدمية في الارض المحتلة باسم "الكاتب" وعهد لي اصدارها . وهي، كما تعلم، تصدر منذ عام ونصف وتحاول ان تستقطب الحركة الثقافية الفلسطينية المحلية، وبلورة حركة تقدمية .

واقع الحركة الثقافية اليوم

رغم فقدان الحرية يتعزز الانتماء لهذا الشعب ولهذه الارض

في مسيرة هذه الحركة لمعت اسماء، كان لها عميق الاثر على مسار وتطور الحركة الثقافية في المناطق المحتلة اذكر من هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر، الشعراء : علي الخليلي، خليل توما، عبد اللطيف عقل، توفيق الحاج، وليد الهليس، عبد الناصر صالح، محمد عبد السلام، ليلى علوش، للي كرنيك، سميره الخطيب . . كذلك القاصّون والروائيون : سحر خليفة، محمد أيوب، زكي العيلة، اكرم هنيه، غريب عسقلاني، ابراهيم جوهر،





عمر ابو عقاب، عبدالله تايه، سامي الكيلاني ومفيد دويكات . . . وفي المسرح : محمد كمال جبر، محمد الظاهر، محمد انيس وغيرهم . . وفي النقد : عادل الاسطه، فخري صالح، حسين البرغوثي وغيرهم . . وعلى صعيد الدراسات والابحاث التراثية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية نرى اليوم عددا كبيرا من المهتمين في مثل هذه القضايا، ممن اسهموا بكتاباتهم في تعميق وترسيخ الفكر الوطني والتقدمي .

من هنا فانني لا أبالغ اذا قلت، ان حركة ثقافية وطنية تقدمية، بدأت تتبلور في الاراضي المحتلة وتتحدد معالمها وسماتها بوضوح، ولا ابتعد عن الحقيقة اذا قلت ايضا، ان الوجه الحقيقي لهذه الحركة، هو وجه مشرق، تربطها بحركة التحرر العربية والعالمية روابط قوية، وقد اصبح لهذه الحركة جذور قوية تحدد هويتها وانتماءها ولا بد ان أذكر الدور الذى لعبته ولا تزال دور النشر الوطنية والصحف والمجلات، في دفع هذه الحركة وبلورتها نحو تحقيق طموحاتها الانسانية والتقدمية وقد تبلورت هذه الطموحات اخيرا في تأسيس اول تجمّع للكتاب الفلسطينيين على شكل دائرة من خلال جمعية الملتقى الفكرى بالقدس، في الاجتماع الموسّع الاول الذى عقد في نيسان ١٩٨٠ بمقر الجمعية، والاجتماع الثاني الذى عقد في أكتوبر ١٩٨٠ في نفس المكان وتم تأسيس اول تجمّع للكتّاب الفلسطينيين في المناطق المحتلة بحضور معظم الكتّاب والادباء، ورغم العقبات التي بدأت تظهر على السطح سواء منها ما كان متعلقا بقضايا النشر والصعوبات المالية التي تواجهها دور النشر والكتّاب على السواء، ام على صعيد الصعوبات الاخرى الناجمة عن الوضع غير الطبيعي للكتّاب والادباء الفلسطينيين في المناطق المحتلة، وفقدان اللبنة الاولى والاساسية ألا وهي الحرية، بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان وتشعبات، الا ان ذلك لا يحول دون وضع خطط العمل للاستمرار في دفع الحركة الثقافية المحلية الى ما يسعى اليه الجميع من بلورة حركة ثقافية وطنية تقدمية، تعزز الانتماء لهذا الشعب وتراب هذا الوطن، وتسهم جنبا الى جنب في النضال من أجل التحرر الوطني والاجتماعي وتحقيق طموحات الشعب الفلسطيني .

تراث

العرس في تراثنا الفلسطيني

بقلم: علي عثمان

كلمة في البداية

يوم.. الا انه من لون آخر.. من الايام التي يتداولها الناس لانه يفصل بين عمرين في حياة الشاب أو الشابة.. لانه بداية الخطوة الاولى.. لتكوين الاسرة "النووية".. التي قد تكوّن بيتا دمقراطيا.. أو عكس ذلك.. مع ما يترتب على ذلك من نتائج.. فالسيطرة تولد السخط.. الذى يتولّد عنه الصراع والتناحر...

اذن هو يوم بالفعل غير عادى في حياة الانثى والرجل ويبدا هذا اليوم في مجتمعنا وينتهي وسط حفل وداعي استقبالي.. يكون الكل مشارك فيه، موقف يرتبط بالاثنين وينفصل عنهما في نفس الوقت...

يبدا هذا اليوم من الضحى الذى يلي ليلة الحنة.. عندما يغتسل الاثنان كرمز للخروج من حياة الى حياة اخرى.. بدايته البعيدة اذا اعتبرنا البعد شيئا نسبيا تبدا بالخِطبة التي نلفظها خطا بـ(الخُطبة) فهي بالكسر من خطب المراة يخطِبها خِطبا، والخطب الذى يخطب المراة فتصبح خطبه وكذلك خطبته، والخِطب، المراة المخطوبة (١)....

ان هذه الدراسة اتمم بها دراسة وصفيّة ترتيبية كتبتها زوجتي في مجلة "التراث والمجتمع" (٢).. بدأتها من الخطبة أى البداية.. وهذه الدراسة هي النهاية ولكنها وصفيّة ترتيبية ومع هذا فهي علميّة.

ان بين البداية والنهاية شوطا كبيرا.. لا ادرى من سيكمّله.. لان الحياة مشوار لكل الناس وليست حكرا على أحد منهم.

استحمام انتقالي

في صباح آخر يوم من ايام وجود البنت المخطوبة في بيت والدها.. يبدأ هذا اليوم.. حيث تستحم، بعد ليلة نامت خلالها ويداها مخضبتان بالحناء.. التي تتحول بعد الاستحمام في الصباح من لون الليل الداكن الى لون الضحى الفاتح، الذى تستقبل فيه المدعوات من الاناث... اللواتي يقرعن الطبول.. ايذانا ببداية النهاية للعروس بين حياة واخرى، وهن يغنين اغان تعبّر عن المناسبة اكثر مما تعبّر عن شعور الفتاة نفسها قائلات:

يا فلانه طلعت من الحمام مبسوطه
كأنها في ليالي القدر مخلوقة
يا فلانه طلعت من الحمام عرقانه
كأنها في ليالي القدر خلقانة
يا هذى يا رفيقتنا يا اخت النسا
لو ندرى ودعناك قبل الحنه
يا هذى يا رفيقتنا في الروح الروح
لو ندري ودعناك قبل ما تروح

وبين الضحى وحتى موعد الذهاب الى صالون التجميل... الذى تعود منه لتجدهن يستقبلنها من جديد بالطبل والغناء:

حلفت يا هذى من يتطلع من الدار
الا تتخلى سياج الدار رمّان
حلفت يا هذى ما تطلع من العتيبه
الا الطوق المشنشل يقص الرقيبه

سويعات من الانتظار

وبين ما بعد الساعة الواحدة بعد الظهر وحتى الساعة السادسة الى السابعة مساء تمضي العروس وقتها حتى تنتهي زفة العريس.. الذى يقضي في العادة ما بين الساعة الثالثة الى الخامسة او اكثر قليلا عبر مسافة معروفة في الخط الاخضر الفاصل بين الموكب الغنائي الذى يتقدمه الرجال ومن خلفهم النساء.. حيث تتنوع الاغاني الرجالية ما بين الغناء العاطفي.. والوطني الحماسي مثل:

ديرو الميّه ع العريس — الصبر بالله يا عريس
والوطن هذا وطننا — وارحل يا صهيون عنا

وردت العليّه شربت وغسّلت ايدى
تفضلوا يا اجاويد يا عطشان اشرب ميّة

وبعد ذلك يعود كل الى بيته. . ليبدا التجمع من جديد بعد ساعة من الزمن لنقل العروس الى بيت عريسها وسط غناء مستمر عبر المسافة بين بيت العروس ذهابا وبيت العريس ايابا. . وعندما يصل جمع النساء الى بيت والد العروس يبدأن بالغناء:

واحنا ذبحنا ع الطريق ذبيحه
لما وصلنا دار ابوك يا مليحه
اربع خواتم في ايديها
والخير منكم يرضيها
اربع خواتم في اصبعها
والخيّر منكم يطلعها

وفي دقيقة خروجها من بيت والدها:

بدك تاكسي والا باص يا عيني
بدى باص واهلي ع الصفين
بدك تاكسي والا باص يا روحي
بدى باص واهلي ع السطوح

ولما تدخل الى السيارة التي تقلها الى بيت عريسها:

طلعت في التاكسي وهزته بذيالها
طلعت يا هدى منومه برجالها
طلعت في التاكسي وهزته بركبتها
طلعت يا هدى منومه باخوتها

اما أم العريس وبمشاركة النساء فيكون غناؤها مخاطبة العروس:

قومي اطلعي. . قومي اطلعي منحالك
واحنا حطينا حقوق ابوك وخالك
قومي اطلعي. . قومي اطلعي ما يهمك
واحنا حطينا حقوق ابوك وعمك
قومي اطلعي. . قومي اطلعي يا شريفه
ما ظل من مهرك ولا تعريفه

وينتهي كل هذا بدخول العروس الى بيت عريسها. . حيث آخر مرحلة في هذا اليوم وهي "الصمدة" التي يجلس فيها العروسان على كرسين فوق طاولة تحيط بها النساء في اغان متنوعة لمدة ساعتين من الزمن ثم يغادرن. . . ليخلو العروسان فيما يعرف "بالخلوة" التي ينتهي بها هذا اليوم. . ينتهي ما قبل التاريخ من عمرهما ليدخلا الى التاريخ الذى يبدا بدمعة أم العروس. . وبسمة حماتها



«زفة» في مدينة البيرة

اما اغاني النساء فغالبا ما تكون ذات نغم موسيقي متكامل مثل:

رشوا ع العريس ميّه ورديه
يا زفة العريس بعد العصر غيّه

وهكذا ما لم تنقطع بمهاهاة احدى النساء التي تعقبها الزغاريد ثم تعود لطابعها السابق مثل:

يا ريته مبارك سبع بركات
كما بارك نبينا ع جبل عرفات
يا ريته مبارك خمس بركات
كما بارك المسيح ع الخمس خبزات

وبعد ساعتين من الزمن تنتهي الزفة. . ليعود الجميع لتناول طعام العشاء الذى تحضره في العادة النساء من بيت والد العريس الى حيث يوجد الرجال وهن يرددن اغان مثل:

واسمها ام الزين
مددت الفين ورجعت سلاته
واسمها ام جراس
مددت هالناس ورجعت سلاته

تراث

العرس في تراثنا الفلسطيني

.. ووسط المسافة بينهما حيرة صويحباتها ... حيث يبلغ التناقض مداه بين هذه الاطراف في الساعة التي تلي الصمدة.

الصمدة

تبدا حال وصول العروس الى بيت العريس.. الذى يدخل بعد دخولها البيت بدقائق ليجلس الى جانبها حيث تبدا النساء بالغناء له:

كيف عبي سيجارة ما لك زعلان
يا هدى على جنبك طلق الريحان

ثم يتجه الغناء الى العروس:

هي، يا قاعده ع اللوج ديرى الغرة جنابي
والغرة طمه ريحان سوسحت العزابي

ثم للعريسين معا:

يا ريتك مباركه علينا.. علينا
وتبكرى بالصبي يلعب حوالينا

وتبلغ الحماسة في الغناء قمتها عندما يبدا هذا الفريق أغنيه.. ليقاطعه فريق آخر باغنية. فريق البنات وفريق النساء ولكل فريق ميوله بالطبع كما سنرى فيما بعد.

دمعة الأم

ان زواج الابنة يفقد الام عضوا بروليتاريا كان يتحمل معها مسؤوليات الاسرة.. ورغم انها تعرف انه يوم لا بدّ منه.. ولا تريد لابنتها أن تكون عانسا.. الا انها تحسّ بالخسارة.. وتكون اغانيها تعبر عن هذا الوضع. انها فرحة ولكنها ممزوجة بالالم.. دمعة وداع من الام. تقابله دمعة الابنة ممزوجة بالخوف من المستقبل، وكيف لا يكون ذلك من انسانة في مجتمع طبقي وفكره انعكاس لواقعه... اذا عرفنا أن المرأة السوفييتية التي تقف على قمة التحرر بالنسبة لنساء الارض ما زالت تواجه بعض العقبات.. والعقبة رقم واحد في نظرها كما تقول (ف. تولكانوفا) هي اعادة تشكيل عقلية الرجل... (٢)

ان الدمعتين تمتزجان وتذوبان في اغان ذات نغم حزين.. انهما لحن سعادة ولكنه حزين في نفس الوقت:

يا جرار الزيت يا هدى
لا تطلعي من البيت يا خساره
لا تطلعي من بويتي يا معدلتي
يا مركنه ذيال بيتي مع مصطبتي
لا تطلعي من بويتي والهوى غربي
يا طلعتك من بويتي تجرح قلبي
لا تطلعي من بويتي والهوى شامي
يا طلعتك من بويتي زادت همي

صحيح انها طلعة لا بدّ منها.. ولكنها طلعة تنقل المسؤليات التي كانت مناطة بالابنة اليها.. وعليه تستطيع أن تفهم الاسى في مناسبة سعيدة مثل هذه المناسبة.

بسمة الحماة

الحماة.. ام العريس.. التي تبدا بالغناء عندما تصل في موكب النساء الى بيت العروس:

قومي اطلعي قومي اطلعي من حالك
واحنا حطينا حقوق ابوك وخالك

ما ان تشاهد العروس خارجة من باب بيت والدها حتى تبدا على الفور بالغناء:

بقت ليكم صارت لينا ماالشمبّه
صار السعد يدرج على العليّه
بقت ليكم صارت لينا ما الغزاله
صار السعد يدرج ع الخزانه

وعندما تصل العروس الى قاب قوسين أو أدنى من بيتها:

يا هلا.. يا مرحبا بام العين الكحله
يا هلا.. يا مرحبا زيّنت علينا السهله

وعندما تدخل الى البيت:

هانا فوتي هانا فوتي يا حبيبه هانا فوتي
يا محلا صمد العرايس في العلالي والبيوت

بسمة مستقبلة لعاملة جديدة.. ربما تخفف عنها اكثر مسؤليات البيت مشقة.. وامل بالحفيد الذكر الذى يضمن تواصل العائلة وتسلسلها وترحيب ليس بعده ترحيب:

يا حبيبتي يا ها العروس — يا حبيبتي يا هيه
بعيلتي لاحطك — بعيلتي يا هيه

حيرة الصويحبات

صاحبات الفتاة.. جاراتها.. صديقات عبث الطفولة الى ريعان الشباب.. يبدأن قبل أن تخرج من بيت والدها بالغناء:

يا رويدتنا يا فلانه	يا رويدتنا يا هيه
ظلي جارتنا يا فلانه	ظلي جارتنا يا هيه

انهن يفقدن بزواجها صديقة ورفيقة عمل يجمعها بهن ساعات... ولا يبعدها سويعات.. خسارة زميلة قد تلحقها ثانية.. وهكذا في دورة حياة المجتمع المستمرة التي لا نهاية لها، هؤلاء يبدأن حال خروجها بالغناء:

ومبارحه يا رفيقه كنت انا وانت
وشو جرى يا رفيقه تتجوزتي
ومبارحه يا رفيقه كنا في الحطب
وكيف العمل يا رفيقه تلبستي القصب
ومبارحه يا رفيقه كنا في الغسيل
كيف الامل يا رفيقه تخدك امير
يا رفيقتنا يا اخت النا العال العال
لتدري ودعناك قبل الرمان

بل وحتى يرددن على لسانها هي اغان يلمن فيها والدها.. الذى عجّل في زواجها.. باستعمال تعبير من داره اى من بيته اذا كان زواجها داخل بلدها وتعبير "بلده" اذا كانت ستتزوج خارج بلدها.. قائلات:

تولوا لابوى الله يكثر ماله استعجل عليّ وطلعني من داره
تولوا لابوى الله يخلي ولده استعجل عليّ وطلعني من بلده

التناقض

بعد الترحيب التقليدى بالغناء للعروسين في الدقائق الاولى من الصدمه، يبدأ الغناء بالاتجاه الى اليمين تارة والى اليسار تارة اخرى والى الوسط تارة ثالثة، فتارة تبدأ صديقات الحماة بالغناء الذى يتضمن مباركتهن لها بهذه المناسبة السعيدة، وتارة يتجه بقيادة صويحباتها نحو التحريض على الحماة، وبالطبع تكون هي راضية طالما انها في قمة ساعات فرحها، وتارة يعود الى اطار جماعي وهكذا.

ان الصويحبات يردن للعروس الاستقلالية وعدم الخضوع لاحد.. فما أن يتجه الغناء نحو المباركة للاسرة الممتدة مثل:

يا ربتك مباركه علينا علينا
وتبكرى بالصبي يلعب حوالينا

يا ربتك مباركه ع العم والعمه
وتبكرى بالصبي وتكثرى منه
يا ربتك مباركه ع الحماه والسلفه
وتبكرى بالصبي وتكثرى الخلفه

حتى نجد صويحباتها يبدأن بتوجيه تيار الغناء نحو:

يا ربتك مباركه ع العريس منحاله
وتبكري بالصبي وتعمّرى داره

ثم يبدأن بالتحريض على الحماة:

ولا يوم بقعد عند أمك ولا يوم
حط أمك في السحاره وادعس
عليها بسياره
بنعرف امك من زمان مكيوده وغيرانه
حط امك في الصينيه
واقرم عليها ملوخيه
بنعرف امك من زمان مكيوده ومبليّه

وعندما يصل هذا الاتجاه من الغناء قمته يبدأ صاحبات الحماة.. بمقاطعتهن قائلات:

جيت اغني لرجالي زاد دلالي
هنوا امه بدالي قلبي فرحان
وين امك يا فلان تاتهنيها
ونرقص ونغني في علاليها
جيت اغني لهدا امه ماني شايفها
من خوف العتب واللوم انا جاى افرّحها

ومن بين الصويحبات ينطلق صوت اخته:

جيت اغني لابن امي كن زال همي
هنوها يا اخته عني قلبي فرحان

وبعد ذلك يعود الغناء الجماعي نحو الاتجاه بمباركة الجميع للعروسين والاهل والاقارب ثم يعدن جميعا الى بيوتهن متمنيات أن ما جمعه الله لن يفرقه انسان... ليبقى العروسان وحيدين فيما يعرف "بالخلوة" في ليلة هذا اليوم التي تعرف باسم ليلة "الدخلة"، التي تنتهي في صباح اليوم التالي باستحمام الاثنين رمزا لبداية التاريخ الجديد لحياتهما معا...

---

١) لسان العرب، المجلد الاول، ص ٣٦٠ – ٣٦١.
٢) الخطبة في التراث الشعبي الفلسطيني، عائشة عبد العزيز، مجلة التراث والمجتمع، عدد ٨، ص ٥٥ – ٦٠.
٣) نظرة مخلصة للمرأة السوفيتية بقلم بلينا شيباريتا، رئيسة احدى الادارات في لجنة النساء السوفييت.

ملف خاص

مشهد مسرحي للاطفال

حديدون الشاطر

بقلم : محمد كمال جبر

(تفتح الستارة عن امراة عجوز وهي تغزل الصوف، وامامها يجلس طفل وطفلة يلهوان، لايلبثان ان يمّلا لعبهما الخشبية، ثم ينظران لبعضهما ويتوجهان للجدة، يتعلقان بها).

الطفل : اين عمي يا جدتي ؟

الجدة : (تنظر اليهما طويلا كانها تتوسل اليهما ان يتركاها لوحدها، ثم تعود الى عملها).

الطفلة : حسنا، احكي لنا يا جدتي قصة.

الجدة : (باستياء) ماذا احكي لكم يا صغاري ؟ اتركوني بهمي.

الطفل : احكي لنا قصة جديدة وحلوة.

الجدة : (وهي تحاول التخلص منهما) ليس هناك متسع من الوقت للقصص، وتذكرا ان عليكما ان تناما باكرا حتى تستطيعا النهوض باكرا...

الطفل : (يكمل).. حتى تذهبا للمدرسة نشيطين، نعرف هذه القصة، ونريد قصة جديدة وحلوة.

الجدة : (بضيق صدر) ولكني حكيت لكم جميع القصص التي اعرفها، لم يعد عندي قصص جديدة.

الطفلة : اذن، احكي لنا اية قصة.

الجدة : (باستياء ونفاد صبر) بشرط.

الطفلة : ماذا يا جدتي ؟

الجدة : ان تناما بعد ان احكي لكما القصة.

الطفلة : (بفرح) حسنا يا جدتي—

الطفل : هيّا تكلمي.

الجدة : كان يا ما كان...

الطفل : (يكمل)... في قديم العصر والاوان.

الجدة : عاش شاب اسمه "بزيرون الشاطر"..

الطفل : (يكمل).. وبزيرون الشاطر سمّي بهذا الاسم، لانه ظل يجمع قشر البزر..

الطفلة : (تكمل).. حتى استطاع ان يبني بيتا، ولهذا اسموه بزيرون الشاطر..

الطفل : هذه ليست قصة جديدة.

الطفلة : كما انها لم تعد قصة حلوة، لاننا نسمعها كل ليلة.

الطفل : يا جدتي ان البيت المبني من قشر البزر تهدّه الريح مع اول هبوبها، نريد قصة جديدة يا جدتي.

الجدة : ماذا احكي لكم اذن ؟

الطفل : قصة جديدة، والا فاننا سوف لا تنام.

الجدة : حسنا، حينما يحضر ابوكم ساقول له كل شيء.

الطفل : نريد قصة جديدة وحلوة.

الجدة : (وكانها ارغمت امام عنادهما) حسنا، اسمعوا:

الطفل : (يكمل)... كان يا ما كان...

الجدة : (بمحبة) يا شيطان

الطفلة : (تكمل)... في قديم العصر والاوان..

الجدة : عاش شاب، مثل اخيك، يدعى "خشيبون الشاطر"..

(الاطفال في اصغاء تام)

الجدة : وخشيبون كان حطابا، وفي يوم من الايام، فكّر خشيبون الشاطر بالزواج، والذي ينوي الزواج يحتاج الى البيت.

فهل تعرفان من ماذا اراد خشيبون الشاطر ان يبني بيته ؟

الطفلة : من خشب، لان اسمه خشيبون.

الطفل : لا، بل من حطب، اليس حطابا.

الجدة : (ضاحكة) الخشب والحطب مثل بعضهما، من الحطب نعمل خشبا، والخشب نستعمله كحطب وقت الحاجة..

الطفل : (وهو يفكر) لكن بيتا من الخشب يحترق

بسهولة يا جدتي ، اليس كذلك ؟

الجـــدة : (وهي تفاجأ ، وتنظر للطفل باهتمام) حسناً يا ولدي ، فمن ماذا يبنيه اذن ؟

الـطـفـل : من حديد يا جدتي ، يجب أن يبنيه من حديد ، كان عمي يقول دائما : يجب ان يكون بيتك من حديد .

الطفلـــة : اين عمي يا جدتي ؟

(الجدة صامتة)

الـطـفـل : (لاخته) اصمتي ، نريد ان نسمع حكاية حديدون .

الطفلـــة : لا ، نريد ان نعرف اين عمي ؟؟؟

الـطـفـل : انت تريدين ان تعرفي أين عمي لانـه كان يجلب لك الهدايا ، انت لا تحبينه ، بل تحبين هداياه .

الطفلـــة : وأنت لا تحب عمك الا لانه ياخذك في نزهة معه دائما .

(يتشاجران ويخرج كل منهما لسانه للاخر)

الجـــدة : (بغضب) سكوت يا أولاد .

الـطـفـل : لماذا غضبت يا جدتي ؟

الجـــدة : (متداركة الموقف) لانكما تتشاجران ، ومنً العار ان يتشاجر الاخوة .

الـطـفـل : حسنا يا جدتي ، احك لنا عن عمي ، ثم لا تنسي ان تحكي لنا عن حديدون . اين عمي يا جدتي ؟

(الجدة صامتة)

الطفلـــة : لماذا تاخر عمي يا جدتي ؟

(الجـدة صامتـة)

الـطـفـل : تكلمي يا جدتي والا سـاغضب ، ولـن اشترى لك حاجياتك من السوق .

(الجـدة تحاول أن تضحك)

الطفلـــة : هكذا يجب ان تضحكي يا جدتي ، انـت لست جميلة حينما تغضبين .

الجـــدة : (تضحك) ايها المناحيس ، حسنا ، ساحدثكم عن كل شـيء .

الـطـفـل : وانا سـانفذ كل ما تطلبين ، لكن لا تنسي حديدون الشاطر ، يا جدتنا .

الجـــدة : حاضر ، ايها العفاريت ، اسمعوا اولا قصة حديدون الشاطر ، كان يا ما كان . . .

الطفلـــة : (تكمل) . . . في قديم العصر والاوان . .

الجـــدة : (مبتسمة) عاش اربعة اخوة ، كبيرهم يدعى بزيرون ، ويليه في العمر خشيبون ، وياتي بعده حجيرون ، أمـا صغيرهم فكان اسمه حديدون . وكان الثلاثة شبابا ، اما حديدون فكان طفلا صغيرا ، وفي يوم من الايام فكّر الثلاثة أن يبتني كل منهم بيتا ، بزيرون قال . . .

الـطـفـل : (يقاطعها) . . سـابني بيتي من قـشـر البزر حتى أريكم مهارتي ودقتي فـي العمـل . . .

الطفلـــة : (تقاطعه) . . لكن خشيبون الشاطر ضحك عليه ، وقال له . . .

الجـــدة : (وكأنها تلعب معهم) بيتك سـيهدم من أول هبة ريح ، امّا أنا فسابني بيتي من خشـب .

الـطـفـل : وماذا قال حجيرون ؟

الجـــدة : حجيرون كان حجارا ، قال : بيتك يا بزيرون سـيهدم ، كما قال خشيبون ، من أول هبة ريح ، لكن بزيرون ضحك على كلامه ، وقال لخشيبون : وأنت من السهل أن يحترق بيتك ، لكن خشيبون ضحك على كلامه ، ولما سـالوه عن بيته ، قال . . .

الـطـفـل : (يكمل) . . سـوف يبنيه من حجر ، اليس اسـمه حجيرون ؟؟

الجـــدة : ويصمت بزيرون وخشيبون ، لكن حديدون الشاطر يضحك ، يضحك حتى يـكـاد أن ينقلب على قفاه .

(الطفلان في استغراق كامل مع القصة)

الطفلـــة : ولماذا ضحك حديدون يا جدتي ؟

الـطـفـل : أسـكتي حتى تكمل جدتنا القصة .

الجـــدة : (تربت على رأس الطفل وتحتضن الطفلة) هذا السـؤال ، سـؤالك ايتها الفتـاة النشيطة ، سـاله اياه اخوته ، قالوا له : لماذا ضحكت يا حديدون ؟ فاجابهم : أنا أضحك عليك يا بزيرون لان بيتـك سـيهدم من أول هبة ريح ، واضحك عليك يا خشيبون لان بيتك سيحترق اذا تزوجت امراة مهملة ترمي عود الثقاب وهو مشتعل وتحرق لك البيت ، واضحك عليك يـا حجيرون لان بيتك سـيهدم اذا حـصـل زلزال .

الـطـفـل : (فرحا) صح .

الطفلـــة : أسـكت حتى تكمل جدتنا القصة .

الجـــدة : (وهي تحتضن الاثنين) لكنهم سـالوه : وأنت من ماذا سـتبني بيتك ؟ اتعرفون بماذا اجاب ؟

الطفلين معا : بماذا يا جدتنا ؟؟

الجـــدة : قال لهم : حينما اكبر ، سـافكر .

(صمت يعلو وجهي الطفلين ، العجـوز تقبلهما بعد تامل وجهيهما ، ثم تـسـرح بخيالها) .

الجـــدة : وكبر حديدون ، رأى بام عينيه كيف هدمت بيوت أخوته ، (للطفلين) وهل تعرفون أن بيوتهم هدمت كما توقع لهم ، بزيرون



ملف خاص

مع اول هبة ريح هدم بيته، لانه لا يحتمل اكثر من ذلك، وخشبيون تزوج امرأة نسيت مرة ان تطفي عود الثقاب وهو مشتعل، ولما قذفته احترق البيت، اما حجيرون فان بيته هدم حين حدث

يوم من الايام وهو يمشي مفكرا ضربت رجله حديدة، فجرحته، اوجعته، نظر اليها، حملها، ثم قال لها: انت؟؟ الحديد لا يهدم من اول عاصفة، ولا يحرق ابدا، ولا يؤثر فيه الزلزال، اذن انت يجب أن تكوني بيتي، يجب ان يكون بيتي من حديد، صاح حديدون الشاطر..

الطفلة : الهذا السبب صار ابي حدادا يا جدتي؟

الجدة : (وهي تصحو من احلامها) ربما.

الطفل : كيف سيبني بيته من حديد؟ انا لم اشاهد في حياتي بيتا من حديد.



لوحة للرسام الفلسطيني محمد شاكر حجازى

زلزال. وفكر حديدون... قال في نفسه: كيف سابني بيتا لا يهدم من اول عاصفة ولا يحترق حتى لو اشعلنا فيه النار، ولا يتفتت لو حدث اكبر زلزال؟؟؟؟ وفي

الجدة : كان عمكم يقول دائما بيتا من الشعر يحفظه عن ظهر قلب وهو:
العلم يرفع بيوتا لا عماد لها
والجهل يهدم بيوت العز والكرم

الطفل : وما دخل كلام عمي في قصتك السابقة؟
الجدة : (تربت على رأس حفيدها) العلم يا حبيبي هو البيت الحديدي.
الطفلة : ما هو العلم يا جدتي ؟
الجدة : (تحتضن الطفلة) العلم يا حبيبي هو المعرفة، اى معرفة كل شيء حولنا...
الطفل : (يقاطعها) وما دخل العلم في بيت من حديد ؟
الجدة : لا تتعجل الامور يا ولدى، الانسان الذى يعلم ويعرف كل شيء حوله يستطيع بناء بيت من حديد.
الطفل : كيف ؟ انا لم اشاهد في حياتي بيتا من حديد.
الجدة : يا احبائي، لنعد الى القصة القديمة ونسأل انفسنا: هل كان بزيرون يعرف كل شيء؟
(الاطفال في حيرة من سؤالها)
الطفل : (بعد تفكير) لا أعرف.
الجدة : (مبتسمة) أعني يا احبائي، هل كان بزيرون يدرك الخطر الذى يتهدد بيته اذا ابتناه من قشر البزر؟
الطفلة : لكنك قلت لنا في السابق أن بزيرون انسان فنان لانه استطاع أن يبني بيته من قشر البزر، ولا يستطيع اى انسان أن يفعل مثله.
الجدة : (مبتسمة لها) لكن هل ادخل بزيرون في حساباته أن البزر يمكن أن يهدم من أول هبة ريح ؟
الطفل : (بمرح) فعلا، لم يكن يعرف كل شيء ولا خشيبون كان يعرف كل شيء، كما أن حجيرون أيضا لم يعرف كل شيء.
الجدة : (تكمل) مع أن خشيبون يعرف أكثر من بزيرون، وحجيرون يعرف أكثر من الاثنين..
الطفل : (يكمل).. لكن حديدون يريد أن يعرف كل شيء. لا يريد لبيته الا أن يكون متينا في بنيانه.
الجدة : (وهي مرتاحة لاستنتاجه) افهمتم الان ما معنى أن يكون بيت الانسان من حديد؟
الطفلة : لم أفهم شيئا.
الطفل : تقول جدتي أن الانسان اذا اراد أن يبني بيته يجب أن يعرف كل شيء قبل أن يبنيه، اى يجب أن يعرف ما الذى يهدمه قبل أن يبنيه.
الطفلة : لماذا ؟
الطفل : حتى يستطيع أن يبني بيتا لا ينهدم بسرعة. (ينتبه لكلامه) اهذا يا جدتي هو البيت الحديدى الذى فكر حديدون ببنائه ؟
الجدة : (ضاحكة) تماما يا احفادى.

الطفلة : حدثينا الان عن عمي يا جدتي.
الجدة : عمكم مثل حديدون..
(الاطفال في اصغاء محدق)
الاطفال معا : كيف يا جدتنا ؟
الجدة : (ضاحكة) عمكم اراد بيتا من حديد، تماما مثل حديدون، عمكم فكّر كيف سيبني بيتا لا يهدم بسرعة، قال في نفسه: يجب ان يكون بيتي من حديد، وعرف اخيرا بان العلم والمعرفة هما حديد البيت. لانه كان دائما يردد بيت الشعر:

العلم يرفع بيوتا لا عماد لها
والجهل يهدم بيوت العز والكرم

الطفل : ولماذا اخذه الجنود في منتصف الليل؟
الجدة : (تفاجأ) ومن الذى اخبرك بذلك ؟
الطفلة : لقد صحوت من النوم يا جدتي على القرقعة التي احدثها الجنود عندما فتحت لهم الباب، وطلبوا من عمي ان يذهب معهم، أين ذهب عمي يا جدتي مع هؤلاء الجنود ؟
الجدة : لست أدرى يا ابنائي، صدقوني لست أدرى.
الطفل : على كل حال لا تقلقي كثيرا يا جدتي، ان عمي سيرجع.
الجدة : (بلهفة) كيف عرفت يا حبيبي ؟
الطفلة : انه ليس أول شخص نسمع أن الجنود أخذوه معهم في منتصف الليل.
(الجدة تكاد لا تصدق نفسها، وتعلو وجهها امارات الحيرة).
الطفل : لقد قال لنا ابن جيراننا صباح هذا اليوم لقد ذهب عمكم ليدفع ضريبة الوطن، فانتظروه، سيرجع يا جدتي، لكننا لم نفهم معنى كلمة ضريبة الوطن، فماذا تعني ؟
الجدة : (لا تصدق نفسها، وتبدو وكأنها تقف في منتصف الطريق بين الخجل والمفاجأة والامل والخوف، ثم تهتف بصوت عال وهي تقبّل احفادها وتحتضنهم)
نعم سيعود عمكم، سيعود الى بيته، سيجلب لكم هدايا ويحدثكم، نعم سيحدثكم عن اشياء كثيرة، هو يعرفها اكثر مني، لقد ذهب ليدفع ضريبة الوطن آخ الوطن، لا لا قد يكون ذاهبا ليتعلم كيف يبني بيتا من حديد، على كل حال لقد ذهب ليعود، ليعود ويحدثنا قصصا جميلة، وفي كل مرة سنقول له..
الجميع معا : نريد قصة جديدة وحلوة.

(ستار النهاية)

ملف خاص

يوم طويل ... شموس كثيرة

بقلم : أكرم هنية

افرغ ما بقي في كوب الشاي في جوفه بسرعة، واحكم شد العباءة السوداء حول جسده بعد أن نهض من المقعد الخشبي الصغير أمام المقهى الذي يقع في وسط القرية.

كان سائق الباص قد أطلق اشارة ليتنبه الجميع الى انه على وشك الإنطلاق.. "يا فتاح يا عليم" همس المختار لنفسه وهو يتجه الى الباص القديم المتجه الى المدينة المجاورة.

"زمن..." هتف عندما القى نظرة على ركاب الباص... في الماضي كانوا يتنافسون على القيام من مقاعدهم لاجلاسه على افضلها امّا الان فعليه أن يشق طريقه لوحده ويختار مقعدا ما.

سائق الباص ساله وهو يشد كفه على كوب شاي ساخن "خير يا مختار... ما الذي يجعلك تذهب مبكرا الى المدينة؟".

"اه"... همس المختار لنفسه "في الماضي كان لوقع كلمة مختار رنين ووقع مهيب امّا الان فهذا السائق يلفظها باستهزاء تماما كما يفعل الاولاد في القرية"... انتبه لنفسه وقام بالرد "شغل.. شغل".

عاجله السائق وهو يضع الكوب امامه ويستعد للانطلاق "سمعنا انك مطلوب لاولاد عمنا".

"لا توجد اسرار في هذه القرية الملعونة"... هتف المختار وهو يخرج علبة التبغ ليلف سيجارة له.

الساعة تقارب السادسة والنصف... صباح يوم صيفي جميل... يتطلع المختار حوله... يلقي تحية الصباح على الركاب.. هم خليط من عدة قرى يتوجهون كعادتهم كل يوم للمدينة... بعض نساء القرية يحمل سلال الفواكه والخضار الموضوعة فوق الباص او بين مقاعده لبيعها في سوق المدينة... مجموعة اخرى تتكون من الطلاب الذين يدرسون في المدرسة الثانوية في المدينة... عدد قليل من الذين يعملون كموظفين هناك... وبعض العمال الذين خلافا لغالبية القرية يعملون في مصانع المدينة المجاورة وليس في مصانع اسرائيلية. ومجموعة من رجال القرية الذاهبين لاغراض شتى... لشراء بعض الاشياء... لعمل تصاريح او هويات... لدائرة الاراضي... لدائرة الصحة او للمستشفى و... "ما الذي يريده الحاكم العسكري اليوم؟" سأل نفسه... رجل الشرطة العربي الذي حمل اليه الاستدعاء امس قال له انه لا يعرف السبب وهو يصدقه، ولكن ذلك الشرطي قال له على حد علمه فان احدا آخر من مخاتير المنطقة لم يستدع للمقابلة في نفس اليوم...

"خير.. خير" سحب نفسا عميقا من سيجارته "لا بد انهم سيلقون علي تعليمات واوامر جديدة: لا تدع مواشي القرية تقترب من اراضي المستوطنة. كيف تسير الامور.. هل هناك مشاكل...".

" كل شيء" كان على ما يرام في الاسابيع الاخيرة " يقول المختار "المدرسة في العطلة الصيفية... زوار الصيف كثر ولا يوجد شيء يمكن ان يسبب غضب السلطات".

ابطأ الباص سيره ليلتقط راكبا عند مدخل القرية الشمالي... تطلع المختار بحركة لا ارادية ليستطلع الوافد الجديد... "اعوذ بالله" هتف "اللهم اجعله خيرا. أي صباح هذا" .. لكنه سرعان ما رسم ابتسامة عريضة على شفتيه وهو يرد التحية الصباح على أبي محمد... "عيلة متعوب عليها" ولكن يفكر المختار "ما الذي يجعل ابو محمد يذهب مبكرا للمدينة..." يتذكر "غدا عرس ابنته"... يعبس وجهه وتتكون ملامح غاضبة "تلك الفتاة الوقحة.. صاحبة اللسان الطويل كامها تماما. انها اول فتاة من القرية تصبح معلمة، في مدرسة القرية الاعدادية.." تتوارد الى ذهنه صور شتى "في الماضي لم يكن للبنات صوت... امّا الان ففاطمة بنت ابو محمد وامها ايضا تتدخلان في امور تخص الكبار ومن شؤون الرجال... "زمن". مصمص المختار شفتيه وواصل تدخين سيجارته.

مد اصابعه ولمس كتف ابو محمد "لا بد ان اجامله" تلفت اليه الرجل فطالع تلك التقاطيع المنبسطة الوديعة الواثقة.. هتف "انت ذاهب لتشتري شيئا للعرس بالتاكيد.. الف مبروك" رنة اسى كانت تشوب كلمات ابو محمد "لا" هتف وواصل "اليوم سازور سالم".

"اه.. سالم.." همهم المختار ثم اعلن لابي محمد "ابنك بطل.. فخر لقريتنا".. فتطلع اليه ابو محمد بوجه متسائل مستغرب ثم ادار وجهه.

"سالم.. هو الابن الثاني لابو محمد الذي يتم اعتقاله". همهم المختار انهم يسمونه في القرية ابو الابطال".. يواصل "ترى هل سيسالونني ثانية عن سالم كما فعلوا تلك المرة بعد اعتقاله بشهور".

القى نظرة على الحقول الممتدة على جانبي الطريق، كان عدد من النساء قد بدأ العمل.. اصطدمت عيناه بالمستوطنة الرابضة فوق التل والمحاطة بالسياج.. ثم عاد يحدق بالحقول الخضراء.

لا يعرف لما تتوارد الى ذهنه الان ذكرى ذلك اليوم التعيس عندما حضرت مجموعة من الشباب والشابات من الجامعة للقيام بتنظيف الاراضي واستصلاحها... يومها صاح "احنا ناس عندنا شرف واخلاق لا نسمح للبنات والاولاد بالعمل معا... نحن نستطيع أن ننظف ارضنا ونحرثها دون مساعدة".

ويومها سانده في رايه عدد من رجال القرية... ورغم مجادلات الشبان المتحمسين وشروحاتهم والتفاف أولاد وشبان القرية حولهم كاد ان ينجح في محاولته وكانوا على وشك الرحيل لولا... "اه.. طويلة اللسان ام محمد" قدمت كلبوءة وقفت امامه في تحد وصرخت في وجهه "ليش يا مختار...؟" وانطلقت الكلمات من فمها الصغير ومن جسدها النحيل كقذائف المدفعية... "زمن".. هذه المرأة تتحدث امام الرجال وتجادل وتصيح وتتحدث بكلمات لا يستطيع المختار نفسه أن يقولها.. كانت ترحب بالشبان القادمين الذين استمدوا منها شجاعة وحماسة.. ثم انضمت اليها ابنتها فاطمة طويلة اللسان...

شعر المختار حينذاك بان هيبته على المحك.. وان خسارته للمعركة ستكون لها نتائج وخيمة.. تطلع حوله التقت عيناه بابي محمد الذي كان يقف بين جمع من رجال القرية يتابعون الموقف. صرخ به "ضب مرتك وبنتك يا ابو محمد".

يومها اكتسى وجه ابي محمد باحمرار وغضب... انتفض وصرخ "انضب انت يا مختار".. ثم تقدم نحو الشباب وانتزع من يد احدى الفتيات فأسا ثبته على كتفه ثم اتجه الى الحقول بخطوات سريعة وهو يهتف "وراي يا شباب" اطلقت ام محمد زغرودة.. وانطلق اولاد القرية وراء الشبان في حماس غامر ووسط ضجيج وصراخ واغان تدفقت بعد قليل اباريق القهوة والشاي وارغفة الخبز الساخن والصحون العامرة بالزيت والزعتر والزيتون والجبنة واواني الماء الفخارية.. وكان معظم نساء القرية يشارك بحماس في العمل... ووقف المختار يومها مذهولا عاجزا عن الحركة والكلام تطلع حوله فلم يجد احدا سوى بعض الرجال الذين كانوا ينسحبون ببطء الى بيوت القرية.

"زمن..." هتف المختار ثم طاف في ذهنه سؤال "لما يستدعوني اليوم؟ ساعرف بعد قليل".. كان الباص قد وصل الى مشارف المدينة، نظر الى ساعته كانت السابعة والربع.. "لا يزال هناك وقت كاف للذهاب في الوقت المحدد للموعد.. الثامنة" وعلى اية حال سيجعلونه كالعادة ينتظر ساعتين او ثلاث او اربع قبل ان تتم المقابلة التي تستغرق عادة خمس او عشر دقائق.

نظر الى ابو محمد امامه "سيزداد طول لسان عائلتك غدا يا ابو محمد.. ففاطمة ستتزوج من ابراهيم الذي يدرس في مدرسة الاولاد.. مثل المشاكل له في كل عرس قرص.. ابراهيم الذي دخل السجن عدة مرات ولم يرتدع.. والذي يسالونني عنه في كل مقابلة تقريبا...".

اشعل سيجارة جديدة عندما استحضر صورة ابراهيم... طويل ممتلىء القامة ذو شارب كث.. مرح يتدخل في كل شيء".. مرة يريد انشاء نادي رياضي في القرية.. فيلتف حوله الشبان وينجح في ذلك.. ومرة يفتح في احدى غرف بيته مكتبة عامة.. ومرة يدعو لانشاء جمعية زراعية.. ومرة اخرى يدعو لانشاء مجلس قروي في القرية... مشاريع لا تنتهي واذا عارض المختار احداها فانه يتعرض لنظرات ابراهيم القاسية وكلماته اللاذعة وتلميحاته عن مخاتير لقرى مجاورة يحظون باحترام اهالي قراهم ولطلاوة لسانه التي تخدع الكثيرين من عقال القرية والذين ينقلبون عندها على المختار مؤكدين له خطأ موقفه... لقد لمح له المختار مرة بانه مستعد لان يقسم البلد بلدين ليفعل ما يشاء ولكن لا يقترب من المختار ومصالحه.. "ولكن ابراهيم وفي كل شيء يعمله يبدو كانه يهدف للتخلص مني"... لقد حاول تأليب بعض حمائل وعائلات القرية عليه ولكنه فوجيء بان كثيرا من افراد عائلته وحمولته هو نفسه وقفوا ضده والى جانب ابراهيم.

"زمن" مصمص المختار شفتيه. كان الباص يدخل وسط المدينة ويقترب من المحطة الكبيرة.. تاهب المختار للنزول.. تنفس الصعداء عندما غادر المحطة.. استعاد هيبته واخذ يمشي بثقة في الشوارع التي كانت قد بدات تتنفس وتمتلىء بالطلاب والموظفين والعمال...

توجه على الفور الى المطعم الذى اعتاد أن يقصده كلما اتى المدينة.. استقبله عامل المطعم بهتاف صارخ "اهلا بالمختار".. لاحظ أن بعض رواد المطعم الذين كانوا يتناولون افطارهم تلفتوا وعلى شفاههم ابتسامات ساخرة عندما سمعوا نداء العامل له.

احضر له عامل المطعم افطاره المعتاد... فكر وهو يتناوله... "ماذا سيقولون لي هذه المرة؟"... طرق اذنيه صوت من مائدة قريبة "كيف حالك يا مختار"... كان احد شباب القرية.. رد تحيته بهمهمة وعاد لطبقه "والد هذا الشاب كان يعمل عندي وفي أرضي.. كنت آمره فينفذ.. ولكن بعد أن تعلم ابنه واشتغل موظفا في هذه المدينة... ما عدت قادرا أن أمون على احد".

"اخ.. تغير كل شيء".. يقول المختار وهو ينهض دون أن يكمل افطاره.. يدفع حسابه ويمضي للخارج.

بعد دقائق كان في مقر الحكم العسكري.. كان هناك حشد من الرجال والنساء ينتظرون في الخارج دورهم لانجاز معاملاتهم المختلفة.. اجلسه احد الجنود قرب الباب الداخلي.. "سيتركونني عدة ساعات قبل ان يستدعونني" اشعل سيجارة.. تطلع

◀◀

ملف خاص

نحو المجتمعين فوق المقاعد الخشبية الطويلة في الساحة الخارجية. كان بينهم عدد من ابناء قريته. رجال ونساء ينتظرون تسلم تصريح كي يتمكن اقرباؤهم من زيارة الضفة.

سال الجندي هل سيتاخر موعد مقابلته.. فلم يرد عليه الاخير بشيء.. عاد يفكر... "بعد المقابلة ساذهب لاقابله".. يمصمص شفتيه حسرة "راحت ايام زمان..".

بعد ثلاث ساعات دعاه الجندي للدخول.. لم تستغرق المقابلة طويلا.. سلمه الضابط ورقة طويلة. قال له ان فيها امرا باغلاق بعض اراضي القرية لاغراض امنية.. طلب منه أن يوقع على استلام الامر.. تردد المختار قليلا فانتهره الضابط وقال له ان الاغلاق ليس بهدف الاستيطان بل لتمرينات عسكرية وانه من المحتمل ان يلغى بعد فترة.. ساله المختار عن اصحاب الاراضي التي ستغلق... قرا له الضابط بعض الاسماء.. "آه ان اراضيهم قرب المستوطنة".. مد ابهامه نحو اسفنجة الحبر ثم بصم على استلام الامر.

لم يجب على اشارات الاستفهام من ابناء قريته المنتظرين في الساحة... خرج الى الشارع ومضى نحو مركز المدينة.. على بعد خطوات التقى بشاب كان يقود دراجة.. انه محمود احد ابناء القرية الذين يعملون في المدينة.. استوقفه فنزل الشاب على الفور وهو يهتف "هاه.. خير يا مختار".

اخرج المختار الورقة... طلب من محمود أن يقراها له.. تلون وجه الشاب بالدهشة والغضب وبدأ يقرا ارقام الاحواض المصادرة واسماء اصحابها.. احسّ المختار بارتياح داخلي "نفدت هذه المرة.. اسمي ليس بينهم".

اقترب من الشاب وقال له برجاء "لا تخبر احدا حتى اصل انا الى القرية.. الحاكم قال انها مسالة بسيطة.. لن يقيموا عليها مستوطنات".

صاح محمود باستنكار "ولكن كلها كروم زيتون ومشمش ولوز وحقول قمح..". وانطلق فوق دراجته مسرعا دون ان يسمع المختار وهو يكرر رجاءه "لا تقل لاحد حتى اجيء".

تأفف.. انتابته حيرة حول ما سيفعله.. ثم قرر أن يذهب لزيارة "نظمي بك" في المدينة قبل ان يعود لقريته ظهرا في اخر باص يعود اليها..

عندما ضغط على الجرس المثبت على مدخل الباب استمع لخطوات القادم الثقيلة.. انفرج الباب ببطء وظهر خلفه نظمي بك، رجل يقترب من السبعين... ضخم الجثة.. يحتفظ بشعيرات بيضاء فوق راسه.. رحّب بضيفه وسارا نحو غرفة الاستقبال.. اختار المختار الاريكة التي يجلس عليها دائما.. تطلع حوله.. لم يتغيّر شيء منذ اتى هنا قبل سنة تقريبا.. الاثاث الفخم ذو الطراز القديم... الصور المعلقة على الجدران تظهر "نظمي بك" ايام العز يوم كان موظفا كبيرا يحل ويربط ويأمر وينهي... ويوم كان المختار يرسل له بانتظام سلال الفواكه الطازجة وصفائح الزيت والزيتون والجبنة.. لم يتغيّر شيء في المنزل سوى صاحبه الذى شاخ واحدودب ظهره وبات صوته يخرج ضعيفا رفيعا في كلمات بطيئة غير متسقة.

انه يحرص دائما على زيارة نظمي بك" بين حين وآخر.. وهو يحرص على الاعلان انه وفي لا ينسى الاصدقاء والاعزاء الذين كانت لهم اياد بيضاء عليه... وايضا كما يقول المختار لنفسه "ما زالوا قادرين على المساعدة من حين لاخر".. نظر الى "البيك" وهو يرحب به ويسأل عن صحته واحواله.. هو يعرف مقدما ما سيحدث.. سيبدأ الاثنان بالتحسر على الايام الماضية.. وستتوالد على الفور عشرات القصص القديمة.. ولكنه هذه المرة كان يتعجل العودة للقرية.

بادر للسؤال مجاملة "كيف احوالك هذه الايام يا بيك".

رد الاخير بنرفزة "زفت.. الدنيا انقلبت... لم يعد هناك احترام لاحد... حتى الشوارع اصبحت غريبة بالنسبة لي... انني اقضي معظم وقتي في البيت.. ولا أخرج الا قليلا".

احسّ المختار ببرودة تسرى في اوصاله.. اكد على كلام "البيك" بحديث عما يعانيه في قريته... ثم اخبره بما حدث معه صباحا وطلب نصيحته.

بعد ان ساله عدة اسئلة عن مساحة الارض وطبيعتها واصحابها نصحه: كل شيء يجيء بالسياسة.. لا تضع نفسك في "بوز" المدفع.. ولا تجعل الاولاد يورطوك.. كل شيء بالعقل منيح".

لم يكن المختار يتوقع ردا آخر.. فهذا رايه من الاساس ولكن كيف سيواجه ابراهيم وشباب القرية عندما يبلغهم بالموضوع.. انتبه لنفسه.. نهض مسرعا وانحنى ليسلم على "البيك" وانطلق مسرعا للخارج.

وصل لمحطة الباصات قبل دقائق من مغادرة الباص للقرية.. رغم الحاح العديدين من الركاب لم يخبر المختار احدا حول ما حدث معه... كان يكتفي بالقول انه سيدعو الوجهاء لبيته ويخبرهم بالتفاصيل... وبينما كان سائق الباص ينطلق مسرعا في الطريق المنبسطة نحو القرية كان المختار يرتب في ذهنه ما سيقول... سيتصدى له ابراهيم بالتاكيد وسيبدا بطرح اقتراحاته ولكنه سيقنع الجميع هذه المرة بضرورة التروى. اذا ارادوا ارسال برقية استنكار فليكن.. ولكن لا شيء اكثر من ذلك.

اهتز الباص بشدة عندما اوقفه السائق فجأة.. تنبه المختار.. كانوا على مشارف القرية.. تطلع من النافذة.. رأى عددا كبيرا من الجنود يقفون عند حاجز يسد الشارع.. "ماذا يمكن ان يكون قد حدث"... نهض من مقعده ونزل من الباص.. سار نحو الحاجز.. صرخ به الجنود ان يقف.. تقدم من احدهم عرّفه بنفسه.. ابلغ الجندي ضابطه بوجوده.. تقدم الاخير وسأل المختار على الفور "هناك مظاهرات في القرية... هل تستطيع



أن تذهب وتوقفها؟".
تطلع المختار نحو قريته.. كان الدخان المنبعث من احراق اطارات السيارات يتصاعد عاليا.. وصدى اطلاق الرصاص يتردد. .وتميز اذناه تماما الهتافات. .تطلع نحو الضابط وتردد قليلا قبل ان يقول "ولكن كيف استطيع الدخول ؟".
"اذن فاذهب بعيدا" صرخ الضابط.
عاد المختار الى الباص. كان معظم الركاب قد انطلقوا نحو الحقول ليصلوا الى قريتهم عبر الطريق الفرعية.. كان لا بد ان يعود لقريته..
بعد مسيرة نصف ساعة في الجبال والاودية وصل الى طرف القرية الغربي .. لمح عن بعد شابا يركض نحو الشارع الرئيسي الذى يخترق القرية . .ميزه. .انه محمود. .اقترب الشاب منه. .سأله المختار "ماذا يحدث ؟".
اجاب الشاب وهو يركض "الجرافات بدات تشتغل في الاراضي المصادرة.. اهالي القرية تظاهروا. .المستوطنون اطلقوا النار وابراهيم أصيب".
احتاج المختار للحظات ليستوعب الكلمات التي كان ينطقها الشاب بسرعة وهو يحمل حجارة ويركض بعيدا.. لم يدر ما الذى يمكن أن يفعله.
سار نحو وسط القرية.. بعد لحظات كانت مظاهرة ضخمة تتقدم نحو الحواجز التي اقامها الجنود.. شباب، فتيات، أطفال، رجال، نساء، شيوخ.. كانت الهتافات تشق عنان السماء. .والعلم يرفرف عاليا... وغطت عاصفة من الغبار المختار الذى كان على طرف الطريق عندما تجاوزه المتظاهرون وهم يتقدمون بقوة الى الامام.

ملف خاص

فصل من مسرحية دائمة العرض

سامي كيلاني
مدرس بجامعة النجاح - نابلس

افتتاحيـة :

هـللويا هـللويا
المجد لله في الاعـالي
وعلى الارض محاكـم
ترفض سـفك الدم ، تجارى سـفاكيه
هـللويا هـللويا ، هـللويا هـللويا
المجـد لله في الاعـالي
وعلى الارض قـوات دفـاع
تنتج للاطفال اناشـيد "متكفا" مجنزرة
وتصدّر للاطفال المحتاجين دمى موقوتة
هـللويا هـللويا ، هـللويا هـللويا
المجد لله في الاعـالي
وفي الجو فانتومات اصلية
تداوى الجوعـى بالموت
وتنعم بالنابالم على محتاجيه
هـللويا هـللويا ، هـللويا هـللويا
المجد لله في الاعـالي
الذى منحنا عاصمـة موحـدة !!

(١)

خبر تناقلته الانباء :

ادعى دانيال بنتو بعد قضائه "١٦" شـهرا في السجن قائلا : " أنـا بـرئ " . وبنتو هذا ضابط امر بقتل أربعة اسـرى من العرب في حرب آذار ١٩٧٨ التي قامت بهـا القوات الاسـرائيلية في الجنوب اللبناني . وقد ادين من قبل ثمان قضاة في محكمتين . وقد اسـتمر أصدقاء وأقارب العائلة بالتوافد على شـقة بنتو لتهنئته ، ولم يتوقف جرس التلفون في الشقة المليئة بالزهور عن الرنين . أمـا اليزا بنتو والدته فقد قضـت اسـبوعا كاملا فـي تحضير وجبات الطعام التي يحبها ولدها ، ولكن الدهشة اعتـرت الضابط واصدقاءه عندما رأوا الصحفيين ومصوري التلفزيون يملأون الغرفة . فلم يستمتع بالاكل الذى اجهدت والدته نفسها بصناعته . وقد تبسم بنتو الناعم الحلاقة ، الحسن الهندام ، الشاعر بارتياح وقوة ، كما وصفه الصحفيون ، قائلا : "أنا الان في بيتي ، أليس كذلك ؟" . وفي جواب عن سـؤال وجه له قال : "لن يهدأ لي بال حتى تثبت براءتي" . والمقصود بالبراءة التي يقلقه أمرها هو أن قتله الاربعة كان على حق .

ما هي قصة حكم بنتـو ؟

حكم في البداية بالسجن "١٢" عاما ، وخفضت محكمة الاسـتئناف الحكم الى "٨" سـنوات ، وخفض رئيـس الاركان الحكم الى عامين . ونظرا لسلوك بنتو الجيد في السجن الفي ثلث مدة محكوميته وأفرج عنه بعد مضي "١٦" شهرا .

صـوت العدل غير العادل : يا دانيال يا ابن اليـزا اصبر ، لا تيأس فالعدل المحروس بالهراوات والسياط يبقى عدلا ولو بين الناس ربى ، براءتك سـنعلنها يومـا مـا وسـنقلدك وسـاما للصبر ، فارحـم سـمعتنا بين العالم .

(٢)

صفحة تاريخ قاومت الافنـاء وانتصـرت . .

يعلو شـامخا على ارض كفر قاسـم نصب تذكـارى لشهداء مجزرة وقعت على أرض هذه القرية العربية ، فقد دخلت المجزرة صفحات التاريخ رغم المحاولات المستمية لمنعها من ذلك .

في أمسية ٢٩ تشرين الثاني سنة ١٩٥٦ ، يوم بـدأ العدوان الامبريالي الصهيوني على سـيناء مصر ، اطلقت وحدة من حرس "الحدود" نيرانها على اهالي كفر قاسم العائدين الى بيوتهم من العمل والحقول والمراعي وقتلت خمسين انسانا بحجة خرقهم اعلان منع التجول الذى لم يسمعوا به أصلا ، ولما لم تفلح السلطات في اخفاء معالـم المجزرة ، جاء دور لجان التحقيق والمحاكم لتعيد "الحق الى نصابه" . وفي المحكمة أرهق الادعاء حنجرته "للدفاع عن حياض الحرية والعدالة في الدولة الفتية التي لـم تخلق الا للدفاع عن حقوق الانسان كما تقول شـرائـع قيامها" . ودفعت ثمن قيامها الكثير من الضحايا وخاصة مـن العرب الذين كانوا سيصبحون مواطنين لهم كـامـل حقوق المواطنة لو لم يحالفهم الحظ السيء ، وسـقطوا خطأ بيد القوات التي "حررت" البلاد على ذمـة الكاتب الذى ضاع بين التشاؤم والتفاؤل فوجد نفسه بينهما*. وبعـد أن تعبت حنجرة الادعاء قرر ان تعمل يده فكتب ورقـة مرّرها على القضاة جاء فيها : "ان المواطنين المخلصـين الواقفين في قفص الاتهام قد خدموا الدولة اعظم خدمـة نتطوعوا لعقاب مخالفي الاوامر العليا دون أن يصدر امر بتعيين أى منهم برتبة جلاد ، ولانهم مواطنون يقطرون اخلاصا ، فهم مستعدون لدفع سـنوات من أعمارهم تضحية

صادقة في سبيل اعطاء دولتنا العصرية وجها مشرقا. فأرجو من حضراتكم الرأفة بعائلاتهم وأن لا تدعوا لهم الفرصة بدفع تضحيات عالية".

قرار أول: أخذت المحكمة بأقوال الادعاء العام، واستنادا الى ان ما حدث كان مجزرة متواصلة متسقة، ومن الصعب تصور ظروف اقسى لقتل اناس عزل لا حول لهم، لذلك فان المحكمة تصدر حكمها على المتهمين على النحو التالي: السجن ١٧ سنة لملينكي، ١٥ سنة لكل من دهان وعوفر، ٧ سنوات لكل من المتهمين الخمسة الاخرين، أمّا امر الكتيبة، شدمي الذي أصدر الاوامر التي أدّت الى الحدث فان المحكمة تكتفي بتوبيخه وتغريمه عشر بروطات (عشرة فلسات).

قرار ثان: بعد أن اعادت السلطات المختصة النظر في أحكام المحكمة، ورأفة منها بأصول عائلات المحكومين، قررت تخفيض الاحكام على النحو التالي: ملينكي من ١٧ سنة الى ١٤ سنة، دهان وعوفر من ١٥ سنة الى عشر سنوات.

صوت العدل غير العادل:

مللويا مللويا
المجد لله في الاعالي
والرحمة لابناء صهيون
حتى ولو قتلوا الغوييم ××

صوت من بعيد: "مالوا، انا حموراب، لم استطع المجيء اليكم، لكني اهتديت لهذه الالة التي تدعونها التليفون. سمعتكم يا محترمون تتحدثون عن الشرائع فتشوا كل شرائعي فلن تجدوا فيها واحدة تقول: قتل خمسين شخصا بتسع وخمسين سنة سجن وقرش واحد موزعة على ثمانية اشخاص، لا تتحدثوا عن الشرائع واتركوني مرتاحا في قبري".

(٣)

خبر لم تتناقله اجهزة الاعلام..

دخل الشاب حسن صالح، البالغ من العمر عشرين عاما، بيته الصغير بعد غياب خمس سنوات قضاها متنقلا بين سجون مختلفة، وقد استقبلته والدته بالزغاريد واحتضنته من اول الشارع (الشارع الوحيد المعبّد في القرية) حتى باب البيت الصغير المكوّن من غرفة ومطبخ. وكان في استقباله جمع من اهالي القرية، بينهم عدد من اترابه الذين تركهم يلعبون في الحارة لعبة "الجيش والفدائية" ويعاكسون اية فتاة تصطادها عيونهم. وقد اصبح معظمهم مثله بلحية وشاربين، واحتضنوه وقبّلوه واحدا واحدا، وعمّت الفرحة البيت الصغير، واحضرت ام حسن للمهنئين القهوة والشاي الذي حضّرته بعض فتيات الحارة اللواتي قعدن منذ الصباح في المطبخ يحضرن اللازم من اجل عودة حسن، وحيد الارملة الصابرة التي تعرف الحارة والقرية طيبتها.

وما ان حل الغداء حتى ادخلت اطباق القش التي تحمل أرغفة المسخّن تعلوها الفراخ المشوية، التي كانت ام حسن قد بدأت بتربيتها وتسمينها منذ اشهر. وبعد أن خف عدد الحضور، واصبحوا من اهل الحارة فقط، دخلت فاطمة وسلّمت على حسن ــ الذي كاد لا يعرفها ــ والخجل يعتري وجهها وعيناها تشعان بالفرحة، وقالت بتلعثم: ما أنت قد عدت وكأنه لم يكن هناك سجن.

ــ ما هي قصة حسن باختصار؟

اعتقل من بيته في الساعة الثانية بعد منتصف الليل واستضافه المحققون بجملة من أساليب الترحيب، ولم تذق عيناه طعم النوم ثلاثة ايام بلياليها قضاها متنقلا بين زنزانة يقف فيها مشبوحا الى شباكها الصغير بواسطة قيد، وبين غرفة يطلب منه فيها ان يحكي "كل القصة". واعترف في النهاية بانه قد جمع أربعة من طلاب صفه واتفقوا على كتابة منشورات تدعو الى تحرير فلسطين، وان يكتبوا على الجدران "ليسقط الاحتلال".

وقدّمه الادعاء العسكري الى محكمة عسكرية واعطاه الحق حسب مواثيق جينيف في أن يعرف تهمه، حيث استلم ورقة وهو في سجنه تحدد موعد محاكمته، وتحمل التهم الموجهة ضده، وهي اربعة:

١ ــ العضوية في منظمة تدعو الى تحرير فلسطين.
٢ ــ حضور اجتماعات لمنظمة تدعو الى تحرير فلسطين.
٤ ــ تجنيد آخرين لمنظمة تدعو الى تحرير فلسطين.
٥ ــ التآمر على كتابة منشورات، كان من الممكن أن تضر بالسلامة العامة.

وفهم هذه التهم رغم اللغة الركيكة التي كتبت بها، ولكنه لم يفهم من أين جاءوا بها، ولم يفهم ماذا تعني المواد والبنود وقانون الطوارئ. وفي المحكمة صدر عليه الحكم بالسجن خمس سنوات فعليا ومثلها مع وقف التنفيذ، رغم عدم بلوغه السادسة عشرة.

صوت العدل غير العادل: الذنب ليس ذنبنا، فنحن لم نفعل سوى تطبيق قانون الطوارئ الذي وضعته حكومة بريطانيا العظمى، لذلك راجعوا حكومة صاحبة الجلالة.

(٤)

أصوات: انا ابراهيم حمدان، انا احمد عبد الفتاح، انا حسن العوده، انا سامي حسين، انا.. انا.. انا..

ــ ماذا تريدون؟

ــ لماذا لم تكتب قصصنا فهي افظع من قصص حسن صالح؟

ــ ستكتبونها انتم، فقد قال بريخت، الالماني الذي لم تجرفه فتوحات هتلر بتيارها: "عندما يسكت الحاكمون سيتكلم المحكومون".

× الاشارة الى الكاتب اميل حبيبي.
×× الغوييم: غير اليهود.

ملف خاص

قصة قصيرة

الاقدام المورقة

قصة
عادل الاسطه

افاق اكرم من النوم مذعورا، رفع الغطاء وتحسس قدميه، وجدهما كما هما، شعر بارتياح كبير، ثم انتابه شعور الخوف والقلق فجأة، نهض من الفراش ونسي ان له صديقا يسكن معه في الغرفة ذاتها، اتجه مسرعا جهة المغسلة، اشعل الغاز، وضع اناء الماء ليسخن، ووقف ينتظر.

أخذ الماء يغلي، لم يصح اكرم الا على صوت فقاقيع الماء، تناول الاناء، صب الماء في الابريق، ولم يفطن الى تبريد الماء الا لحظة شعر ان شيئا يلسع باطن كفه، اخرج صوتا حادا، ساعتها قال صديقه من بعيد:

ـ تستحق.. حتى الصباح لم تطرحه هذا اليوم.

لم يحاول أكرم التفوه بأية لفظة، وضع بعض الماء البارد في الابريق، غسل وجهه، وساعة انتهى أخذ يبحث عن المنشفة.. كانت في مكانها الطبيعي.. في البداية نظر الى المكان، ولكنه لم يرها، ادار نظره في الغرفة.. تبرم وتأفف.. حاول أن يسأل صديقه، ولكنه آثر الصمت، بحث مرّة ومرّة، نظر الى المكان الذي تعلق عليه فابصرها.

نظر صديقه الى الغاز فوجده مشتعلا، لم يرد أن يزعج أكرم، ولكنه بادره قائلا:

ـ ماذا حدث لك ؟

تردد اكرم: هل يخبره ؟ سيسخر منه ولا شك، سيقول له:

ـ اين افكارك ؟

تراجع عن هذه الفكرة، والتزم الصمت.

اتجه نحو الباب. فتحه، نظر الى السماء، ثم دخل مغلقا الباب، تذكر أزمة المواصلات والمشاحنات التي تحدث بين الطلبة بسبب عدم الانتظام.. اعتبر ذلك شيئا عاديا الان...

فكر: هل يذهب الى الجامعة ؟ بدت الطريق امامه مكسوة بالحديد واللون الاحمر.. نظر الى قدميه.. هل سيكسو دمي الشارع ؟

بدأ ينتزع ملابسه، ولكن صديقه ذكره بالاختبار، سيطرت عليه حالة من التشاؤم، لو كان في نابلس لما تردد ان يقص الحلم على امه، ستفسر له حلمه مستبشرة، ستزول هذه النزعة التشاؤمية، ستضحك في البداية، ثم ستسر لان ابنها الذي يسخر منها حين تتحدث عن الاحلام وامكانية حدوثها يطلب منها أن تفسّر له الحلم.

تشجع أكثر للذهاب الى الجامعة، لقد تذكّر صديقه ابراهيم، على الاقل سيقص عليه ما رأى في النوم، ابراهيم لا يسخر من هذه الامور، صحيح انه لا يؤمن بها ولكنه يراعي شعور اصدقائه وينظر الى الانسان على انه كتلة من الشعور اضافة الى العقل.

وخطرت له فكرة، أن يذهب الى مكتبة الجامعة ويستعير كتاب تفسير الاحلام، علّه يساعد في ازالة هذه النزعة التي سيطرت على مشاعره.

في الباص كان خائفا جدا، قرأ سورة الصمد اكثر من مرّة، حاول أن يقرأ آية الكرسي لكنه لا يحفظها كاملة، سنوات مرّت دون أن يقرأها، ولكن لماذا يتذكر هذه الاية الان. بدت له امه هادئة تماما، لا الفقر يستفزها ولا الاحتلال ولا شيء، وهي تكره الفقر وتكره الاحتلال ولكنها هادئة..."لماذا نسيت آية الكرسي؟ ولكن هل ستزيل عني هذا الكابوس؟".

فرح كثيرا حين رأى ابراهيم، قال له: انني مشتاق اليك.. تعجب ابراهيم فهما يوميا يسيران معا، ولكنه لم يظهر أية علامة للتعجب.

قال له: نذهب لنشرب الشاي.

ولاحظ ابراهيم ان أكرم حزين.. اراد ان يزيل جو الصمت، فقال له حدثني.. قل شيئا.

صمت لفترة.. كان يحدث نفسه..

حقا لقد جئت لكي احدثه فلماذا أصمت؟ واخذ يسترسل في الحديث: اريد تفسيرا لما رأيت الليلة. حلمت ان عشبا ينمو على قدمي فقط. لم أكترث للاحلام مطلقا، ولكني فزعت هذا الصباح تحسست قدمي أوّل ما صحوت، وجدتهما كما هما، شعرت بارتياح ولكني عدت وتساءلت عما سيحدث لي هل سأموت؟ العشب لا ينمو الا على التراب، هل ستصبح قدماي ترابا؟ هل سأموت؟ انني خائف خائف جدا. كنت أحاول انتزاع العشب فلم أستطع. كان ينمو بغزارة.

ـ ٢ ـ

ـ الصباح ـ

كان الصمت يخيم على المدينة.. منذ ساعة انتهى الضجيج الذي تحدثه يوميا باصات ايجد، تأتي الباصات الى المدينة، تقل العمال ليبني القادمون وطنهم على انقاض بيوت العمال انفسهم.

النسوة اللاتي قمن لاعداد الطعام لازواجهن ولابنائهن، الذين اخذوا اجازة الصيف واستعدوا للعمل، عدن الى النوم مرّة أخرى.

مدوٍ يلف نابلس . . لعله اللحظة التي تسبق الانفجار، وفجأة هز انفجار المدينة . الكثيرون نزلوا الى الشوارع ليسألوا عن مصدر هذا الصوت . . لم يكترثوا . كانوا يتساءلون : أهم الفدائيون قد نسفوا سيارات العدو؟ أم هم الغزاة قد نسفوا بيتا هذا الصباح ؟

بدا الخبر ينتشر في حواري المدينة لقد فجرت سيارة بسام الشكعة وهو يحاول صعودها .

ـ هل تعرفون ما حدث له ؟

ـ لا .

ـ ربما مات .

ـ مسكين بسام : لحظة البدء فجّروه . المهم ان يحيا .

ـ يحيا . هل يريدونه ان يحيا ؟

لقد فعلوا الشيء ذاته مع كريم خلف وابراهيم الطويل وفي اللحظة نفسها .

ـ انهم يكررون ديرياسين وكفرقاسم .

ـ دائما يقتلوننا في الصباح او في المساء . ساعة الخلق، وساعة الراحة .

ـ يقال انه مات .

كانت الشمس تشرق ببطء، تعكس اشعتها زجاج الحمامات التي ركبت على بيوت المستوطنين . الناس يسيرون جهة مستشفى رفيديا، والذهول يسيطر على افئدة الناس .

حين بلغت الساعة الثامنة كان طلاب الجامعة قد جمعوا انفسهم، ساروا جهة المستشفى، لم تستطع قنابل الغاز المسيل للدموع تفريقهم في البداية، اطلقوا النار فطارت العصافير .

ـ الساعة الثانية ظهرا ـ

الشوارع تخلو من المارة، البائعون لم يصطفوا قرب المستشفى الوطني في انتظار المال . جو من الترقب والانتظار، لقد فجع الحادث المدينة . . .

انطلق اكرم وابراهيم معا، سارا ناحية المستشفى للاستفسار عن رئيس البلدية . حين اقتربا أوقفهما الجنود وبفظاظة قالوا :

ـ دكيكة واحدة . . . روح للبيت .

كانوا يحملون أسلحتهم والاصابع على الزناد .

اتجها ناحية المقبرة الغربية، كان هناك قريب لهما، حين اقتربا منه وجداه بقالته مغلقة في حين كان يجلس امامهما، كان واضعا رأسه بين يديه وينظر في الارض .

جلسا قربه . . وصمتوا . . بعد فترة تحدّث البقال :

ـ لاول مرّة تنزل الدمعة من عيني .

ـ وتابع مستغفرا .

ـ ولكن هل سمعتم شيئا؟

ـ وماذا سمعنا؟ الان ذهبنا الى المستشفى فطردنا الجنود .

فقدوا الرغبة في الحديث . . ازدادوا حزنا وكان الصمت عظاما حادة تنخر قلوبهم . . اتخذوا نفس الوضع . . لا احد ينظر الى الاخر . . روؤسهم بين ايديهم واعينهم تبحلق في الارض .

لم ينه هذا الوضع الا صوت سيارة الاسعاف، كانت تقترب منهم، هبّوا معا، قال احدهم :

ـ لقد مات .

واضاف الثاني :

ـ لا حول ولا قوة الا بالله .

فيم تنهد أكرم ضاربا كفا بكف :

ـ له . . له . . له .

اتجهوا ناحية المقبرة، كان احد موظفي البلدية يحمل بيديه معولا وفأسا .

بدا يضرب الارض بقوة، كان الاخرون واجمين .

هبّ أكرم ليساعده . . .

حين حفروا قليلا قال الموظف :

ـ يكفي .

كان احد الاشخاص، ولعله ابن رئيس البلدية، يحمل بيديه كيسا مكسوا باللون الاحمر، ناولهم الكيس وادار ظهره، بكى بشدة، حاول أن يصرخ، ضرب رأسه بيده، نظر اكرم الى الكيس، كانت قدما بسام الشكعة وفردتا حذائه، وكان اللون الاحمر قد كسا القدمين وفردتي الحذاء، لم يتمالك نفسه، بكى ثم قال :

ـ سيزور بسام الشكعة جزءا منه ليقرا الفاتحة على قدميه اذا قدر له أن يعيش .

ـ ٣ ـ

فكر . وفكر، تصوّر العشب ينمو بغزارة، يأتي الاطفال ليجلسوا على هذا المكان تبركا .

قال ابراهيم لاكرم :

ـ هل تذكر ذلك اليوم ؟ هل تذكر قدمي الشكعة لعل العشب ينمو الان فوقهما لا تخف .

امتدت ايديهما الى كأس الشاى وبدءا يرتشفان معا .

انذار

شعر : راضي عبد الجواد

يا من وضعت القيد في رسغ الرفيق طائعا
وقدتهم لينسفوا احلامه وبيته
بأى وجه سوف تلقى وجهه
لما يمزق الصباح ليله ؟
يا من فقأت مقلة الشهيد حين جئته
مع الجنود كلب صيد خائنا وخانعا
ماذا تقول حين تبكي أمه
وحين يطلب الرفاق دمّه ؟
يا من تبيح للعدو لحم اختك البتول
بأى وجه سوف تلقى أخوتك ؟
يا من تبيع للعدو لحم أرضك الذلول
بأى قبر سوف تلقي جثتك ؟
فلترتجع ! فلترتجع !
يكفيك ما قد سرت في وجه الرياح
فلترتجع ! فلترتجع !
من قبل ان تزداد اعماق الجراح
فلترتجع ! فلترتجع !
لاننا اذا عدلت بعدها لن نستمع
وعندها
من كل حدب سوف يلقيك السلاح

ملف خاص

قصة قصيرة

الحيرة والخوف

بقلم: جميل حسين الخوساني

" ١ "

..... ربّوه على حبّه لابنة عمه، وتربت هي الاخرى من وراء الجسر، في الخيمة السوداء. على الرمال الساخنة، التي ترحّلها الرياح، وعنها ترحل بواجدانها الى دنياه..

عند العيون التي جفّت في وجهها يتلق اسمه دائما فوق لسانها.. نبيل رمقها.. كانت تقول له، كلما ذكر الزيجة والزواج على سمعها:

ـ لا تجننّي. عندما تنهي جامعتك، وتنهي مدرستها ستراها... فهي تنتظرك. ولا يقدر واحد على الاقتراب منها.. اصبر.. تغازله بعينيها، يترنم على ضحكتها، يترنّح على ابتسامتها. ثم تصمت.. وتمضي. ويبقى سارحا، شاردا، في ذلك الوجه الخصيب المجهول..

" ٢ "

..... بعد التخرّج قالت لزوجها:

ـ طاهر. نفسي أزغرد.. افرح بوليد قبل ان..

"وما تبقى من العمر قد ما مضى".

لم يكن الامر يحتاج الى تفكير بالنسبة له. فالدار واسعة. والفلوس موجودة، والشهادة في جيبه. وهي ابنة اخيه. فلن تكلفه شيئا.. . ربّت على كتف وليد الذى كان يجلس معهما في تلك الامسية، بعد ان تذكر ان لا شيء يمنعه من الذهاب، فالتصريح يأخذه في اى وقت، قال له وعيناه تحدقان في وجهه، وابتسامة تبدو على شفتيه، توحي بمعان كثيرة، كمحقق يحقق مع متهم.. لم يعترف بعد.. بينما كان قلبه في حالة خفقان شديدة..

ـ ولا يهمك. ساحضرها. بعد غد ساسافر الى عمان. وعليك أن تحضر بعض الهدايا.. وبكره تنزل على الكرم.. وتحضر.. حتى آخذ معي..

تطلع الى زوجته، اشار اليها بطرف عينه، فربما كان يريد ان يذكرها بشيء ما... بلحظة سعادة. من السنين التي خلت، تنحنح... ولكن الابتسامة التي كان ينتظرها لم تظهر.. فربما لم تفهم مقصده.. فاردف..

ـ اسمعي، هذه السنة، لا تبيعي التينات او العنبات. بدنا نتركهن للزوّار.

" ٣ "

..... عند المساء حضر نفر من اهل البلد.. يسلمون عليه.. يحملونه الرسائل.. وبعض الحاجيات.

ـ هذه ضمة "ميرميه". بالنبي اللي زرته، توصّلها لدار ابني، وقل له هذه من الشتلة المزروعة عند الدار قطفتها أمك.. بيدها..

وتقول اخرى وهي تتطلع في وجوه الحاضرين، وبخرقتها البيضاء المرقعة تمسح دموعها..

ـ رطل عنب لاولاد ابني. كل سنة في موسم التين والعنب اقدم لهم الطلب.. حتى يجيئوا يشموا الهواء.. هواء البلاد.. ويقطفوا العنب بايديهم.. على الاقل يدخلوا بلدهم التي انحرموا منها.. او على الاقل يعرفوا موقعها.. ودائما الله اكبر.. يقولوا: مرفوض على التصريح..

وترتفع اصوات:

ـ بتهون.. يا حجه..

ـ كريم الله..

ـ "ما في شيء يظل على ما هو.."

ـ الصبر حلو..

ـ اللي زاح تركيا زاح بريطانيا.. وب....

وعندما يحاولون النهوض يقدمون اعذارهم.

ـ الدوشه التي على الجسر، والغلبة.. والحر.. لكن تحملنا.

ويقطع عليهم اعذارهم:

ـ لا يا جماعة الخير.. الحال واحد.. والناس لبعضها.

" ٤ "

بعد الثانية صباحا بقليل. كانت السيارة تطلق زامورها، نفر ليس بقليل فاق من نومه... ودويها الذى شق وجه الليل. كالسيف الحار.. قتل النوم في عيونهم شهيدا..

تجمع الجيران.. والاقارب عند السيارة.. ووليد وشقيقاته... انطلقت السيارة مسرعة. محملة بالركاب.

في المقعد الخلفي كان يجلس طاهر الذي لم يكف عن الدعاء ورجاء التوفيق .. ، على ظهرها كان الباذنجان ، الفاصوليا ، التين ، العنب ، البقدونس والنعناع والميرمية .
رائحة ذكية كانت تفوح . حتى قال السائق :
ــ يا جماعة الخير . نعناع بلادنا لا يعلو عليه نعناع ابدا . بس يا خسارة من يقدرونه قلة .
بينما قال احدهم وهو يمسح وجهه ، ليتزود بالنشاط :
ــ شعبنا بخير يا ابن الحلال .
بينما قال طاهر وهو يهم باشعال غليونه على غير عادته . في ساعات الصباح .
ــ تفاءل يا رجل ... أولاد المدارس يحملون الحجارة في حقائبهم .. مع الكتب .. معنى ذلك الفجر اقترب ..

كان المودعون قد عادوا الى بيوتهم . معظمهم هاجمهم النعاس الا قلة لم ينتصر النعاس عليهم ، ولم يدفعهم الى عالم النوم .. من هناك تشغلهم بعض المسائل الحياتية التي تحمل على جناحيها احلاما وآمالا .. كوليد الذي عاد يبحث عن البوم الصور .. فوجهها الذي اطل عليه من الالبوم كان قد بنى بينه وبين النوم الف جدار وجدار .
يضم الصورة . الى صدره . يتاملها أحيانا ويهمس :
ــ وعدوك فيّ ، وعدوني بك وعيونك الجميلة ، البريئة بتقول يا ابن عمي شو ذنبنا ، حبّينا بعضنا من بعيد ، وسافر قلبي على دروب مجروحة يسال عن قلبك ، واتمنى امشيها ، والتقت القلوب ، شو ذنب القلوب لمّا تهجر مطارحها ، وتروح مطارح اهلها تسال عن احبابها ، شو ذنب عيني اللي حرموها رؤية طلعة حبيبي ... وذنب اناملي التي لسعتها الشمس .
يقبلها ، تلتصق الصورة بشفتيه التصاقا شديدا ، يزيحها . يتاملها ويهمس ثانية . طلوع الشمس ساكون وراء الباب واقفا ..
قبّل الصورة عدة مرّات كفتى مراهق قبل ارجاعها لموضعها .. صرير الباب ، الذي فتحته امه جعله يخبؤها تحت المخدة بسرعة :
ــ نام يا ابني . ايام السهر جايّه .
غطّى وجهه باللحاف . لكن وجهها الذي اطل ثانية قال :
ــ لا تنام . ياخذك النوم .. وتنساني يا ابن عمي .

" ٥ "

ترنّم الاطفال ، الرجال والنساء ، الطيور ، على انغام الناي العائد دوما من رحم الزمن على السنة الناس . مع ولادة الاطفال ...
ردّدت الالسنة العتابا والميجانا ، المواويل . وردد الكون الزغاريد فكان عرسا رائعا ويوم الزفة رش اكثر من رطلين ملح ..
وكان العناق ..

" ٦ "

الابواب طرقت ، الوساطة اشتغلت ، والطلب مرفوض ، وجنين في بطنها ينمو ، تروح وتجيء كلما انتهت فعالية التصريح المؤقت ويحس عند عودتها كل مرة انه يزف من جديد ، وتبدو له كطائر يريد العودة الى عشّه العتيق ، بعد أن خرج من بيضه وضعتها امه في وسط الصحراء ..
يرهف السمع ... يضع اذنها على بطنها ليسمع حركات الجنين ويهمس في ألم وشجون :
ــ أنا في حيرة .. خائف ، في اى أرض ستخرج للحياة .. في اى دائرة ستسجّل ؟؟



لوحة للفنانة نوال اسكندراني

ملف خاص

هوامش في كراس العشق والمطر

شعر: عبد الناصر صالح

أتردد والليل نديمي ،
آلهة رسمتها الايدى المسمومة
أعطاها الحقد المتجذّر مفتاح التكوين
وادخلها دنيا الاسطورة
جزّأني الوقت فأصبحت بلادا لا تحمل عنوانا
لغة لا تحمل معنى
أسقط في حلم يصل الشرق بأعصاب الثورة ،
ما ثقلت في الليل موازيني ،
ما ثقل جناحي
شاهدت سحابا يحمل مطر نبوءات
فصرخت : بلادى
وفتحت نوافذ عشقي السرّية
أبحرت بأعماق النفس المكنونة
فاكتشفتني نفسي

×

أتردد ، يلجمني الحزن العصرىّ
ودقّات الساعات الاولى منذ الميلاد
تراكمت الاحقاد على قلبي ،
انشقت كلّ بحار الغربة وابتلعتني
هل أعشق في وطني ؟
جمهور الفقراء يعدّ العدّة للفجر
يواصل في عمق الارض مسيرته
يقتلع جذور الخوف الصورىّ
فهل أخترق قوانين الزعماء الانذال
وأبني صرحا للعشق ؟
يلدغني نبض الشوق اليك ونبض العشق
وحبّات المطر الرافض تقرع نافذتي
تنهمر على جسدى المغترب وتلثمني
هذا المطر الرافض يلثمني ،
يلثمني ،

لا أذكر كيف كتبت اليك مع المطر رسالة حبّ
فيها لون الزيتون
ولون الشفق الاحمر
لا أذكر كيف بكيت
وعانقت المطر الرافض
لا أذكر ،
كيف تسلقت حبال الارق الملتهب
وأعلنتك بيرق هذا العصر

×

الان انزلقت من أهداب الليل غصون الموت .
الان بكيت .
وشربت مرارة كاسي .
نادمني الخمر / السفر / وقصة عمرى
وبصقت على التاريخ المرصوف بباقات الزيف
الليلة زارتني حبّات المطر ،
اختلجت دقات القلب الهاجف
هذا القلب المشلول من الحبّ ، الغربة
ينقله الوقت الى المجهول
الى الغربة ، لا أدرى
وبراك
براك ،
براك
سرابا في اللون الازرق
بيتا مهدوما مقفر
الرؤيا تهرم في المهجر
النظرة تهرم في المهجر
لا أدرى ، هل أعشق ؟
هل أعشق في الهجر عيونك ، هذا الطين
المخضوضل يوشك أن يتعرّى
يوشك أن يتجمّد هذا الطين

×

أتردّد ، والليل نديمي
لم يأت النورس وحديث العمر الغائب
لم يأت الله
ولم تأتي ،
ورنين المطر يدقّ على نافذتي
المطر يدقّ على نافذتي
ودموع الله المبتلة بالحزن تدقّ ،
على نافذتي
لو لم تقفي كشراع عاد الى الوطن المرهق
سأموت على أول خارطة للاستيطان
وأول مشروع للتقسيم ،
لو لم تتعرّى من عربك ،
وتغوصي كالسمك البحرى بعالم أحزاني
سأهاجر مع هذا الغيم الاسود
هذا الغيم المشبع بولادة ليل آخر
سأحبك في ليل آخر
وستغزوك سهام غرامي في ليل آخر
لا تضطربي .

×

سنكون معا قرب الجسر ونشرب أنخاب هزيمتنا
ونتاجر بالذهب الخالص والافيون
ونرفض حكّام الردّة
لا تضطربي ،
لن يأتي الراهب تلك الليلة
لن يأتي المأجور ليسمع ما نحكيه عن المدن
المحتلة

فلتختلطي بدخاني ،
اختلطي بدخاني ونزيفي
وحروفي المعتلّة
وتعرّى من عالمك الراقد بشواظ التفريغ
تعرّى من قاتلك المستورد
وتعاويذ الكهنة .
،
هذا القلب يريدك أن تتعرّى من كل الاعباء
فقد يعشقك
ويرفض قانون الزعماء

الهوى عطر الفلاح

شعر : د . جمال سلسع

رحل الهوى
والحب في داري ذوى
سكن النوى
في حجرتي
لا صوت حبي
لا . . ولا نورا حوى
ما زلت تنتظر الهوى
يا قلب ريح الليل ،
يرقص حول داري . . . والجوى
يتسلق الاسوار ، يرتع في حنايا وحدتي
والعشق أعياه الطوى

. . . .

طفلي يصيح
في الدرب يجرى
خلف لص غافلَ القلبَ الجريح
سرق ابتسامة عاشق .
والليل يقرع حلمه الباكي الكسيح .
يا طفل ، عصفور الربى
في قبضة اللص الفصيح .
لا يرجع العصفور الا
من دروبك يا مسيح .

. . . .

فينوس أين حمامك الهادى
يرفرف في مغازات الجراح
فالغصن مفتاح الطريق .
قد سرت في ليل البطاح
وحملت صلبان الرفيق
أبحرت في بحر الاضاح
وحملت أطواق الغريق
وعشقت صبرك يا جراح
فالغصن قصدى
يا دروبا ملّها حزن الرماح
ما زلت منتظرا
قدومك يا صباح
لا الوقت يلهيني
ولا عصف الرياح .

ملف
خاص

اكتمال السلسلة

مرسي حدّاد

بين العشق الفرح الاتي ...
وعذاب الموت اليومي
تمتد خيوطا وهمية.
بين الضوء ... وبين الظلمة
ومضات البرق الازلية.
بين الموت على الاطلال...
وبين الموت على الصلبان
تمتد جذور فضائحنا.. وتموت ببطن الارض
تمتد بذور بدايتنا...
تزهر ... تنمو ... تتكاثر...
توزع فينا اسرار الحب.
نتبادل كل قواميس الاسرار المنكرة
نتبادل لغة العشق المذبوح على أبواب مدينتنا
نشرب من نبع الزيتون.../
نزيل الظما الكامن فينا.
نتجدد ... نتجدد.
تتلاشى كل فواصلنا...
نلتحم بهذا الجوع .. الفقر .. الاوجاع
نجبل بالدم ...
ونصير نواة المستقبل.

من راس الشجرة حتى القاع
امراض العالم منتشرة....
الفقر ... المال ... وراس المال ...
الجوع ... العطش ... الحرية ...
حلقات سرية ...
كتل ... احزاب ... وخيارات ...

تأبيد ... رفض ... ذاتية.
وعصافير الشوق تغني ...
وعلى الشمروخ تموت
ونظل نموت ... نموت ... نموت ...
وتصعد فينا بعد الموت ...
.... خلال الموت ... وعبر الموت
تحطم راس جدار الصمت..../
تمر الينا نقطة ضوء
تنتشر ... وتشرق عبر الوقت.../
ورغم الكبت.

واضحة كل معالم وجهك سيدتي
والدرب طويل.
ابر البرق تعانق كل خيوط الشمس.../
نسيج الضوء بزيل الليل.
ابر البرق تعانق كل خيوط الفجر.../
وتنسج ثوب الفرح الاتي ...
تنسج ثوب ربيع الحب..../
وصيف الدم ... وعرس الفجر ... زوال الليل.
واضحة كل معالم وجهك سيدتي
وذئاب الليل ...
وكل السيلانات بهذا الليل
واضحة كل سيوف الردة في الصيف الاسود
في اللحم المحروق ... بطفل مقعد
واضحة في الزيتون وطعم الزعتر
واضحة فينا ... بين اصابعنا ... بأيادينا
والموت جميل ... الموت جميل ... الموت جميل
الموت بسكين المقصلة...
حلقات اكتمال السلسلة.

تتمة دراسة الدكتور اميل توما

ووقفت بريطانيا في مقدمة الدول التي سعت الى توحيد الدول الكولونيالية – روسيا القيصرية وبروسيا والنمسا – في دعم السلطنة العثمانية لتحقق اهدافها..

واعرب رئيس وزراء بريطانيا بالمرستون عن موقف حكومته في رسالة بعث بها الى سفيره في نابولي بتاريخ ٢١ آذار ١٨٣٢ وجاء فيها: "ان هدف محمد علي الحقيقي هو اقامة مملكة عربية تضم جميع البلاد التي تتكلم العربية وقد لا يحوى هذا المشروع ضررا في حد ذاته ولكنه سيؤدي الى تقطيع اوصال تركيا وهذا ما لا نرضى عنه.. وفضلا عن ذلك فلا نرى سببا يبرر احلال ملك عربي مكان تركيا في السيطرة على طريق الهند". (يقظة العرب، ص ٢٢).

واشتدت معاداة بريطانيا لنظام محمد علي في مصر ولحكمه في سوريا نتيجة احتدام التناقضات بين مصالح الطرفين في العام ١٨٣٨... في ١٦ آب من ذلك العام وقعت السلطنة العثمانية وبريطانيا معاهدة تجارية اسرعت في تحويل الامبراطورية العثمانية "الى مصدر تابع للدول الاجنبية يزودها بالمواد الاولية الزراعية" وبخاصة انها الغت احتكار الخزينة العثمانية لتجارة مختلف انواع المواد.

ورفض محمد علي ان تسرى هذه المعاهدة غير المتكافئة والتي كانت في مصلحة الكولونيالية البريطانية على مصر وسوريا وسائر المناطق التي يحكمها محمد علي مما اثار حقد الكولونياليين فنشطوا مجتمعين لضرب نظام محمد علي في مختلف الاقاليم التي كان يشرف عليها ويديرها..

وكتب القنصل كتافاكو في رسائله يشكو من تشجيع الادارة المصرية الفلاحين في قضاء عكا على مجابهة التجار الاوروبيين وتقديم الشكاوى عليهم بسبب استغلالهم الفلاحين.. وجاء في رسالة بتاريخ ١٣ شباط في العام ١٨٣٩ ان الحكومة تساعد الفلاحين على تحريف حساباتهم وتقنعهم بهذه الطريقة بالتخلص من ديونهم للتجار الاوروبيين (ص ٦٧ من الكتاب المذكور آنفا).

ومع ان كتافاكو يزعم ان التجار الاوروبيين كانوا يسلفون الفلاح السلفيات مقابل محصوله. ويعتمدون في معاملاتهم على الشرع الا ان الواقع يؤكد ان اولئك التجار كانوا باساليبهم التجارية الملتوية وبالفوائد المركبة المتراكمة ينهبون الفلاحين ويستغلونهم ابشع استغلال..

وهكذا نشأت الظروف للقيام بتحرك اوروبي شبه موحد ازاء محمد علي والادارة المصرية في سوريا... ونقول شبه موحد لان فرنسا ظهرت في الجانب الاخر في الميدان الدولي الاوروبي وتظاهرت بتأييد محمد علي.

في ربيع العام ١٨٣٩ اعتقدت السلطنة العثمانية انها قادرة على تصفية الحساب مع القوات المصرية في سوريا.. الا ان الحملة العثمانية على تلك القوات انتهت في هزيمة القوات العثمانية في معركة نصيبين في ٢٤ حزيران ١٨٣٩.. وبعد هذه المعركة زالت العقبات امام زحف قوات ابراهيم باشا على الاستانة..

واكتشفت الدول الكولونيالية أن السلطنة غير قادرة على تحقيق اطماعها في تصفية الادارة المصرية في سوريا ولذلك نزلت الى الميدان مباشرة.. بعد أن اتفقت فيما بينها في ١٥ تموز ١٨٤٠ في مؤتمر عقدته في لندن على صياغة شروط تمليها على محمد علي وتعيد ترتيب الخريطة السياسية في المنطقة حسب مصالحها.. ومع ان فرنسا لم تنضم الى هذه الدول – بريطانيا، روسيا القيصرية، بروسيا والنمسا – الا انها اكتفت بتأييد محمد علي معنويا وتخلت عن تأييدها ساعة الحسم.

ورفض محمد علي املاء الكولونياليين.. ونشط الكولونياليون في مساعدة العثمانيين على تشجيع التمردات بقيادة الاقطاعيين في سوريا..

وكان في وسع القوات المصرية أن تقضي على الموجة الجديدة من التمردات الا انها واجهت هجوما كولونياليا مباشرا..

وهكذا تحركت اساطيل بريطانيا والنمسا والسلطنة في ايلول في العام ١٨٤٠ نحو سواحل سوريا.. وانزلت قوات برية في مواقع استراتيجية... وخلال الاسابيع اللاحقة نجحت القوات الكولونيالية – العثمانية المتحالفة الى اجبار القوات المصرية على الانسحاب من سوريا في تشرين الثاني في العام ١٨٤٠.

وبذلك انتهت أول محاولة لاقامة الدولة العربية الكبيرة..

وعادت سوريا بما فيها فلسطين الى دائرة السلطنة العثمانية وبدأت فيها صفحة جديدة. وهذا موضوعنا في الحلقة القادمة...

---

١) ازدادت مساحة الاراضي المروية من مليوني فدان في ١٨٢١ الى ٣٠١ مليون فدان في ١٨٣٣.

٢) حسم المناخ في سوريا في الادب واستشهد محمد كرد علي بقصيدة نظمها الشيخ امين الجندي وطعن فيها بالسلطنة التي استباحت المنكرات ونبذت الشريعة وتمسكت بالبدعة السوداء وانكسرت جيوشها من جراء ذلك. وانهى الشاعر قصيدته بالبيت الاتي:
والعز بالعرب استنار مناره
بزوغ شمس مراحم لن تأفلا
(كتابه المذكور، ص ٥٤ – ٥٥)

تتمة مقال الاستاذ نبيه القاسم

لفتة الى البداية

قلت في بداية كلمتي أن علي الخليلي حقق الثلاثة امور التي حددها أودن في الفنان المبدع، وهي: أن يصنع شيئا وأن يحس شيء وأن ينقل هذه الاحاسيس الى الاخرين. وأعتقد أنني نجحت في تأكيد ذلك.. يبقى أن نحدد كيف نقل الكاتب هذه الاحاسيس الى الناس.. وهل نجح في ذلك ؟

الهيكل العام للرواية

وزّع الكاتب روايته على ١٩ فصلا.. تروى قصة شعبنا الفلسطيني منذ بداية مأساته باحتلال الانكليز للوطن في الحرب العالمية الاولى.. مارا بعام النكبة.. ومتوسعا في سنوات الاحتلال الاسرائيلي منذ عام ١٩٦٧.. مؤكدا على أصالة الشعب وقوته واصراره وصموده... الفصل الاول يبدأ القصة من أولها حتى سنوات ما بعد نكبة ١٩٤٨.. والفصول المتبقية تتركز على مقاومة الشعب للاحتلال الاسرائيلي.. وان كان الكاتب لم يهمل رسم بعض صور المعاناة الطويلة التي عاشها شعبنا في ظل الحكام العرب الرجعيين او ابراز تهادن ابناء الطبقات الغنية من تجار واقطاعيين وحتى تعاملهم مع الظالمين والمحتلين ضد ابناء شعبهم..

هذه الفصول موزعة بحيث تروى قصة الابطال: الفصل الاول يروى قصة بحجر عبد الفتاح، الفصل الثاني قصة حمدان بن بحجر، الفصل الثالث قصة خال وردة، الفصل السابع قصة عصام ابن المخيم العتال، الفصل الثامن قصة ضرار كامل بائع المكانس، الفصل الثاني عشر والثالث عشر والسابع عشر تروى قصة فاضل المستور، الفصل الثامن عشر يروى قصة سمية ووالدها الكندرجي، باقي الفصول تروى قصة بطل الرواية محمد حمدان بن بحجر وقصة أسامة ومروان.

رغم هذا التقسيم الا ان الكاتب نجح في المحافظة على الرباط الوثيق بين كل الفصول... وذلك بأن بطل الرواية محمد حمدان بن بحجر هو الراوى. وهو حلقة الوصل ومركز اللقاء بين كل الاخرين وقد كانت قصة كل واحد منهم تنطلق على لسان محمد من داخل السجن عائدة برواية القصة من بدايتها حتى تصل الى السجن ثانية. وهذا الانطلاق من السجن والعودة اليه ان دلّ على شيء.. فانما يدل على ان الكاتب اراد ان يؤكد مدى ارتباط السجن بكل من خارج السجن.. فمن السجن كانت تخرج القصص لتنتشر في شوارع وزقاقات المدينة تجمع كل خيوط القصة.. تطرق الابواب.. وتدغدغ الاهل.. تشدهم الى الذين خلف القضبان بخيوط قوية فتوحد بينهم وتؤكد على انهم جسد واحد..

فهذا التداعي والانطلاق والانتشار ثم التجمع والانطلاق عائدا من حيث انطلق، هو الخط الذى اتبعه الكاتب في رسم فصول روايته.. وهو الاشارة القوية على وحدة هذا الشعب..

لغة الكاتب

يجد القارئ نفسه وهو يقرأ فصول رواية "المفاتيح تدور في الاقفال" امام علي الخليلي الشاعر اكثر منه الكاتب.. فاللغة الشاعرية الطاغية.. والصور الشاعرية والفقرات الشاعرية والانفعالات والغضبات والشطحات كلها شاعرية.. وقليلة هي الفقرات التي ظهر فيها علي الخليلي الكاتب..

من هذا المنطلق الشاعرى.. أفقد الكاتب روايته ذلك المنطلق النثرى الذى يسير بالقارئ بهدوء ورويّة وانتقال تدريجي.. وهذا المنطلق الشاعرى هو الذى قد يجعل رواية علي الخليلي صعبة الفهم الجدى عند الكثير من القراء... فالصور العميقة البعد.. والمتشابكة والكثيفة والمتعاقبة قد تثقل على القارئ العادى وترهقه..

نجد الكاتب الى جانب هذا التحليق الشعرى الرائع يستعمل تعابير عامية وكلمات نابية قد يرفضها البعض في اللغة الادبية مثل (غط طيزك)، كما أنه يكثر في بعض الفصول من استعمال الامثال الشعبية مثل (من لحق السوق تسوّق)، (اشتدى ازمة تنفرجي)، (قد آذن ليلك بالبلج)، (الموت مع الناس رحمة)، (حط راسك بين الروءوس وقل يا قطاع الروس)، الخ.. ثم نراه يهتم احيانا باستعمال اسلوب الازدواج والمقابلة.. وفي بعض المشاهد نراه يكتب بأسلوب نثرى سردى هو اقرب الى اسلوب الصحفي منه الى لغة الكاتب القصصي مثلا وصف التحضير لاضراب السجناء (ص ٦٤)

مهم ايضا ان نشير الى الجو العاطفي المشحون بالانفعالات الذى نجح الكاتب في المحافظة عليه خلال كل مشاهد روايته. وذلك بفضل الاسلوب الشعرى المنسحب على طول الرواية..

أخيرا..

قد يطول الكلام عن رواية "المفاتيح تدور في الاقفال" لكن الامر المهم الذى أريد تاكيده انها تشكّل حلقة قوية وجديدة في أدبنا المقاوم في الارض المحتلة.. وانها نموذج للادب الملتزم الواعي المثوّر واذا كان لي الحق في ان أعرفها فأقول: انها قصيدة ملحمية طويلة تروى قصة صمود أبنائنا الابطال في مواجهة المحتل في كل بقعة من أرضنا المحتلة.

١٩٥١

الجديد

مجلة شهرية ثقافية
تأسست في حيفا عام ١٩٥١

عنوان هيئة التحرير :
حيفا
شارع مار يوحنا ٣٩ -
ص.ب ١٠٤
تلفون : ٠٤/٦٦٦٦٤٨

عنوان الادارة :
حيفا
شارع الحريري ٩
ص.ب ١٠٤
تلفون ٠٤/٥١١٢٩٦-٧

تطبع في :
مكتبة ومطبعة أبو رحمون
عكا : تلفون : ٠٤/٩١٦٢٩٧٨

المحرر المسؤول :
المحامي حنا نقارة

الجديد

عدد ١ — ملحق شهري لجريدة الاتحاد — ١٩٥١

قصة اسرائيلية

كلنا يهود

بقلم سمير مارد

كانت «لوراء» تراقب جارتها «روت» بشيء من الحسد. فزوج «روت» مثل السيء متقلب، ضاحك، عابس، في يوم واحد. وجدران غرفتها ترتعد عندما يجلجل فيها صوته الغضوب. ومن نافذتها تتفجر احيانا قهقهة ضحكته المجيدة. وكثيراً ما خيل الى «لوراء» ان هذا الزوج يربي اطفاله لا على الارض ولا في المدرسة وانما يقذف بهم في الهواء ثم يتلقفهم بخفة في وسط عاصفة من الصياح والصراخ. انه رجل. اما زوجها هي فضئيل القامة يغطيه شعر اسود يتهدل حتى من اذنيه ومن انفه، صامت هادئ، قليل التذمر، يحب عائلته اكثر الحب واقواه. ان «لوراء» تريد زوجها ان يتمرد ولكنه لا يتمرد ابداً. وحينما كان يضرب الاطفال كان يطبق شفتيه ويحرك يديه كأنما هو يمسح حذاءه. انه يعود من عمله كل يوم بسراويل الخاكي داكنا وبعينين تعبتين، وبصوت منخفض، وبأنفه الذي يبرز منه شعر ملوث بصدأ النحاس.

عشرة اعوام انقضت ودافيد لم يغير مكان عمله او بيته او حلاقة شاربيه الصغيرين اللذين يشبهان ذبابتين سوداوين. منذ عشرة اعوام خلت ودافيد يعمل في مكان العمل ذاته، بالقرب من الفرشاة الكهربائية المخصصة لتلميع النحاس.

وفي الواقع نمى طموح لورا على دافيد كل هذه الحياة الرتيبة الهادئة. انه يعتقد ان لورا جشعة. ولكم احب ترديد جملته المألوفة «ماذا تريدين يا لورا؟ ان لنا غرفة والحمد لله، وعندنا خبز للاكل، وعمل دائم. وقبل عشرة اعوام كان لنا طفلان اما الآن فثلاثة والحمد لله...»

- «اذن فلتبق ساذجا وليركبوك كلهم..!»

- «ومن يركبني؟» سأل دافيد مستغربا هذا التعبير الصبياني.

- «من؟ من؟ صاحب المحل! انه يجمع الالوف. انه يفتح ثلاثة معامل جديدة. عشرة اعوام وهو يتنزه في سيارة... وانت؟ انك تباهي باطفالك يزدادون. انظر الينا. انا نكاد نرتدي الخرق... يوميا انت تركض الى العمل... كل يوم تركض ولكن اجرك نائم وقد نسي الحركة تماما.. لماذا تزوجتك؟

الجديد

تصدر في حيفا منذ العام ١٩٥١

ثلاثون عامًا.. وألف تحية

الجديد سنوات مجيدة من النضال والتحيات حارة

اخذت الجديد طريقها الطويل خلال سنوات قاسية، خلفتها نكبة الشعب العربي الفلسطيني، حيث انقلبت الاوضاع راسا على عقب. ولم يبق أمام الجماهير العربية في اسرائيل من أمل سوى القوى الديمقراطية والتقدمية وعلى راسها الشيوعيين لمساعدتها والاخذ بيدها للخروج من هذه الازمة. واستعادة كيانها وكرامتها أمام سياسة التمييز والاضطهاد القومي.

لقد عملت الجديد منذ نشوئها وفي مختلف المراحل على تثقيف قرائها على احسن ما ابدعه كبار الكتاب التقدميين في العالم. ونقلت الى القراء اهم ما كتب وانتج في العالم العربي من ادب تقدمي وشعر وطني وقصة صادقة وصفت حياة العمال ونضالهم واعطت صورة صادقة لحياة المجتمع والصراعات الطبقية داخله.

رفعت الجديد لواء النضال ضد سياسة التمييز العنصرى والاضطهاد القومي، ودعت الى السلام وأخوة الشعوب وقادت نضال المثقفين من اجل حرية الكلمة وضد سياسة الخنوع التي حاولوا فرضها على المثقفين وجماهير الشعب والقبول بالامر الواقع وعدم محاولة تغيير الامور.

ساهمت الجديد مساهمة كبيرة جدا في احياء تراث وتاريخ وتقاليد الشعب العربي الفلسطيني للجيل الجديد الذى لا يعرف عنه شيئا من مصادر اخرى في وقت حاولوا طمس هذا التراث.

ان الجديد تقوم بنشر الثقافة التقدمية على اسس علمية وهي عامل ايجابي في بلورة التراث الادبي ودمج النضال السياسي والثقافي من اجل ايجاد طريق واضح لجماهيرنا في نضالهم اليومي.

فالى الجديد في سنوات نضالها المجيدة الف.. الف تحية والى الامام..

محمد حداد

